دكتور
طـه حبيشى
استاذ بجامعة الأزهر

حوار مع الدكتور/ مصطفى محمود

فى

الشفاعة

كتابي يا أولى الألباب سهل   يفيد القارئين بلا معرف
أبحث لكم قراءته و لكن   حقوق الطبع تحفظ للمؤلف

الطبعة الخامسة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمــــود ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فلقد رغب إلىّ بعض من نثق برأيهم فى أن نعيد طبع هنـــا الكتاب للمرة الخامسة، وكنت على غير هذا الرأى.

أولا: لأنى أريد أن أتفرغ إلى كتاب جديد فى ميدان أخر غير هذا الميدان الذى انتدبت نفس إليه فترة من الزمن لرصد حركة منكرى السنة.

وثانيا: لأن موضوع هذا الكتاب ملاحقة جماعة قد خفت صوتـها، وقل فحيمها لا لشئ إلا لأنهم يريدون التهدئة من سخط الأمة عليهم ولـــو إلى حين ، ثم يعيدون نشر أفكارهم من جديد.

كانت هذه قناعتى ولا تزال ، ولكن آثرت أن أنصت إلى رجـــاء الإخوان فما خاب من استشار ، وما خاب من أخذ بنصيحة إخوانه.

هذا وإن الفترة الماضية التى تفصلنا عن تاريخ آخر نشرة لـــهذا البحث لم تشهد جديداً فى ميدان هذا البحث يمكن أن أضيفـــه هنـــا، وإن كانت الساحة قد شهدت هجمات شرسة ومسعورة قام بها الذين يعـــادون هذا الدين ، ويلبسون لباسه فى حركة تكتيكيـــة لعلـــهم يخدعــون بـــها المسلمين.

ولكن هذا الجديد الكائن موجه إلى الفقه وأصوله ،وموجه بعنايـــة خاصة إلى أصل الشريعة الأول وهو القرآن الكريم، الأمر الذى يلزمنا أن نتحول معهم إلى هذا الميدان الذى فتحوه لنرفع بأكف الإيمـــان شراســـة العدوان.

لقد استجبت إلى ما وجه إلى ، وهاأنا أنشر هذا الكتاب بين القراء من غير إضافة فوق ما أضافته الطبعات السابقة.

والله أسأل أن يكتب لنا جميعاً التوفيق والسداد

أ.د/ طه حبيشى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الرابعة

من فندق جراند أوتيل:

الحمد لله لا يحمد على كل حال سواه، والصلاة والسلام على جميع أنبيائه ورسله من أولهم آدم إلى آخرهم محمد ﷺ رسول الله ومصطفاه.

وبعد: فإنه ينبغي عليَّ أن أقول كلمة في مقدمة هذه الطبعة قبل أن تخرج للناس، دون أن يكون عندي من الوقت والفراغ ما يمكنني من النظر في أصلها، ومراجعة ما كتبت فيها تماماً كما حدث لي من ظروف صارفة عن النظر في أصل ماكتبت ومراجعته في الطبعتين الثانية والثالثة.

والكلمة التي سأتوجه بها للقراء هذه المرة: هي كلمة محتومة لا اختيار لي فيها، لا في عرضها، ولا في الازورار عنها، ذلك أنني كنت قد ذكرت أثناء حديثي مع الدكتور «مصطفى محمود» وهو طبيب مشهور في غير مهنته أنه حين نشر مانشر عن الشفاعة والتقليل من شأن السنة ورواتها، كان متأثراً بغيره، وليس ماذكره تعبيراً عن رأي ارتآه بعد بحث ومجهود.

وهؤلاء الذين تأثر بهم الرجل فيما ارتأيت هم أناس ممن ينكرون السنة.

وكان مما دللت به على تأثر الرجل بهؤلاء الناس أمران:

أحدهما: أنه تحمس لبعض كتاباتهم وقدم لها من نحو هذه المقدمة التي كتبها لكتاب «**أفلا يتدبرون القرآن**» وإعجاب المؤلف بما كتب، وبمناقشته لأفكار الكتاب، وهو كتاب معروف على كل حال.

ومؤلف الكتاب قد اتصل بنا هاتفيا وعرف بنفسه، ثم اندفع يذكر عبارات بلهجة حادة ربما لا تناسب سنه الذي ذكره، ولكنها على كل حال تناسب منهج القوم حين نشير إلى بعضهم، وما ذلك علينا بغريب.

وثانى الأمرين: أننا قد افترضنا (وفَرض الفروض فى العلم جائز) أن هناك رجلاً لبقاً فى عرض مذهبه فى مكانة اجتماعية مغرية، قد جالس الطبيب «مصطفى محمود» أطال الله فى عمره، وحدثه عن السنة ورواتها، وأغراه صراحة أو بالإيحاء أن يتحدث مع الناس من على منبره فى الأهرام وينكر الشفاعة، على أن يخرج الرجال جهمفى اندفاعة مؤثرة تشبه مروق السهم من الرمية، يعبر خلالها دون أن يَعلق به الدم أو الأذى، ولكنه يترك فريسته وقد فارقت الحياة.

هذا هو الذى افترضناه افتراضاً، ولم نكن نفترضه متأثرين بالهوى، أو منقادين لجموح الشطط، ولكننا رجحنا هذا الافتراض على غيره مستندين إلى ما ذكره الطبيب «مصطفى محمود» - أطال الله عمره - فى سبعينات هذا القرن، من أنه قد اطلع على فكر رجل عرفه وقتها وما عرفناه، وتعرف إليه وما عرفه الناس، وهو - المستشار مصطفى كمال أحمد المهدى - ويبدو أنه أعجب بآراء الرجل وبمنصبه وجنسيته الجديدة، وبقربه من رجال ربما رجى صاحبنا الطبيب أن يكون فى يوم من الأيام وسيلته للالتقاء بهم.

قلت: إن هذا فرض افترضناه، ورجحه عندنا ما وجدناه عند طبيبنا المحبوب - مصطفى محمود - وبعد ظهور الطبعة الثالثة من هذا الكتاب حدثت حادثة رتبها القدر ولم أقصد إليها، حيث قد اتصل بى أثناء تواجدى فى ريف مصر شاب من شباب مصر المخلصين لوطنهم ودينهم، ولهم اهتمام ذاتى بالفكر بالإضافة إلى اهتمامهم المهنىّ هو أخونا - أبو إسلام أحمد عبدالله - أكرمه الله، وسألنى بصفتى مهتماً بقضية السنة عن مجموعة من المعلومات تتصل بالمهدوى المستشار، فقلت له ما أعرفه عنه من خلال كتابه الوحيد، ونشره فى جريدة الأحرار فى مقالين متتاليين مع إضافات سبق إليها فكره، وتنسيق مهنىّ يجيده هو بحكم ملكته ودربته.

بعد نشر هاتين المقالتين، علمت أن المهدوى المستشار اتصل بأخينا - أبى إسلام - وطلب الحوار معه، وكان موضوع الحوار ولا شك هو هاتان المقالتان اللتان نشرتا حول فكره.

والشيء الذى لا يلفت نظرى: أن المهدوى المستشار أنكر أن يكون له معرفة سابقة باسم - الدكتور طه الدسوقى حبيشى - ثم أضاف: مع أنى (والكلام للمهدوى) أُجِلُّ الأزهر ورجاله، ولى ببعضهم صلات خاصة شديدة الخصوصية.

وذكر ثلاثة من الأعلام هم: فضيلة شيخ الأزهر وهو مع انتشاره فى الأمة الإسلامية، لا يكاد يخفى على أحد من المسلمين، أكاد أجزم أن المهدوى المستشار ليس على وعى كامل باسم فضيلة الإمام.

ثم ذكر الاسم الثانى من الأسماء التى يرتبط بأصحابها ارتباطاً شديد الخصوصية فقال: إنه هو فضيلة الدكتور - إبراهيم هاشم - (كذا)، وأنت خبير أن فضيلة الدكتور - أحمد عمر هاشم - معروف بين المسلمين لا يكاد يخفى.

ثم أضاف بعبارته قائلاً: (وهؤلاء سادتنا، وعلماؤنا، وأساتذتنا، بالإضافة إلى صديق شخصى حميم، أشْرُف بصداقته ومودته وهو فضيلة الأستاذ الدكتور - أبو ليلة - الأستاذ بكلية البنات) ثم تلعثم فى ذكر اسمه حتى رجع له - أبو إسلام - أن يكون اسمه - محمد أبو ليلة - .

وأنا أظن أن المهدوى لا يعرف شيخ الأزهر، ولا رئيس جامعته، ولا الزميل العزيز أبا ليلة، وإنما هى أسماء قد علقت فى ذهنه أيام المؤتمر الذى عقد فى جامعة الأزهر تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر.

وهى أمور كلها لا تعنينا فى شيء، وهى تصريحات فى مقابلة صحفية لا تقدم ولا تؤخر.

المهدوى والسنة:

وما يهمنا فى هذا الحوار هى تصريحاته المتعلقة بأمور جادة، أراد هو وأمثاله أن يحولوها إلى هزل رخيص بقصد تضليل أمتهم، وما هم ببالغين من ذلك شيئا.

يقول المهدوى المستشار فى أكثر من عبارة يرد علىَّ كلامى عنه: إنه يقسم بالله على مسئوليته الخاصة أنه لم يتعرض إلى السنة النبوية فى شىء، ولا إلى رواتها الأماجد (كذا)، وهو مع الله أمام مسئوليته عن قسمه وما أقسم عليه.

ودعنى أحاول أن أخرج قسمه على أمر تقبله العقول، وتستسيغه الآذان، ذلك أن الرجل حين أقسم أنه لم يتناول السنة النبوية فى شىء، ربما كان يقصد السنة بمعنى الطريقة، وهو معنىً لغوى استعمله القرآن كثيراً، وليس هو موضوع الخلاف بيننا وبين المهدوى وأصحابه، وإنما الذى نخالفهم فيه هو السنة كما فهمها علماء الحديث، والتى هى أقوال النبى وأفعاله وتقريراته وصفاته، وقد نقصد معهم أحياناً إلى السنة فى مقابلة الفرض والواجب على نحو ما فهمها الفقهاء، والتى هى هذا الفعل الاختيارى الذى مارسه النبى ﷺ ولم يأمر به أمراً جازماً، وإنما تركه هكذا على الاختيار، بحيث لو أداه أحد من الناس أُجِرْ، ولو تركه لا يعاقب.

إن الخلاف بيننا وبين القوم على كل حال حول السنة بمعناها الاصطلاحى، وليس بيننا وبين القوم خلا ف حول السنة بمعناها اللغوى وإنما هى الطرق الملتوية فى العبث بعقول غير المتخصصين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنا قد حاولت أن أحمل كلام الرجل على وجه مقبول، لأُفْهم الناس قسمه، وعلى أى شىء أقسم، دون أن أقصد إلى أن أبرر له قسمه.

لقد أقسم الرجل على كل حال فى هذه المقابلة مراراً، على أنه لم يقصد إهانة السنة ولا رواتها، ومن اتهمه بذلك يكون قد كذب عليه.

وهو كلما ذكّره أبو إسلام بموقفه من السنة التى هى الوحى الثانى، انتفض كما ينتفض العصفور بلّله القطر، قائلاً بعبارة تملأ فمه: (أعوذ بالله).

ونحن نود كما يود غيرنا أن يكون كلام الرجل مطابقاً للواقع.

غير أننا حين عدنا إلى النظر فى كتابه، وجدنا صدق ماذكرناه عنه، الكتاب طافح به فى كل فقرة من فقراته صراحة لا يحتاج إلى شيء من الاستنباط، ولا يحتاج إلى ماهر يقرأ ما بين السطور.

وإذا كانت هذه المقدمة العاجلة لا تحتمل استقصاء مافى الكتاب، فإنه لا بأس أن نذكر من الأمثلة ما يغنينا عن الاستقصاء.

وها نحن فاعلون إن شاء الله.

فالمهدوى المستشار كسائر منكرى السنة لا يؤمن بشيء غير القرآن مهما كانت قيمته، والسنة من أوائل ما يرفضه، فالرجل يقول: [... **ولعل أول ما يقتضيه الإيمان أن يؤمن المسلم بالكتاب مفصلاً من عند الله متكاملاً بآياته لقوله تعالى** ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ **(النحل: ٨٩). وأنه ليس له من تفصيل غير الذى أنزل فيه لقوله تعالى:** ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ **(الإسراء: ١٢). وأنه إنما أنزل بعلم الله سبحانه وتعالى مفسراً ومبيناً، ولم يكل لبشر أن يأتى له بتفسير ليس فيه أو يفسره من تلقائه غير مسترشد بآياته لقوله تعالى** ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ **(القيامة: ١٦: ١٩) ... وأن ما يوصف بأنه سنة رسول الله ﷺ من حيث كونها تكميلاً للقرآن أو تفصيلاً أو تفسيراً له، مردود بما سبق من الآيات. ومرفوض كذلك بما تحددت به رسالة الرسول ﷺ كما بينها الله تعالى فى كتابه العزيز بتبليغ القرآن الكريم إلى الناس ليؤمنوا به، وليهتدوا بما جاء فيه، وقد وعد الله سبحانه بحفظ كتابه الكريم دون غيره.**

... ولكن الشيء الذى يصعب إثباته أن من كتب البخارى مثلاً هو البخارى نفسه.

... ومتى كان الأمر كذلك، وكان الله تبارك وتعالى قد حفظ لنا كتابه وفيه الدين كله مفصلاً، وفيه السنة أيضاً فيما تصف به الآيات الكريمة خلق الرسول الكريم وأفعاله وأقواله فيجب أن نكتفى بذلك ونهجر ماسواه.

... فلذلك ثمة فرض وسنة أو مندوب ومكروه وما شابه ذلك من التقسيمات فى الدين التى لم ينزل الله بها سلطاناً، ولكن هنالك شرعاً ومنهاجاً (كذا) هو الدين كما نزل به القرآن الكريم لا اختلاف فيه ولا خلاف عليه].

من السنة إلى القرآن:

وينتقل الرجل من السنة إلى القرآن بعد أن ظن أن السنة قد استبعدها المسلمون من ساحات التشريع، استجابة لإشارة من بنانه.

فماعساه أن يفعل بالقرآن؟.

إن الذى يتصفح كتابه الوحيد، والذى لم تنجب بنات أفكاره سواه، يجد أنه حين ذهب إلى القرآن، ذهب إليه بطريقة من يريد الإبداع فيه.

والمبدع فى الآداب شعراً ونثراً فى معظم الأحيان حر لا يقيده شىء، ولا يلتزم بضابط من الضوابط.

والمستشار حين ذهب إلى القرآن ذهب إليه على طريقة زملائه وسلفه، يخلع من رقبته كل رابطة موجودة أو محتملة.

فما ورد عن النبى ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً يبين به القرآن، يفصل به مجمله، ويقيد عامه أو نحو ذلك، رَفَضَه بشدة.

واللغة العربية عنده محترمة، ولكن بشرط أن تكون اللغة لغتنا ونحن نملكها كما كان الأقدمون يملكونها، ونملك أن نضيف إليها كما كانوا يملكون أن يضيفوا إليها، ونملك أن نحذف منها كما كانوا يملكون ذلك، ونملك أن نفهمها على طريقتنا كما كانوا يفهمونها على طرائقهم.

ثم يضيف صاحبنا فى مجال اللغة أننا إذا اعوجَّ لسان أحدنا باللغة، فإنه يجب عليه إصلاحه بطريقته الخاصة من خلال قوله تعالى:"**أفلا يتدبرون**

القرآن" فإن متدبر القرآن من اعوج لسانه باللغة علمها الله له على نحو ماقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) .

وهكذا تجد أمامك مشروعاً غريباً غاية في الغرابة، منفلتاً من كل انضباط، يتيح لكل فرد أن يفهم في القرآن على هواه أو على هوى غيره، بحيث يرضى بهذا الفهم من يشاء أن يرضيه إلا أن يكون الإرضاء هو إرضاء الله وإرضاء رسوله.

ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد محمد:

هذا ولقد سأل المحاور «أبو إسلام» «المهدوي المستشار» عن كتابه الذي نشر مع افتتاح العقد الأخير من القرن العشرين ماخواصه، وهل هو مسبوق في أفكاره...؟.

فأجاب المستشار في شيء من الحدة المشوبة بالحذر: هذا كتاب قد كتبته أجزاء وتفاريق وأنا أتدبر آيات القرآن الكريم، وما كنت أظن أني أنشيء كتاباً يقرؤه الناس، حتى دخل علي صديق (سماه ولم يشأ أن يشخصه) وقال هذه الكلمات – إن هذا الكتاب سينشر، وسيعترض عليه الناس، وسترد عليهم – .

يقول المستشار: والغريب أنه قد حدث كل ماذكره، حيث أقبل عليّ ناشر الكتاب ذات يوم وقال لي، هل انتهيت من الكتاب؟ قلت: الكتاب تَأَمُّلٌ في القرآن والقرآن لا يتناهى، قال: أقصد هل هناك جديد تضيفه؟ قلت: ادفع إلينا الكتاب ننشره، وقدّم إليّ عقداً وقّعته دون أن أنظر محتواه (كذا وقد صدق، وأحسب أنه وقّع الكتاب كما وقّع العقد).

يقول المهدوي: وقد ترك لي في الدار شيكاً بعاجل المبلغ ووعداً بآجله.

أما الكتاب نفسه فقد وصفه المهدوي بأنه: كتاب فريد في نوعه، لم يُسبق إلى فكرته، أو إلى منهج التحدث حول قضاياه، إلا أن يكون الذي سبقه هو النبي محمد نفسه، وما عداه أفكار وممارسات ناقصة أو مغلوطة، أو مكذوبة عن قصد أو عن غير قصد.

ويؤكد المهدوى أنه كان مؤهلاً لمثل هذا العمل الفريد لينشره بين الأمة، منذ أن كان طالباً في الجامعة، حيث تعرف على شيخ فاضل سماه (وكاتب هذه الصفحات يحسب هذا الشيخ الذى سماه فى الصالحين).

ومن يوم أن تعرف على هذا الشيخ وهو يحسب أنه مؤهل إلى عمل جليل، ولم يكن يعلم أن هذا العمل الجليل هو فهمه فى القرآن على نحو ماسنعرض إلى بعضه.

أما أن الرجل لم يُسْبَق إلى أفكار الكتاب أو إلى منهجه.

وأما أن الرجل لم يُسْبَق إلى حمل راية التدبر فى القرآن وحده. فهذا ادعاء لا دليل عليه، بل الدليل قائم على عكسه، وعكسه أن هناك شبكة فى العالم الإسلامى من رجال مشبوهين ظهروا فى أركان العالم الإسلامى كله، من أمثال: - عبد الله جكرالوى - (ت: ١٩١٨م) و - الخواجة أحمد دين - (١٨٦١ - ١٩٣٦م) و - الحافظ محمد أسلم - (١٨٨٠ - ١٩٥٥م) و - غلام أحمد برويز - (ولد ١٩٠٣ ولم أقف على تاريخ وفاته).

وهؤلاء جميعاً وغيرهم من أتباعهم قد ظهروا فى الهند والباكستان.

وفى ولاية «أريزونا بأمريكا» ظهرت جمعية خيرية يهودية ضمت مجموعة كبيرة من المسلمين فقط على رأسهم «رشاد خليفة» - المقتول، وقد تنبأ آخر عمره وزعم أن أفكاره لم يُسْبَق إليها، وأنه نبى الله إلى الأمريكان وغير الناطقين بالعربية على العموم، ومعجزته ورسالته جميعاً هما فهمه غير المسبوق فى القرآن، ووظيفته حمل الناس من أتباعه على أن يبشروا العالمين بكتاب، أو شخص جاء من بعد محمد ﷺ يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وعلى الناس أن يجيبوا داعى الله.

وفى المغرب العربى من هؤلاء الناس الكثيرون.

وفى مصر والسودان أبواق تُردد، وأشخاص يقومون بدور الكرازة أو الدعوة.

وما السيد المستشار إلا واحد من هؤلاء

صاحبي دعنا من هذه الدعوى العريضة التي يقول فيها المهدوي: إنه غير مسبوق بأفكاره، وإن كتابه هو الكتاب الذي أنزل من بعد محمد يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

دعنا من هذه الدعوى العريضة كي أنقل لك ما يحدثنا به الرجل عن كتابه الوحيد بحماس مصنوع.

الأمة تلقت كتابي بالقبول:

والشيء العجيب أن المستشار قد لجأ إلى شيء من التشويش والتهويش حين قال: إن كتابي حين طبع ووزع في العالم كله لم تعترض عليه حكومة (نعم حكومة) إسلامية واحدة، ولا هيئة رسمية، مع أن الكتاب قد طبعت منه عشرات الآلاف (كذا)، وحملت به المعارض في كل عاصمة ومصر، ووضعته يافعاً بين أيدي القراء.

وهنا قاطعه المحاور قائلاً: ترى كم عدد النسخ التي طبعت من هذا الكتاب؟ قال: عشرات الآلاف، فسأله كم طبعة نشرت من هذا الكتاب؟ قال: واحدة، ولم يعد منها في الأسواق شيء، ففاجأه المحاور بقراءة لبيان إحصائي وتسجيل رسمي خرج به الكتاب هذا نصه:

[الطبعة الأولى: ١٩٩٠م

مطبعة... (المغرب)

الكمية المطبوعة ٥٠٠٠ نسخة

رقم الإيداع......

رقم الإيداع القانوني......

الخزانة العامة......

حقوق الطبع......] فتلعثم الرجل من أثر المفاجأة ولم يحر جواباً مقبولاً، ولكنه مع ذلك استمر في التشويش والتهويش، وهو لا يعلم أن السحر ينقلب أحيانا على الساحر فقال: حين ظهر الكتاب بين الناس أحدث ردود فعل واسعة النطاق تدور حول هذه المحاور:

(أ) دعوى رفعت أمام القضاء الليبى قام بها اثنان من المحامين أمرهما إلى الله.

(ب) لقد شنت الصحف الليبية حملة عريضة ضد الكتاب ومؤلفه (يدفعها جميعاً الغيرة على هذا الدين) وشارك فيها كتاب لهم من الثقل الاجتماعى وعمق التأثير مالاينكر.

(جـ) أما المنابر فحدث عنها ولاحرج.

ومن أهَمِّ من تحدثوا من على المنابر أحد زملائى فى القضاء، مستشار مثلى ومازلت أحرص على صداقته، وصفنى بأنى: جهول، حقود، حسود، متسلط.

قال المستشار المهدوى: وأنا أفهم الصفات الثلاث الأول، ولكنى لا أفهم معنى - متسلط - .

(د) ثم قام مجموعة من المسلمين الغيورين وفرقت أفرادها على بلدان العالم الإسلامى، تعرض قضيتى على المؤسسات الإسلامية، فحصلوا من الأزهر على رأى الأستاذ جزر، وهو رافض للكتاب وقضاياه، وأعطاهم ما يفيد هذا الرفض كتابة.

ثم استطرد المستشار قائلاً: أرأيت إلى الأمة كيف تلقَّت كتابى هذا بالقبول والرضى؟!.

يالله!

هل فى الأمة من يقدر على مخالفة الحقيقة وهى واقفة فى وجه رأى العين دونما استحياء من مخالفتها وهى تنظر؟! نعم. لقد رأينا هذا رأى العين فى زماننا فى غير المهدوى، وأحيانا نراه ونسمعه باسم الدين نفسه.

وإنا لمنتظرون وعد الله الذى لا يتخلف: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(1).

---

(1) سورة الأنبياء ١٨.

وإن من يتأمل هذا النص فى صرامته، سوف تستبين له الحكمة من ذكره فى القرآن مرة واحدة، لم يشأ الله أن يكرره فى كتابه.

قضايا فى كتاب:

ودعنا نقترب من هذا الكتاب ننظره ولا نحلله ريثما يتاح لنا من الوقت والفرا غ، أو قل: ريثما تستحكم الضرورة إلى عرضه وتحليل قضاياه، فأنت خبير أن من العلم مايشبه الدواء، وأن من الآراء ما يشبه الخلاء لا يذهب المرء إليه إلا عند الضرورة.

ولما ظهرت فى هذه الأيام رائحة كريهة سببت بعض الأذى، كهذا الأثر المترتب على نشر هذا الكتاب، كان يكفينا اليوم أن ننظر فى بعض قضاياه بمقدار الحاجة، وأن ننظر فى بعض أفكاره على قدر الضرورة.

حين جاء الكتاب وصاحبه ينكر جميع مصادر التشريع فى الأمة، ويتخلص من القواعد التى على أساس منها استنبط العلماء أحكامهم، جاءت قضاياه فى كتابه مطلقة بغير قيد، خالية من كل التزام:

(أ) فالمسلمون منذ عصر النبى إلى الآن لا يحسن الواحد منهم يصلى صلاته، إذ المسلمون يظنون أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة هى: **الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء** - وهم مخطئون فى جل ماذكروه لافرق بين سلف الأمة وخلفها فى ذلك.

فالصلاة: خمس صلوات نعم، ولكنها على هذا الترتيب:

١) صلاة الصبح.

٢) صلاة أخرى بعد طلوع الشمس بقليل ولك أن تسميها كما شئت، صلاة العيدين، أو صلاة الضحى، المهم أنها صلاة مفروضة.

٣) وصلاة الظهر.

٤) وصلاة العصر.

٥) ثم صلاة الدلوك: ووقتها من غروب الشمس إلى اكتمال الظلام بغياب الشفق الأحمر، وهي صلاة واحدة على خلاف مافهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما.

وأداء الصلوات جميعاً على نحو ما يقول المستشار في الحضر ركعتان في جميع الصلوات، وفي الخوف أثناء الحرب ركعة واحدة، وليس في السفر ولا نحوه قصر ولا جمع.

والسجود في الصلاة إلى الأذقان على هيأة يعرفها المستشار ولا نعرفها، والبكاء عوض عن التسبيح حين يخر المسلمون إلى الأذقان سجداً.

ولا ندرى كيف يتهيأ المرء للصلاة، ولا كيف يؤذن المسلمون يجمعون أنفسهم لها.

وأنت خبير أنه ليس في الصلاة نوافل، وهو لا يعترف بها.

(ب) وكما أخطأ المسلمون في صلاتهم سلفهم وخلفهم، أخطأوا كذلك في صومهم.

فبداية الصوم عنده ذهاب كل الليل بطلوع الشمس، ونهاية الصوم عنده ذهاب النهار كله بغياب الشفق الأحمر، وهو الوقت الذى يعرفه المسلمون بأذان العشاء.

والرجل لا يلتفت إلى فعل المسلمين في الصوم، فليس هناك إمساك مع الفجر وليس هناك إفطار عند المغرب.

(جـ) والمسلمون في الحج والعمرة، وفي الزواج والطلاق، وفي كل عباداتهم وتصرفاتهم على خطأ وخطر، لا فرق بين سلف الأمة وخلفها.

وعلى الأمة إن أرادت أن تنجو أن تنصت إلى هذا الكتاب وقائله، فهو كتاب جاء من بعد محمد يهدى إلى حق لم يُهْدَ إليه النبى ولا أتباعه من بعده.

وكاتب هذه الصفحات يلفتك إلى ما سبق أن كتبه في مقدمة كتابه:

وكل عاقل لايبغى من عمله أكثر من هذين الأثرين الإستحسان والتحفــــظ أو حتـــى المعارضة .

وعليّ إزاء هذا الصدى أن أشكر الفريقين جميعا من إستحسن مقولتى ومـــن تحفــظ على بعضها على السواء

ولم يأتنى معارض إلى الآن بشئ يفرض على أن أعدل فى هذه الطبعة سوى ماقاله الدكتور مصطفى محمود من أن الله قد حكم فى القرآن على بعـــض عصـــاة المؤمنيـــن بالخلود فى النار ثم أضاف قائلا :وهذا الخلود الوارد فى الآيات لا معنى له إلا المكث فـى النار على التأبيد .

وأذكر أنى قلت له فى مناقشاتنا أن الخلود لا يعنى المكث إلى الأبد , ولو كان كذلـك لما جاز للقرآن أن يصف الخلود بالتأبيد على نحو ماورد فى ســورة النســاء والأحــزاب والجن , وفى هذه المواطن الثلاثة التى وصف فيها الخلود بالأبد " خالدين فيها أبدا " كـان الحديث عن الكافرين .

وفى حوار آخر سأل سائل قائلا : هل يمكن على وجه الدقة أن تحددوا لنا المنطقـــة التى سيكون فيها الشفاعة من بين أقسام البشر ؟

وقد حاولت أن أجيب السائل بهذا الجواب السريع الذى خلاصته : أن الناس ســيأتون يوم القيامة على ثلاثة أضرب :

١-الكافرون وهم هؤلاء الذين كفروا بآيات الله , وخلت قلوبهم من نحو الإيمان بـالله ,وملائكته ,وكتبه ورسله , واليوم الآخر , والقدر خيره وشره من الله ,إلى غير ذلك مـــن كل أمر قد علم من الدين بالضرورة , بحيث لا يتمارى إثنان فى أن الله عز وجل قد كلـف به عباده , وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم ووصل الينا واضحا لايحتاج الى دليل .

وهؤلاء قد حكم عليهم القرآن بالخلود الأبدى فى النار لاتنفعـــهم شــفاعة الشــافعين ,ولايغنى عنهم الفداء ,ولو كان الفداء ملء الأرض ذهباً مقابل نجاة كـــافر واحــد , ولا يصلح لهم ناصر ينصرهم من دون الله .

٢-المؤمنون الذين إرتكبوا صغائر الذنوب ,وماتو على غير إصرار أو توبة وهـؤلاء قد حكم القرآن فيهم كذلك حيث قال :

"إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً "

٣- المؤمنون العصاة الذين إرتكبوا الكبيرة ولم يتوبوا منها وماتو على ذلك هــؤلاء قــد أقبلو على الله وقد خلطوا عملا" صالحا" وآخر سيئا".

والعقل هنا وفى مصير هؤلاء القوم له أربع إحتمالات :

أ-الإحتمال الأول : أن يقول الله لهؤلاء القوم الذين جاؤوه بعمل صالح وآخر ســـيء: إن عملكم الصالح قد أبطلناه , وعملكم السيء قد إعتمدناه وسندخلكم النار مع الكافرين .

وهذا الإحتمال وإن كان العقل يحتمله إلا أن القرآن يأباه حيث قال الله :"إن الله لا يظلـــم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ", وحيـث يقـول :"فمـن يعمـــــل مثقـــــال ذرة خـــــيرا يـــــره "

ش

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله كما علمنا أن نحمد والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آلـــه وأصحابه أجمعين.

وبعد : فقد خرج بحمد الله كتابنا " حوار مع د/ مصطفى محمود فى الشـفاعة " للقراء فى طبعته الأولى ، فاستحسن البعض منهم مااستحسنوه ، وتحفـظ البعـض علـى بعض افكاره .

واتصل بنا عبر الهاتف نماذج ممن استحسنوا أفكار هذا الكتاب ، كما اتصل بنا آخرون ممن تحفظوا على بعض ما فيه ، وتحاورنا معاً عبر الهاتف فبدا على كثير منـــهم علامات الاستحسان .

وكان من بين الذين ناقشوا معنا أفكار هذا الكتاب بعد خروجه فى طبعته الأولـى الأستاذ الدكتور " سامي حجازى " ممثلاً للفريق الأول أصدق تمثيل ، والأستاذ الدكتـور " مصطفى محمود " ممثلاً للفريق الثانى أصدق تمثيل .

ولقد أحسست من النقاش الذى جرى بينى وبين هؤلاء وهؤلاء أنــه مــازالت ساحة العلم تحتفظ بمنهجية العلم وآداب العلماء .

وأحب هنا أن أضيف إلى هذا الذى لاحظته أن للعقل نوع خطــاب ، وللنقــاش قاموس يحتفظ بألفاظ تعبر عن آداب النقاش بحيث لو التزمنا العقــل فــى موضوعيتــه، والأسلوب فى أخلاقه لكان لنا مواقف مختلفة فى قضايا العلم ومناقشة الفكر .

ولقد بلغ من دماثة الخلق لدى الدكتور مصطفى محمود ، أنه بعد أن اطلع علــى ماكتبناه فى طبعتنا الأولى، اتصل بى وأخبرنى أنه بصدد إعداد كتاب عن الشفاعة سيظهر قريباً ، وطلب منى أن يقرأ علىّ مقدمة هذا الكتاب الذى لم يخرج إلى القراء بعد ، وأنصت إليه وهو يقرأ بصوته الهادىء الرخيم مقدمة مخطوطته التى لم تتجاوز أربعة أسطر كمــا قال .

وخلاصة هذه المقدمة التى قرأها على أنه أراد أن يقول لقرائه إن ماكتبــه فــى الشفاعة لايعدو أن يكون اجتهاداً منه قد يصيب فيه وقد يخطىء شأن كل مجتهد ، مؤكــداً أنه لم يدع لنفسه العصمة، أو النزاهة عن الخطأ وما ينبغى له أن يفعل .

وقلت له معقباً على ماسمعته منه : إنك لو لم تقل ما قلت فى المقدمــــة ، فإنــه ينبغى على مثلى أن يدرك ذلك عنك .

ثم عقب هو قائلا أشكر لك أن إحتملتنى وإتسع صدرك لما قلت ,وناقشته بـــهذا الأسلو بالهادىء .

وحييته كما قال القرآن بما يناسب تحيته , وإنصرف عنى وإنصرفت عنــــه بعـد أن دعانى للقائه ,وأجبت دعوته شاكرا".

نشر الكتاب فى طبعته الأولى , وأحدث ما ذكرته لك من صدى , وإنقسم النـاس أول ظهوره الى مستحسن ومتحفظ .

و ظنوا أنهم يوم القيامة سيذهبون إلى نبيهم يشفع لهم ....إلى أن سخر الكاتب بعبارات كثيرة من المسلمين و عقائدهم في الشفاعة التي ستنتهي إن وقعت إلى أن يعتقدوا في أن دخول الجنة (سبهلله) و ما كان لهم أن يعتقدوا ذلك .

ما أن نشرت الأهرام هذه المقالات وقرأناها حتى توقعنا أن هذه المقالات ما هي إلا فتح باب من النار على عقائد المسلمين تأتى عليها كلها سوط عذاب ،و المسلمون ينظرون إلى عقديتهم تتألم من نيران القوم ،و القوم يحسبون أنهم قادرون على هذه العقائد يعذبونها كلما نضج جلدها بدلوها جلدا آخر لتبقى في العذاب إلى يوم القيامة .

توقعنا هذا واحتملناه و صح في وقت قصير ما توقعناه واحتملناه فكان ما كان مما أسلفت ذكره و أوضحت أمره .

و إني لأؤكد لك عزيزي القارئ على أمربما غاب عنك إدراكه هو أن الجسم الحي وحده هو الذي يتعرض لهجمة الفيروس و الميكروب و بمقدار ما يكون في الجسم الحي من مقدرة جهاز المناعة بمقدار ما يرد الهجمة الفيروسية أو الميكروبية عنه لا تنال منه سوءا ولا تمسه بالأذى .

و أعود فأكرر بين يديك أن أملي في الله كبير و هو خير مسئول ألا يحرمني شرف الدفاع عن دينه شريعة و عقيدة ،و ألا يحرمني شرف الدفاع عن نبيه و عصمته و شخصيته و تقديره واحترامه و مكانته في أمته .

ربي هذا الدعاء و عليك الإجابة فأنت حسبنا ونعم الوكيل فاجعل إرادتك بنا خيرا و بصرنا بمواقع أقدامنا .

روضة دمياط - صيف ١٩٩٩

أ.د/ طه الدسوقي حبيشي

عنهم من الجمهور و عقاب القانون لهم ينزله بهم الحاكم المسلم ليحملـــهم علـــى احـــترام ثوابت الأمة .

و أنا لا ألومك حين تزدرى القوم وتجد عليهم ولكنى لا أوافقك حين تعتب على إذ القـــوم يشيعون فتنا يوهمون الناس بأنها الحق ،و بعض الناس قليل الخبرة ،وفى المسلمين كما قـــال القرآن (سماعون لهم) .

من أجل ذلك لفـــتنا النظر إلى ما قالوه إلى أن نفرغ لعرضه و مناقشته بما يســـتأهله مـــن النقاش الذي يدفع الخطر و يبطل الباطل .

ب. وثاني هذين الأمرين أن المعجزة المادية للأنبياء خرافة يجـــب علـــى المســـلمين أن يتصدوا لجميع المرويات التي تنقلـــها ،علـــى أنهـــا واقـــع تـــاريخي رآه النـــاس بأعينـــــهم و تجاوبوا معه في حينه .

و ما ذكره القوم من هذه المعجزات في هذا الزمان جاء فى بعض الرسائل العلمية الجامعيـــة ونشرت له ملخصات في الصحف و هب أصحاب المشاعر والعقول جميعا يكذبون ذلـــك ويقولون كلمتهم فيه .

و القضية على كل حال ما زالت مطروحة لم ينته الجدل حولها .

هذان فريقان اتفق لنا أن رأيناهما على السطح يتحدثون عن شـــخصية الأنبيـــاء و عمـــا للأنبياء من معجـــزات يظهرها الله على أيديهم خوارق للعادات لتكون إحـــدى دلائـــل نبوتهم .

وهذان الفريقان تروس في آلة ضخمة يديرها المختصون في إدارتها وتنجذب إليـــهم هـــذه التروس بعضهم بالطبع و بعضهم بالأجر .

وهناك فيالق و كتائب أخرى تعمل في مجال آخر وهو مجال إنكار السنة جملة و إبعادها عـــن مجال التشريع ،باعتبار ذلك خطوة أولى تتلوها خطوة أخرى هي إنكار القرآن الكريم ،وقـــد ظهرت على الساحة بوادرها حيث قد صرح هؤلاء القوم مثلا باستبعاد القرآن المدني كلـــه كما صرحوا بوجوب تغيير ألفاظ القرآن حيث في بعضها ما يجرح مشاعر إخوانهم اليهود .

و موضوع إنكار السنة قد تابعناه بفضل الله منذ ما يزيد عن عشر سنوات ،حيث صـــدرت لنا نشرات مختلفة في هذا المجال ،و نحن نعتزم بفضل الله ألا نضع القلم ما دام الله قد رزقنـــا عقلا يفكر ، ولسانا ينطق ، و قلبا شيحانا ، و أملنا في الله (وهو خير مسئول) ألا يحرمنـــا أدوات التصدي لمن يغبرون في وجه السنة أو يحاولون أن يغبروا في وجه الأنبياء .

إنها ملاحظة على كل حال قد لاحظناها ورصدناها بعد أن نشرت الأهرام هذه المقـــالات التي تحمل للمسلمين نبأ أن الشفاعة زيف و تضليل ،و أنها أكذوبة في الأمة صدقها البســطاء

- **أحدهما** : ينكر على المسلمين احترام النبي بل الأنبياء ونسبة العصمة لهم .
- **ثانيهما** : الإنكار على المسلمين في أخذهم بسنة النبي و اعتمادها أصلا من أصول التشريع و هو أمر يراه هؤلاء القوم أمرا خطيرا يجب عليهم أن يقاوموه .

لقد أنصتنا إلى القوم الذين صدر عنهم هذا الضجيج واستخلصنا أهدافهم ، وانحصرت الأهداف في هاتين النقطتين لا تكاد تعدوهما .

ونظم أصحاب هذه الأهداف أنفسهم في فرق مختلفة يهيأ إلى الناظرين أنه لا يوجد جامع بينها يجمعها وينتظمها كلها لا يخطئ منها واحدة .

و الحق أن هؤلاء يلتقون جمعيا في الظلام ليختص كل فريق منهم بما يناط به من عمل يحقق ما ينتظر منه من أغراض . .

و الذين تحدثوا عن شخصية الأنبياء صرخوا من زاوية تخصهم في هذا الزمان بأمرين :

أ. أحد هذين الأمرين أن الأنبياء لا عصمة لهم بل يجوز عليهم الخطأ و الخطيئة ،ويقع منهم العصيان و المخالفة ،فهم بشر من البشر وهم ناس من الناس ،بل إنك لتجد في معايير القوم المختلفة أنه يجوز أن يكون النبي عندهم كافرا و مشركا وفى أقل القليل عاصيا يدخل النار يوم القيامة وأدنى رجال أمته في جنات النعيم .

وإني لألمح على فمك عزيزي القارئ ابتسامة سخرية من القوم قد تنتهي بك إلى نظرة عتاب لي .

وابتسامتك من القوم مفهومة السبب معروفة العلة ،إذ الرسول و النبي يستمدان أقدارهما من مرسلهما الذي صنعهما على عينه و اصطنعهما لنفسه فمن وجده منهم يتيما آواه ، ومن وجده عائلا أغناه ، ومن وجده ضالا هداه .

ثم هو يشرح للنبي صدره ،ويضع عنه وزره ويرفع له ذكره ،وما ذاك إلا لأنه سفيره إلى عباده ،ومصطفاه من بين جميع خلقه أمين على وحيه لو زاد فيه أو نقص أخذ منه باليمين ثم قطع منه الوتين .

وكلام القوم عن الأنبياء و عصمتهم يخالف ذلك كله وغيره كثير ،الأمر الذي يستوجب السخرية منهم .

و أما نظرة العتاب التي ألمحها في وجهك لى فقد يكون سببها أنك تعتب علي لأني أهتم بموضوعات يجب إهدارها ،و أناقش قضايا يتحتم علينا الزهد في مناقشتها و أقبل على القوم بوجه هم لا يستحقون مجرد النظر فيه إنما الذي يستأهلونه و يسوغونه هو الإعراض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله نحمده على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار والصلاة والسلام على نبيـــــه الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وبعد .

فلقد طلب إلى أن أكتب مقدمة الطبعة الثالثة بعد أن توقع الناس مني أن أوافق على هـــذه الطبعة الثالثة تلبية لهذه الحاجات الملحة إليها والرغبات المشرئبة للإطلاع عليها .

وأقول كما قلت في مقدمة الطبعة الثانية إني لم أجد من الوقت والفراغ مع هـــذا الإلحـــاح على خروج هذه الطبعة الثالثة ما يمكنني من الإطلاع على الطبعة الثانية ومراجعة ما جـــاء فيها من أفكار وقضايا وحلول ترتبط بهذه القضايا فأضيف إليها أو أحذف منها أو أوســـع في بعضها أو أختزل البعض الآخر أو ما شابه ذلك .

لم أجد الفراغ مع الإلحاح على سرعة إخراج هذه الطبعة ما يمكنني من التأمل في سابقتها .

كما أنني لم أجد عندي ما يحملني على مراجعة الطبعات السابقة والتأمل فيها حيث لم يمض كبير وقت على نشر الكتاب في طبعتيه الأولى و الثانية .

كما أنني في مناشدتي للقراء في مقدمة الطبعة الثانية أن يوافـــوني مشـــكورين بأفكـــارهم وأراءهم لم أجـــد إلى الآن منهم رسائل وصلت إلى تعلق على الطبعات السابقة ومـــا ورد فيها من أفكار .

لكل هذه الحيثيات رأيت أن يخرج الكتاب في طبعته الثالثة على نحو ما خرج عليه في طبعتيه الأولى والثانية بغير زيادة أو حذف ، بل بغير مساس بما ورد فيهما من أفكار ، بحيث يمكـــن لي أن أقول أن الكتاب في طبعته الثالثة كما هو في طبعتيه الأولى والثانية .

لكنى أحب هنا أن أسجل ملاحظة لا تخفى على القراء ، وهى ملاحظة لها دلالـــه معينـــة لا يجوز لي معها أن أهمل الإشارة إليها ، إلى أن يتاح لي من الوقت و الفراغ ما أتمكن معـــهما أن أعالج موضوعها في نشرة خاصة أو نشرات إذا أراد الله أن يوفقني إلى ذلك .

وهذه الملاحظة هي : أنه بمجرد أن نشرت الأهرام مجموعة المقالات حول موضوع الشـفاعة ومجموعة المقالات حول موضوع تعويم يوم عرفة المؤيدين و المعارضين على السواء انفتحـت أبواب خرج منها أشخاص ملأوا الدنيا بالمكاء و التصدية ، و أزعجوا الآذان وهم يضربـون المناضد بالأيدي و يركلون الأرض بالأقدام فأنصت و أنصت الناس لنتبين ما يقوله القـــوم نستخلصه من ركام الأصوات المتجمع من المكاء و التصديه ، ومن ضرب المناضد بالأيدي وركل الأرض بالأقدام فإذا بهذا الذي استخلصناه يحدد أهداف القوم في اتجاهين رئيسين .

وسؤالي الآن هو: ما الذي حمل المستشار على شد الرحال إلى المسجد الأقصى؟ أهي السنة التي ينكرها؟ أم هو صوت يشق الظلام لا يسمعه إلا أمثال المستشار، ولا نسمعه نحن. ناداه فاستجاب. فشد الرحال إلى المسجد الأقصى. ثم أخذ من هناك الزاد والراحلة إلى البيت الحرام؟.

إنا لا نعلم فياليت قومي يعلمون.

منتصف ليلة الجمعة

الثالث والعشرون من مايو ٢٠٠٢م

الحادي عشر من ربيع الأول ١٤٢٣هـ

(ذكرى ميلادي النبي ﷺ)

أ. د/ طه الدسوقي حبيشي الدمياطي

فإن وجد له مايؤيده أصبح بعد تأييده عظيم النفع بالغ القيمة، يمكن الاطمئنان إليه فى إصدار الأحكام.

وهكذا قد تخلصت بعد أن تحول هذا الفرض إلى حقيقة واقعة من جزء مهم كان يؤرقنى حين نشرت الكتاب فى طبعاته السابقة وهو: أن فى الكتاب جزءاً لم يتوصل الباحث إلى حسمه أو القضاء فيه استناداً إلى قطعى من الأقوال أو الوثائق.

وأنا حين أخلص هذا البحث من هذا العيب فى هذه الطبعة، أشعر بأنه يجب علىّ أن أقدم لله بالغ الشكر فى كل حال أن أسبغ علىَّ نعمته، ومنحنى فضله، لا لشىء إلا لأننى آمنت به رباً كريماً يعطى بغير عوض، ويمنح بغير مقابل.

وإنى لمتعلق به أن يرضى أن أكون له عبداً، ولنبيه وسنته خادماً، وأن يدخلنى فى الصالحين، وأن يُلحق بى أهلى وذريتى.

وأنت أيها القارىء أرجو أن أكون قد أسعدتك بإزاحة هذه الحيرة عن كاهلك، بعد أن حولت بين يديك بفضل الله فرضاً افترضته فى الطبعات السابقة إلى حقيقة علمية.

استفسار قبل أن أخلى بينك وبين الكتاب:

لكنى لم أشأ أن أتركك حتى أسألك علك توافينى بما يسعدنى فى إزالة الحيرة عنى، على نحو ما أسعدتك حين ذكرت لك ما يزيل الحيرة عنك، استناداً إلى قاعدة **"هل جزاء الإحسن إلا الإحسان"**.

وسؤالى لك ميسر وأرجو أن تكون إجابتك عليه ميسرة يسر السؤال نفسه.

أثناء الحوار تطوع المستشار بهذه المعلومات للأستاذ أحمد عبدالله قال: **ذهبت إلى الحج فى شتاء سنة ١٩٦٩م دون أن أمُرَّ بالمسجد الأقصى على أرض فلسطين المحتلة. غير أنى قد قمت بعمل العمرة سنة ١٩٦٥م بعد أن شددت الرحال إلى المسجد الأقصى.**

المهدوى: متى حدث ذلك؟

حدث ذلك سنة ١٩٧٦.

المهدوى: إذن أنت تعرف كل شىء وتريد أن تستنطقنى فقط لتكون الحقيقة على لسانى موثقة؟ ومع ذلك فإنه كان بيني وبين الطبيب مصطفى محمود فكر متبادل فى هذا التاريخ.

الأستاذ أحمد عبدالله: تذكر آخر مقابلة بينك وبين الطبيب مصطفى محمود؟.

المستشار: نعم. كان ذلك فى عام ١٩٩٨م.

الأستاذ أحمد: بعدها أعد العدة مباشرة للحديث عن إنكار الشفاعة؟.

هنا تلعثم السيد المستشار وقال عبارته المتكررة: إنك حريص غاية الحرص على استنطاقى بمعلومات أنت تعرفها مسبقاً.

الأستاذ أحمد: ولم لا. إنى رجل صحفى هذه مهنتى. أحاورك لا من فراغ. وإنما بعد أن أجمع جميع معلوماتى عنك وعن فكرك قبل أن أجلس إليك. فدورى ليس فقط الكشف عن المعلومة. وإنما هو مع ذلك الحرص على توثيقها.

هذا هو جزء من الحوار الذى جرى بين الأستاذ أحمد والسيد المستشار المهدوى، وهو جزء مهم بالنسبة لى، حيث اكتملت به الصورة الفكرية واستقرت فى ذهنى كاملة عن الطبيب مصطفى محمود.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن بعض ما أوردته احتمالاً، وذكرته فرضاً كى أسبب به اتجاهاً جديداً اتجه إليه الطبيب مصطفى محمود، قد تحول بعد تأييده بهذه المعلومات من فرض محتمل إلى حقيقة واقعة، تفرض نفسها على الباحث والقارىء جميعاً، وهى خطوة فى مجال العلم، تعد من الخطوات الحاسمة، إذ الفرض يبقى هكذا ناقص القيمة، قليل الجدوى، لا يعدو فى مرتبته مرتبة المثير، حتى يجد له من الوثائق مايؤيده،

- الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة - وما كتبه فى مقدمة كتابه - الاعتبار ببقاء الجنة والنار - فى طبعته الثانيه، تقرأهما كى تتمكن من تصنيف هذا الرجل وأصحابه بين الرجال، وتصنيف كتابه وآرائه بين الكتب والآراء.

لقاء المصطفَيْنَ على أرض مصر:

وإنى لأنصح لك أن تصحبنى قليلاً لِنُكْمِلَ فكرتنا هذه على نحو مابدأناها منذ قليل، فهذه المصاحبة على هذا النحو أجدى لى ولك، وأنفع فى مجال استكشاف الحق، واستجلاء الواقع.

قلت فيما قلت: إننى قد افترضت أن الطبيب «مصطفى محمود» قل لقى بعض جهابذة القول بإنكار السنة، فتأثر بهم وأثروا فيه، فذهب إلى ماذهبوا إليه من إنكار السنة جملة وتفصيلاً.

ومرت الحوادث بعد طبع كتابى هذا الذى بين يديك فى طبعته الثالثة على نحو ما ذكرت لك.

وبينما كان صديقى الأستاذ - أحمد عبد الله - يحاور المستشار المهدوى - فى لقائهما بتاريخ - الثلاثاء - السابع عشر من شهر أغسطس - سنة ألف وتسعمائة تسع وتسعين - بـ - جراند أوتيل - بـ - شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة - .

بينما كان صديقى الأستاذ - أحمد عبدالله - يحاور المستشار مصطفى المهدوى - فاجأه بسؤال هذا نصه: **الأستاذ المستشار هل سبق لك زيارة الطبيب - مصطفى محمود - فى مصر أو زارك فى ليبيا؟.**

السيد المستشار: نعم. بينى وبينه صلة قوية.

تذكر اللقاء الأول بينكما؟

نعم. وبكل تأكيد.

لقد كان اللقاء الأول بيننا سنة ١٩٧٦.

الأستاذ أحمد عبدالله: يوم أن أنكر بعض الحدود فى الشريعة الإسلامية وأذاعها بين الناس فى مقالات، ثم فى كتب.

إلى غير ذلك من الآيات والنصوص التى تقضى بأن الله لا يخالف العدل إلى الظلـــم , إذ أن مخالفةالعدل إلى الظلم عند من يقول : بأن مرتكب الكبيرة مخلد فى النـــار قبيــح والله منزه عن القبائح .

ب-الإحتمال الثانى : أن يقول الله عز وجل لمرتكب الكبيرة الذى خلط عمـــلا" صالحـــا" وآخر سيئا" ادخل الجنة أولا لتستوفى جزاء عملك الصالح ثم أدخل النار إلى الأبد بعملـــك السيئ .

وهذا الإحتمال وإن كان عقليا" إلا أن سنن الله فى خلقه تأباه , وذلك أن الله إذا أدخل العبـد الجنة لينعمه فإنه ينعم جسمه وروحه , ونعيم الروح مشروط برضى صاحب النزل عـــن النزيل , أعنى أنه لا يحصل النعيم فى الجنة إلا إذا رضى الله عن المنعم فيها , وقد جرت سنة الله أنه إذا رضى فى الآخرة لايسخط أبدا.

ومن هنا فإن الله إذا أدخل عبدا" من عباده الجنة ونعمه برضاه عنه فإنه لايسخط عليه أبـدا , إذ السخط بعد

الرضا معناه المطالبة بحق بعد التنازل عنه , وهو غير لائق فى خُلُق البشر , وهو عنـــد الله عظيم .

ج- والإحتمال الثالث : أن يقول الله عز وجل للذى خلط عملا" صالحـــا" وآخـــر ســـيئا" سنمحو لك العمل السيئ , ونترك لك العمل الصالح تدخل به الجنة .

وهذا إحتمال عقلى وارد.

وفى هذا الإحتمال مخالفة للعدل الإلهى .

وهذا صحيح لا ينازع فيه أحد .

غير أن هذه المخالفة ليست إلى ظلم ,و إنما هى الى تفضل وإحسان .

وأنت خبير أن مخالفة العدل يمكن أن تكون إلى إضاعة الحقوق وهذا ظلـــم ، ويمكـــن أن تكون إلى التفضل والإنعام وهذا فضل.

ومخالفة العدل إلى الظلم قبيحة .

ومخالفة العدل إلى الفضل قيمة يتصف بها كل كريم ، وأعلاها بلا حدود صفـــة الخالق الكريم .

د-والاحتمال الرابع : هو أن يُدخل من جاءه بعمل صالح وآخر سئ النار بعملـــه الســـئ يبقى فيها فترة ، ثم يخرج منها وقد امتحش جلده ، أى تفحم ، ليعيـــد الله إليـــه حيويتـــه ويدخله الجنة بما له من عمل صالح.

وهذا هوالعدل .

قلت لسائلى بعد هذا التقسيم لعلك قد فهمت ما أريد أن أقول لك .

ولعلك قد وعيت حديث النبى الذى قال فيه : " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى "

وستكون الشفاعة فى هذين الموطنين للذين جوزهما العقل والشـــرع فـــى حـــال مرتكب الكبيرة.

فالله إن تجاوز عن العمل السئ وأدخل مرتكب الكبيرة الجنة بعمله الصالح ، قـد يتوقف ذلك الإجراء على شفاعة الشافعين مـن الأنبيـاء أو العلمـاء ، أو الملائكـة ، أو الشهداء ، أو الصالحين .
والذى يدخله الله النار بعدله ، ثم بعد أن يمتحش جلده يخرجه من النار ، قد يعلق الله ذلـك بشفاعة من أذن له بالشفاعة .
والأمر واضح لاسترة به .

لكنه قد يثار هنا سؤال :ما فائدة الشفاعة فى الموقف كله ، والأمر يومئذ لله ؟.
أقول : إن الشفاعة هنا إنما تعنى رد الاعتبار إلى الشفعاء إزاء ما أصابهم فى الدنيا .
فالأنبياء قد لاقوا من أقوامهم ملاقوه ، وكذا الصادقون من العلماء ، ناهيك عـن الشهيد الذى سقط وهو يدافع عن دينه بأيدِ آثمة ، والصالحون قد أخبرنا الله عن متاعبـهم فى كل عصر " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون "، وهم الذين قـال الله فيهم يوم القيامة وهو يرد على توسلات أهل النار " قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنـه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إنى جزيتهم اليوم بما صبروا إنهم هـم الفائزون " والملائكة يتأذون مما يتأذى منه بنوآدم ، ولكنهم مكلفون أن يصاحبوا بنـى آدم فى بعض أحوالهم فيكتبون عليهم ولهم ,فيسرون ويبتئسون هؤلاء جميعا" ألا يجوز لهم من موقف يرد الله لهم إعتبارهم ولو كان ذلك فى عرصات القيامة ؟!
هذه هى الشفاعة موطنها وحكمتها على نحو مابين يديك من قضايا يعرضها هذا الكتاب .
نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب وكان لها مالها من أصداء , إستوجبت شكر الموافقين والمعاضين على السواء .
ولم أجد إلى الآن شيئا" أتى إلى يستوجب إعادة النظر فى شيئ .
ولم أجد فى نفسى رغبة إلى إضافة جديد فوق ماقلته فى الطبعة الأولى لكنى أطمـع فـى كرم القراء أن يوافونى بآرائهم لإثراء الفكرة , وأن يرسلوا إلى بوثائقـهم التـى تؤيـد ماذكرناه , أو تؤيد رأى المعارض , أو تفيدونا فى هذا المجال حتى تأتى الفكرة أقرب إلـى الكمال .
وأقول مع الدكتور مصطفى محمود : إنى لا أدعى العصمة لنفسى ولا حتى الكمال .
ثم أقول لكل مسلم : هذا جهدى بين يديك فإن أصبت فهذا شأن حكمة ربى وفعلـه , وإن أخطأت فعلى الشيطان اللعنة ,ومنى الإستغفار .
والله ربى وربكم نسأله أن يثبت على الخير أقدامنا , وأن يوفقنا الى موجبات رضاه .

الجيزة
أ.د/طه الدسوقى حبيشى

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... وبعد

فإنه ليسعدنى بالغ السعادة أن ألتقى فكريا بالدكتور مصطفى محمود نتجاذب معاً أطراف الحديث، حتى ولو كان ذلك من خلال صفحات أسطرها، ومن خلال سطور يكتبها.

ومبلغ سعادتى قد لا أعرف منتهاه.

غير أن سبب هذه السعادة ومبررها أمور ائتلفت وامتزجت، حتى تكون منها خليط له مذاقه الخاص، يعرفه العلماء إذا ماتذوقوه ويتجاوبون معه حين يتمثلونه.

ومن هذه الأسباب التى ائتلفت وامتزجت، أننا كثيراً مانلتقى فكريا على أرض مشتركة يكون لى فيها قدر أشاركه بسببه هذه الأرض، وإن كانت الأرض بينى وبينه على المشاع.

وأحسب أن كثيرين غيرى يشاركونه هذه الأرض ويقفون معه عليها، وهم يتجاذبون بجدية بالغة أطراف أحاديث جادة، تعالج مسائل حرجة، تضنيهم أحياناً، وتأخذ من أعصابهم فى جميع الأحايين.

ومن أسباب سعادتى حين ألتقى بهذا المفكر العظيم فى كل مرة وفى هذه المرة خاصة، أنه يتصور العلم كما أتصوره مسائل جادة، ليس للهزل عليها من سلطان، وأنه يتصور التفكير كما أتصوره لاتكتمل أركانه إلا إذا ماتخذ من القداسة قبلة يتجه إليها، ولا تتم مقوماته إلا حين يدخل وقت الرهبة التى تحيط المفكر والفكر جميعاً بحصانة تامة لم يجعل الله لموجود سواه أن يرفعها مهما كان السلطان وضراوته، ومهما كانت القوة ومالها من سعة الاقتدار.

إنه ينظر كما أنظر إلى العلم والفكر بشئ من القداسة غيرهين، وشئ من التقدير يشيع فى الأجواء المحيطة عبق الهيبة، وأريج الاحترام.

وإذا كان الكثيرون من الناس ينظرون إلى التفكير وإلى العلم كما أنظر أنا وصاحبى إليهما، فإن هناك البعض الذين لايرون فيهما أكثر من هذه الكلمات المتقاطعة يلهو بها كل من أراد أن يملأ فراغه أو يقطع وقته.

والعلم والتفكير عند هؤلاء من خلال نظرتهم تلك لايعدوان أن يكونا أداتين من أدوات اللهو البرئ أو غير البرئ يشبهان هذه الأشياء التى يلهو بها الصبيان، فتضفى عليهم شيئاً من المتاع النفسى أو الروحى وهم راضون بهذا المتاع قانعون به، ليس لهم فوقه من مطلب، وليس لهم بعده من رغبة.

ومفكرنا الكبير وأنا معه نرجو جميعاً أن نتنزه فوق هذه النظرة إلى العلم وإلى التفكير جميعاً، ونأمل أن يكون طابعنا فى كل حال أن تمتاز نظرتنا إلى العلم، واصطناعنا لأساليب التفكير بقدر لايستهان به من الجدية التى لايجوز لعالم أن يفرط فى شئ منها.

ومن الأشياء التى ملأتنى بالسرور، حتى كان السرور وحده حشو إهابى حين ألتقى بالمفكر الكبير عبر هذه الصفحات، أننى أذكر له مواقفه حين يحتك عقله بالعقول، وحين يتساند سلوكه مع سلوك غيره على وفاق أو على غير وفاق، فأجده رجلاً غير هياب حين يقول كلمة الحق مبتدئاً بها أو عائداً إليها.

وتاريخ الرجل مملوءٌ بالشواهد التى تؤكد هذين الموقفين، أعنى أنه يقول كلمة الحق ابتداءً، وأنه يعود إلى الحق حين يلوح الحق له.

كثيراً مانلتقى على أرض مشتركة وفكر مشترك دون أن يجمعنا مجلس يذكره، وإن كانت جمعتنا بعض المجالس أذكرها، ولكننى هذه المرة أفضل أن نلتقى على أرض محايدة لأن الموضوع الذى سنتحدث فيه معاً قد تختلف فيه زاوية الرؤية، إذ الزاوية التى سأنظر منها قد تختلف عن الزاوية التى سينظر منها المفكر الكبير.

ولست أدرى ما إذا كان الحوار سينتهى بنا إلى وفاق، أم أننا سننتهى ومازال الخلاف قائما.

ولكننى أدرى شيئاً مهماً يجب علىّ إنصافاً للرجل أن أذكره الآن وقبل أن نبدأ الحوار، وهو: أنه قد سبق لى وله أن التقينا قبل ثلاثين عاماً تقريباً تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً لست أدرى على أرض محايدة نناقش ما أثاره يومها تحت عنوان «محاولة تفسير عصرى للقرآن الكريم» فى قضايا متفرقات نشرتها له مجلة «صباح الخير» فى مقالات أسبوعية جمعت بعد ذلك فى كتاب يحمل العنوان نفسه فيما أذكر.

ولقد كنت ممن يتابعون مقالاته وأنا طالب وقتها فى الجامعة.

والرجل قد شجعنا على أن نناقشه فيما يكتب، وقد صرح يومها أن صدره يتسع للرأى الآخر لايضيق به، ولا يزور عن مخالفيه.

فحملتنى الرغبة فى ابداء الرأى على أن أكتب تعقيباً مطولاً على كل قضية يحملها إلىّ وإلى الناس مقاله الأسبوعى، فأستحسن ما أستحسن من أفكار الرجل، وأتحفظ على ما أتحفظ عليه مما توصل إليه من النتائج، مؤيداً موافقتى ومخالفتى بما توفر بين يدى من دليل مكنتنى منه أدوات طالب يستقبل حياته الفكرية غضاً طرياً.

والرجل قد أعلن أنه لن يستقبل التعقيبات إلا فى نهاية المقالات.

وأنهى الرجل مقالاته فجمعت أوراقى وذهبت إليه، فقابلته داخل المصعد الكهربائى فسلمته أوراقى دون أن أقول شيئاً، فتسلمها دون أن يبدى إعجاباً أو يظهر سخطاً.

وانصرفت وانصرف وذهب كل منا إلى وجهته.

وجاء دور الردود على ماوقع تحت يديه من تعقيبات، وحملت المجلة نفسها ردود الرجل على قرائه كل بما يناسبه، أو بالأحرى كل بما يناسب قوله.

فلما جاء دور الحديث عنى لم يزد على كتابة هذه الكلمات:

[أما الأخ طه الدسوقى حبيشى الطالب بقسم الفلسفة فله عدة ملاحظات على كلامى فى قصة الخلق، الذى دللت فيه على أن القرآن يقول بالتطور .

يقول الأخ طه: إن مايقوله دارون فى هذه القضية لايقوم عليه دليل فهو إذن لايرتفع إلى درجة النظرية، بل هو مجرد فرض ولا يصح أن نسلم به أو نورد له استدلالات قرآنية.

والأخ طه ينسى أنى رفضت نظرية دارون كنظرية ولم آخذ منها إلا الحقائق التشريحية المؤكدة التى تثبت بما لايدع مجالاً للشك أن جميع الكائنات الحية أسرة واحدة بينها وشائج عضوية.

والجانب النظرى من الدارونية يفترض أن الارتقاء من أدنى فرع من هذه الأسرة إلى أعلى فرع تم بمقتضى قانون تنازع البقاء .. وهذا الجانب هو الذى يجوز عليه الرفض أو القبول لأنه اجتهاد داروين واستنباطه .. وقد استبعدته وبينت أسباب هذا الاستبعاد .. أما الحقائق التشريحية فهى واقع ويقين ملموس لايمكن تخطيه.

ويقول الأخ طه إن الآية ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ واردة فى مخاطبة نوح لقومه ﴿مالكم لاترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ وقوم نوح لم يكونوا ليعرفوا شيئاً عن نظرية داروين .. فيكون من الطبيعى إذن أن نفسر الأطوار بأنها أطوار الطفولة والشباب والشيخوخة أو أطوار الجنين فى الرحم على الأكثر.

وردى على هذا أن القرآن نزل لكل العصور والدهور وأن كلماته هى كلمات إلهية وبالتالى غير محددة المعنى فهى تفضى لكل عصر بعمق جديد من أعماقها وهكذا نزداد فهماً لها كلما ازدادت معارفنا.

وهذا هو الفرق بين كلام الله وكلام المناسبات.

ونخطئ أشد الخطأ إذا قصرنا معانى الآيات على حدود مناسباتها.

ويفسر الأخ طه الآية {هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً} بأنها مرحلة الطين قبل أن يستوى آدم بشراً بالنفخ الإلهى .. وأن آدم ابتداء مطلق لايمكن أن يكون قد سبقته مرحلة.

وأنا أسأل الأخ طه .. هل أنت متأكد. وكيف تأتى لك هذا اليقين.

إنه اجتهاد إذن ..

من الجائز أن تكون على صواب، وأن أكون على خطأ. والعلم عند الله].

وإنى قد حرصت على أن أنقل هذه الكلمات بين يديك حين كنت مع الرجل على أرض محايدة التقينا عليها للمرة الأولى قبل ثلاثين عاماً مضت، وأوصلنا مضيها إلى اللحظة التى نحياها، لا لشئ إلا لأنى أردت أن أنصف الرجل وأبرز بعض خواصه.

ومع ذلك فإنى حين استدعيت الذاكرة، واستعنت على استدعائها بما كتب الرجل منذ ثلاثين عاما، قد انتابنى شعور لا أستطيع أن أخفيه، كما أنى لا أستطيع أن أتبين حقيقته.

والذى أثار هذا الشعور المجهول عندى، هو أننى قد فقدت هذه الأوراق التى أمليتها كى أصطحبها معى للقاء الأول مع الكاتب الكبير على الأرض المحايدة.

وفقد هذه الأوراق قد أشعرنى ولا شك بأن هناك شيئاً مهماً في حياتى، كان علىّ أن أحتفظ بصورة منه أعود إليها كلما احتجت أن أتذكر فترة مهمة من فترات حياتى.

ولقد أعاننى على الشعور بالأسى إن شئت أن أسميه شعوراً بالأسى، هذه الغرابة التى تحيط بذاكرة الإنسان.

وأنا على يقين أن ذاكرة الإنسان عجيبة ولا شك، تذكر أشياء ومواقف لا تكاد تنساها مهما بعدت الأزمنة بين وقوعها وإرادة تذكرها واستحضارها، من غير أن يكون لهذا التذكر السريع لتلك الأشياء سبب معلوم.

وذاكرة الإنسان نفسها تنسى أشياء كأن لم يكن بينها وبينها عهد.

فمهما أراد الإنسان أن يذكرها، ومهما اصطنع من الأسباب لتذكرها، لاتكاد الذاكرة تسعفه بشئ قل هذا الشئ أو كثر، من غير أن يكون لهذا النسيان كذلك سبب معلوم، ولا علة مفهومة.

ألم أقل لك إن ذاكرة الإنسان عجيبة؟

وهذه الذاكرة العجيبة نفسها قد استعصت علىّ أن أذكر شيئاً من الموضوعات أو الأوراق التى كتبت عليها تلك الموضوعات، التى كانت محلاً للنقاش على أرض الحياد الأولى مع المفكر الكبير.

وسوف لا آسى كثيراً على ما فات.

وسوف أنتزع نفسى من هذا الشعور الغامض لأعد نفسى من جديد وبعد ثلاثين عاماً، كى ألتقى بصاحبى على أرض محايدة مرة أخرى.

وقد قلت: إن هذا اللقاء على هذه الأرض لدارسة هذا الموضوع الجديد، لايساعدنى على التنبؤ بشئ، فقد نخرج على وفاق، وقد يختلف بنا الرأى بحيث لايمكننا الخلاف من الوفاق.

غير أن قياس الحال على الحال يجعلنى أقول: إنه مهما كانت النتيجة التى سينتهى إليها الحوار بينى وبين صاحبى، فإننى لن أجد من الرجل ضيقاً يعتريه، أو ازوراراً عن النقاش ينتابه، فما كان الضيق له بخلق، وما كان الازورار له بطابع نعلمه منه.

وموضوع الحوار هذه المرة موضوع واحد هو موضوع: «الشفاعة فى الآخرة» بين أن نقر بها أو أن ننحيها جانباً حتى تستقيم حياتنا الفكرية والعملية على السواء.

وأعترف أن الحوار كله لن يأتى بشئ جديد، لا فى أسلوب طَرْحِه، ولا فى اصطناع الوسائل للإثبات أو النفى، ولا بالنسبة للنتائج التى سينتهى إليها الرأى عند كلَيْنا.

فالمسألة مستوفاة، وأسلوب طرحها قديم متجدد، وانقسام الناس حولها ظاهر لاسترة به.

لكن الجديد الذى قد يطرأ على طرح المسألة هذه المرة هو: فى وضع خطوط بارزة تحت الجذور أو الأصول التى نبعت منها، أو تفرعت عليها مسألة الشفاعة إنكاراً أو إثباتاً.

كما أن الجديد أيضا فى طرح المسألة هذه المرة سيظهر فى محاولة إبراز الآثار التى قد يحاول أحدنا أو كلانا ربطها بمسألة الشفاعة، باعتبارها ناتجاً يترتب على اعتقاد الشفاعة إمكاناً ووقوعاً، أو اعتقاد نفيها إمكاناً ووقوعاً كذلك.

وأعترف أن المسألة على صغر حجمها حين نطرحها على هذا النحو من الطرح ستحتاج منا - **ولانشك فى ذلك** - إلى بذل كثير من المجهود فى تأمل بعض الأشياء الدقيقة التى تتصل بالأصول، أوما يتفرع على هذه الأصول من قضايا، وما يترتب عليها من نتائج.

وأرجو أن لايغضب صاحبى - **وعادته ألا يغضب** - إن قلت له أن بعض المسائل يضر بها ضرراً بالغاً حين يعالجها إنسان ذو عقل كبير كصاحبى بأسلوب صحفى فضفاض، يعتمد على المثير أكثر من اعتماده على المقدمات والنتائج.

ويكون الضرر قد وصل إلى غايته بالقضية المطروحة، حين نذكر أموراً نظرية تحتاج إلى استدلال وتأمل، ثم نوهم القارئ بأنها مسلمات، أو بدهيات لاتحتاج إلى دليل، ولا تحتاج إلى تأمل.

وإنى لأعلم أنه لايُرْضى صاحبى أن نعمد إلى علم من العلوم، فنمنحه صفات علم آخر بما يدلس على القارئ، أو يلقى به فى متاهة فكرية يصعب عليه أن يخلص منها.

وذلك أن ندعى على سبيل المثال أن "**علم السيرة**" مرادف لـ «علوم الحديث» وأن كتب "**الحديث**" هى نفسها كتب «السيرة».

أو ما شابه ذلك وله فى ساحة الفكر نظائر وأشباه.

هذا وإنى لأرجو أن يكون لقاؤنا على أرض محايدة سبباً لتذكر الماضى حين كنا معاً على أرض محايدة، وانتهى بنا الحديث يومها إلى ما انتهى إليه من الرضى الذى لا أعرف نسَبَه الآن، وإنى لقانع بوجود أصله حين وَقَعْتُ فريسة لذاكرتى تلك العجيبة.

وكأنى بصاحبى لايذكر إلا هذين اللقاءين على أرض الحياد، لكنى أذكر له الكثير من لقاءاتنا على أرض الوفاق.

أما وإنى قد أدركت ابتسامة الرضى مطبوعة على فم صاحبى، فإنى فى لطف المداعبة أسير به أو يسير هو بى نحو أرض الحياد، لنطرح ماشئنا من قضايا جزئية، تخدم قضيتنا التى رأى صاحبى أن يطرحها أولاً، وأن أعقب عليها بما أراه من تعقيب.

فإلى هناك

ثوابت تحكمية أدت إلى نفى الشفاعة

كلمة ممهدة

إنه لما يشرح الصدر ويريح الفؤاد أن تتحدث إلى إنسان يكون معك على وفاق فى مسلمات العلم وقواعد البحث لا ينازعك فى شئ منها.

ومن مسلمات العلم وقواعد البحث الصحيح أن يكون الباحث على يقين من أن كل دين أو مذهب اجتماعي تحكمه بالضرورة ثوابته ومتغيراته.

ذلك أنه يستحيل أن يقوم مذهب أو دين على ثوابت فقط لاتقبل التحرك، ولا تتسع للمرونة مهما تعددت الوقائع الحسية، ومهما تنوعت أحداث السلوك.

كما أنه يستحيل كذلك أن يقوم مذهب أو دين صحيح على مجموعة من المبادئ المتغيرة التى تستجيب لكل هوى، والتى تطاوع كل ناعق يدعواها أن تستجيب، وأن تطاوع كلما ناداها مناد، أو نَعَقَ بها ناعق، حتى ولو كان ذلك فى غير صالح البشرية، وحتى ولو كان ذلك ضد أهداف الإنسانية العامة أو الخاصة.

وما كان لبشر أن يتصور ديناً أو مذهباً اجتماعّياً على هذه الصورة أو تلك، إلا أن يكون هذا المتصور نفسه من أصحاب الهوى الجامح، أو من أصحاب المنفعة الشخصية التى تفضُل عنده كل شئ.

وإنك لواجد هؤلاء الأصناف من البشر وهم على نوعين:

أحدهما: هذا الذى يمتاز بالقصور الفكرى الذى يقعد به عن أن يطاول أقرانه، وهو يرغب فى مطاولتهم فلا يجد مايطاولهم به، إلا أن يجنح إلى المخالفة، ولو فى بدهيات العقول، فتضعه هذه المخالفة فى مكان بارز تراه العيون، وتشير إليه الأصابع، وهو لايهتم بعد ذلك بحال العيون الناظرة إليه حين تراه، ولا بحال الأصابع المشيرة إليه حين ترتفع إليه بالإشارة.

وثانيهما: هذا الذى يرتفع فوق القصور الفكرى وهو يستطيع أن يطاول أقرانه فى مجال الفكر والمعرفة، ولكنه صاحب منفعة وصاحب هوى يغلبانه على أمره لايملك لهما دفعاً، ولا يملك عنهما فكاكاً.

وهذان النوعان من البشر يلجآن دائماً إلى المذاهب الاجتماعية والديانات التشريعية، فيزوران عليهما بإحدى طريقتين.

إما بطريقة ادعاء أن: هذه المذاهب والديانات قد صُبت فى قوالب جامدة لاتتحرك ولا تستجيب لما يملأ الحدثين من وقائع، تقتضيها علاقات البشر بعضهم مع بعض، أو علاقات البشر مع مايحيط بهم من مظاهر الكون والحياة على العموم.

وإما بطريقة الادعاء بأن: هذه المذاهب وتلك الديانات التشريعية حرة الحركة دائماً، لايضبطها إلا أهواء، تابعيها وما تعارفوا عليه من واقع يظنون ظناً أنه هو مصلحتهم العامة، التى لو ذهبت من أيديهم خسروا الدنيا والآخرة.

إنك لواجدٌ فى المجتمع هؤلاء الشواذ الذين يُحسبون على الأمة مفكرين، وهم فى الحقيقة أكثر ضرراً على الأمة من أى شئ يخطر لك على بال، أو من أى شئ يكاد لايتصوره فؤادك.

ومن حسن الحظ ويمن الطالع ودقة تدبير القدر، أننى مع صاحبى على وفاق من أن المذاهب والديانات جميعاً لابد أن تحكمها أصول ثابتة، كما أنها يجب أن تشتمل على متغيرات تلبى حاجات كلُ طارئ جديد، شريطة أن ألا تخرج بنا الرغبة فى تلبية حاجات كل طارئ عن الأطر العامة للثوابت التى هى مميز الدين أو المذهب.

ولما كان الأمر بينى وبين صاحبى على هذا الوفاق، فإنه يجب علىّ أن أنصت إليه وهو يحدثنى عما يراه من الثوابت التى أدت به وبغيره إلى القول بنفى الشفاعة فى الآخرة.

ولأن صاحبى قد صرح لى ولقرائه بأنه مُجْهَدُ قليلاً بسبب ما تعرض له من ظروف صحية ألجأته إلى دخول غرفة العمليات [حفظه الله لأمته]، فإنى أستأذنه أن أعرض عليه ما قد كتبه من هذه المسلمات، ورفع به إلى بعض الصحف اليومية فطارت به إلى قرائه فقرؤوها، فاستحسنها منه القليلون، ونظر إليه نظرة العتاب من قرائه كثرة هو أحرص على إرضائها من غيره.

ثوابت أدت إلى إنكار الشفاعة:

هذا وإن صاحبى من خلال كتاباته كان واضحاً فى عرض ثوابته التي أدت به إلى إنكار الشفاعة إنكاراً تاماً فى ثلاث مقالات متواليات.

ولأمانة العلم أقول: إننى كنت أشعر وأنا أطالع كتاباته أنه يقول شيئا فى كتاباته ويجريه على سن قلمه، وعقله الباطن يطارده يريد أن يحمله على أن يغير من قوله.

وظل الصراع بين قلمه وعقله الباطن يتعالجان إلى أن انتهى من مقالاته الثلاث.

فتراه مرة يجزم بأنه لاشفاعة.

وتراه مرة يجزم بأن الشفاعة غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، ومن يجزم بنفى أو إثبات فيها يكون جزمه رجماً بالغيب.

وتراه مرة ثالثة يقر بالشفاعة لكنه يقول: إن دلالة اللفظ اللغوى لكلمة "**الشفاعة**"، مساوٍ تماماً لدلالة لفظ "**البشارة**"، بحيث يصلح هذا أن يوضع في محل ذاك.

وما هذا الاضطراب فى النتائج كما أرى إلا نتيجة هذا الصراع المحتدم بين ظاهر الرجل وباطنه، أو بين إيمان الرجل المستقر ومؤثرات القول الذى تردد بين يديه، معروف النسبة لأصحابه من خلال العبارات التى كتبها هو، ولم تسعفه ظروفه الصحية أن ينظر فيها بتأمله المعهود، فاضطربت إلى حينٍ إن شاء الله الأحكام الصادرة عن الرجل، وما أظنه إلا عائداً لاستقراره.

وسوف أحاول أن أتتبع الثوابت كما صدرت عن صاحبى وسأعد تصويرى لها بمثابة الذى يقرأ بين يديه ما كتبه هو بيده.

الثابت الأول

والثابت الأول الذى يراه الرجل وقد أدى به إلى إنكار الشفاعة هو أن الإسلام قد وضع معياراً للنجاة يوم القيامة من النار، وهذا المعيار هو أن الله لن يسمح بدخول الجنة إلا للأقلية.

أما الكثرة فهى من أهل النار.

وهذا هو الثابت الأول الذى أدى بالقطع إلى إنكار الشفاعة عنده.

ذلك أن الشفاعة لو وقعت فى الآخرة لانقلب الناموس الإلهى، وذهب هذا الثابت أدراج الرياح، إذ إن صاحبى يرى أن الشفاعة ليس لها من معنى إلا أن يُخْرج من النار أناس يدخلون الجنة، وتنقلب المعايير ويصبح سكان الجنه أكثرية وتبقى الأقلية يُسَّعر بها الجحيم.

وتلك كما يقول الرجل : (**سبهللة غير منضبطة**).

وأعترف أنى لا أفهم معنى كلمة (**سبهللة**) ولا مدى نفعها فى معيار العلم الذى يتطلب منا تحديد معانى الألفاظ بدقة حتى يتم بيننا التفاهم بيسر وسهولة.

ظلال ومؤثرات:

والرجل معذور حين اتخذ هذه المسلمة أساساً له.

نعم أقول : إن الرجل معذور، فلقد تأمل المجتمع العالمى من حوله، فوجدهم يتنادون بأن الحكم للأغلبية، وأن العدالة والإنصاف يدوران مع الكثرة حيث دارت.

والمجتمع العالمى يعتبر الكثرة هى أهم أركان الديمقراطية.

وصاحبنا يقرأ هذا ويعجب به منذ سنوات.

وصاحبنا يقرأ مبادئ الديمقراطية كلها منذ أعوام مضت، وإنى لألمح وهو يقرأ فى مبادئ الديمقراطية، دموع الأسى على الشيوعية تترقرق فى

عينيه وهو يحاول كبح جماحها، حتى لاتحرق بحرارتها إذا سقطت وجنتيه الناضرتين.

وكأنى ألمح الرجل وهو مستغرق فى قراء ته للديمقراطية أول عهده بها ابتسامة الرضى عن هذا المذهب تذهب على شفتيه لايقاومها، بل إنه قد أطلق لها العنان حتى قد تراء ت لى صورته فى مخيلتى وقد اختلطت فى ملامحها الضحكات بالدموع.

غير أن الذى فاجأ الرجل كما فاجأ الكثيرين أن هذه الكثرة التى تنادى بها الديمقراطية وتدير معها قيم العدالة والإنصاف، وتلصق بها أحقية الانفراد بالحكم، ماهى إلا كثرة ضالة، وما هى إلا غوغائية حمقاء.

فعاد كما عاد غيره إلى المبدأ يتأملونه، ولم تمهلهم الأحداث يتأملونه، حيث شهدوا على أرض الواقع الذى هو أكثر إغراباً من الخيال قلة مسيطرة، وكثرة هى أقرب إلى الهمج الهامج قد استبدت بالأمم، القلة تدمر وتعبث، والكثرة المنتفعة أو المشلولة تصفق وتوافق، أو تتحالف مع الشيطان الأخرس على الصمت تحت شعار "**العولمة**" إن شئت.

أو تحت شعار "**النظام العالمى الجديد**" إن أردت.

أو تحت أى شعار يحلو لك فما أكثر من يشتغلون الآن بنحت الألفاظ فى الظلام.

قلت: إن صاحبى معذور فما كاد ينفض يديه من آثار الشيوعية التى غمرتنا جميعاً بآثارها الدامية، وَوَضَعَهَا في ماء بارد كما شبه لنا وقتها، حتى وجدنا هذا الماء نفسه ووجده صاحبى على نحو ماذكرت لك.

والفكر عندنا وعند صاحبى لم يستقر بعد، فخرج صاحبى بهذه الظلال من تلك التجربة التى ترتب عليها تصوره أن الكثرة ضلال، وأن القلة هى صاحبة الفردوس المفقود.

إنى لأعذر الرجل ولكنى لا أبرر له، والفرق شاسع بين أن أعذره، وبين أن أبرر له.

والشئ الذى لم أكن أتوقعه من صاحبى هو أنه يُحَمِّل الإسلام مسئولية نظام اجتماعي لم يضعه الإسلام، ولم يحملنا على اتباعه، ولكنها كما يقول سنة الأكثرية التى قالت لنا: **(ياما فى السجن مظاليم)**.

تلك هى القاعدة الأولى أو المسلمة الأولى: التى اعتبرها صاحبى إحدى ثوابته، وقال: إنها ثابتة من ثوابت الإسلام، ورتب عليها إنكار الشفاعة.

أرأيت إلى أوليات الفكر إن وُضعت وضعاً خاطئاً كيف تكون نتائجها؟

وأظنك قد اشتقت إلى أن تسمع كلام صاحبى بحروفه فى تأسيس هذه القاعدة التى أخالفه فيها ونحن على أرض محايدة.

وسوف لا أحُول بينك وبين شهوة اشتهيتها فما أنا بالذى أفعل، ودونك كلام الرجل بحروفه.

كتب الدكتور مصطفى محمود مقالاً تحت عنوان **(الأغلبية والأقلية)**

وقد افتتح المقال بقوله:

[المعاناة هى سلم الوصول إلى رحمة الله.

والدعاء هو المفتاح إلى باب القبول.

وقد أكرمنى الله أن أصعد هذا الدرج الشاق عدة مرات فى حياتى] .

ثم استغرق فى حديثَىْ الشجون والعتاب فشغلا بضعة أسطر إلى أن قال:

[- - - فى دنيا الفوز بالأغلبية يوصلك إلى الفوز بكل شئ فأحزاب الأغلبية هى التى تفوز بالمناصب وهى التى تمثل الشعب أكثر وهى التى تمثل وجهات النظر الأكثر عدلاً والأكثر إنصافاً .. وأن تكون مع الأغلبية معناها أن تكون مع الحق ومع أهل الصدارة .. هذا حال الدنيا .. أما فى الآخرة فيعلمنا ربنا أن الأغلبية على ضلال .. وأن الأكثرية فى جهنم .. فأكثر الناس فى القرآن لايعلمون وأكثر الناس لايفقهون وأكثر الناس لايؤمنون وأكثر الناس لايعقلون .. إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل .. ويقول ربنا عن الأكثرية .. إن يتبعون إلا الظن .. فهم على الباطل دائماً وهم الأخسرون على طول الخط .. ولن يدخل الجنه فى آخر المطاف إلا الأقلية.

يقول ربنا عن هذه الفئة الناجية .. وقليل من عبادي الشكور .. ويقول عن المؤمنين .. وقليل ما هم.

وهذه هي القلة المرشحة للفوز بالجنة.. فلا اعتبار للأغلبية في الآخرة والكثرة لا قيمة لها. فنحن أمام انتقائية صارمة.. وغربال ضيق الخروق لن ينفذ منه إلا الصفوة وصفوة الصفوة..

ولن يجرؤ صوت أن يرتفع أمام هذه الانتقائية الربانية الصارمة - حتى الملائكة.. لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا.. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

ولا شفاعة سوف تخرج أحداً من النار..

... أما الشفاعة بمعني هدم الناموس وإخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنة.. فهي فوضى الوسايط التي نعرفها في الدنيا.. ولا وجود لها في الآخرة.

... وما الهدف من أمثال هذه الأحاديث المدسوسة سوى إفساد الدين والتحريض على التسيب والانحلال وفتح باب الجنة "سبهللة" للكل .. لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلاً .. لا أبرح حتى تُدخل كل أمتي الجنة يارب.

ومرويات كثيرة رواها أصحابها بلا عدد وبلا حصر...

... هل هذه لحظة يساوم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيراً قط في حياته.

إن لم يكن هذا هو الهزل ... فماذا يكون]

ثم ينتهي إلي القول:

[..أما الكلام مجرد الكلام فلا يقدم ولا يؤخر.

[أما قال وقلنا وقالوا فهي شقشقة ألسن ومجرد هراء لن يُدخل أحداً جنة ولن ينجي أحداً من نار][1].

هكذا كتب صاحبي حول هذا الثابت الأول.

---

(١) راجع الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٩٩/٤/٣م مقال د/ مصطفى محمود تحت عنوان (الأغلبية والأقلية) . عدد رقم ٤١٠٢٥.

وأعود فأذكرك بأن الثابت الأول من ثوابته التى أدت إلى إنكار الشفاعة هو: أن الجنة مستقر الأقلية، وأن النار مستقر الأغلبية الضالة، وأن الوسيلة إلي ذلك الانتقاء والاصطفاء من خلال غرابيل ضاقت خروقها.

أما كانت هذه السطور وهو علي أرض محايدة مع الدكتور في مسلمته الأولى، لا يوافق على هذه المسلمة لسبب بسيط وهو : أنه ما كان لعقل من العقول أن يتسع لاعتبار الكثرة أو القلة، وإتخاذ هذه النسبة العددية ميزان الشعرة الدقيق الذى تقاس إليه القيم فَيَميز بين صالحها وطالحها، والذي نعود إليه محتكمين فيحق الحق ويبطل الباطل ولو رغمت أنوف.

وصاحبي محق حين يشن الهجمة علي سكان كوكب المعمورة، حيث اعتبروا الكثرة مناط العدل، واعتبروها الكوكب الدوار التى تدور معه الفضيلة حيث دار، وزعموا أن للكثرة العددية حق الحكم والسيطرة والهيمنة، لأنها وحدها هي التى تنقل الناس من صحراء الحيرة إلى عتبات الفردوس المنشود.

إني مع صاحبى أعضده وآخذ بيده وأرمي بالحجة فى وجه معارضيه.

وبينما أنا أدفع عنه بكل ما لدى من عتاد فكرى، إذا به ينهي عن ثابتة ويأتى بمثلها، ويعالج خطأ بخطأ فيما أري فيقول: إن معيار الحق مع الكثرة يجوز في الدنيا، ، أما الآخرة فسوف تشرق الأرض بنور ربها وينصب ميزان العمل.

ولسان ميزان العدل عند الرجل هو الاعتبار العددى نفسه، مع فارق بسيط هو أن الناس في الدنيا أداروا الحق مع الأكثرية، وصاحبي يُدير الحق مع الأقلية مهما كانت.

أما وإنى قد رغبت فى أن أضع يدى في يد صاحبى لنشعر دفء الحق، ونحن نقول جميعاً، إننا قد تبرأنا من أن نعرف الحق بالرجال، وآمنا أن دفء الحقيقة في أن نتعرف إلى الحق فنعرف أهله، فإن كثر أهل الحق وأتباعه فلا بأس، وإن قل أهل الحق وتابعوه فلا بأس، ولا ضير على الحق ولا على ميعار الحق حين يكثر تابعوه أو يقلون.

الثابت الثانى

والثابت الثانى من الثوابت الفكرية، والتى اعتبرها صاحبي من ثوابت الإسلام نفسه، وهو قد أدي به إلي إنكار الشفاعة هو: أن العذاب الأخروى، والعذاب الأخروى وحده: المسئول عن انضباط الحياة الدنيوية.

ويترتب على هذا، بل إنه يتفرع عليه أن اليوم الآخر لن يكون له من مَظْهَر إلا هذه الرهبة المتمثلة فى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾(١)

أو المتمثلة فى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٢) .

أو في نحو ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾(٣)

أو هذه الرهبة المتمثلة في غير ذلك من الآيات المبثوثة فى القرآن الكريم.

ويرى صاحبي أن هذا الأصل ينال منه ويقلل من فاعليته وقوع الشفاعة في الآخرة، وذلك حين يرى البعض أنهم قد ينالهم قسط من الشفاعة ينأى بهم عن رهبة هذا اليوم، ويجنبهم أهواله.

وهذا الاحتمال نفسه، دون سواه كاف فى أن يحملنا على إنكار الشفاعة جملة وتفصيلاً.

---

(١) التكوير: الآية (١-١٢).

(٢) الانفطار: الآية (١-٥).

(٣) الانشقاق: الآية (١-٥).

وأنا لن أعجلك برأيي الذى وجب أن أبديه لأحدد موقفي الدينى من هذا الأصل.

لأنى أحب قبل أن أطلعك على رأيى أن أصور لك هذا الأصل بكلمات صاحبى وحروفه، حتى أوفر لك قسطاً كافياً من العلم اليقينى، وأنت حكم علي ما أقول ويقول الرجل، وأنا وأنت وصاحبى محكومون بشعار(إن كنت ناقلاً فالصحة. وإن كنت مدعيا فالدليل).

إني لن أطلعك على رأيي قبل ان اصور رأى صاحبي بألفاظه حفاظاً على أمانة التصوير والنقل، وحرصاً على وظيفة القارىء الذى رزقه الله البصيرة، وهي وظيفة التأمل البصير، الذي سينتهى من قراءته ولا شك وهو يعلم أين الحق المناط بدينه في هذه المسألة خاصة، وفى غيرها من المسائل علي العموم.

وأعتذر لقارئى سلفاً لأنه سيجد شيئاً من العسر يسبب له شيئاً من الضيق في كل مرة أنقل بين يديه كلام صاحبي بحروفه، فسوف يجده كلاماً فضفاضاً تعوزه الدقة، ويحتاج إلى شيء غير يسير من الانضباط، والعناصر التى تكون الأفكار العامة مبعثرة لا رابط بينها ولاجامع، الأمر الذي جاء علي خلاف ما يتوقع قارئى.

فقارئى يتوقع أن تأتي الفكرة في مقدمات منضبطة إلى نتائج واضحة.

وأنا أقول لقارئى بادى ذى بدء: إنه لن يجد بغيته ولن يحصل على مطلوبه.

ويعلم الله كم بذلت له من جهد كي أحقق له شيئاً مما يطلبه، لكي يبدو الكلام أحسن، ولكي يبدو العرض أحسن.

وأنا أعذر المفكر الكبير فلعله كتب منفعلاً، أو صدر عنه ما صدر وهو مشغول بأمور جسام، ربما تكون مصيرية فجاء عرض مقالاته علي طريقة ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

قال صاحبي يشرح هذا الثابت الثاني وسط ركام من الكلام المبتوت الصلة بهذا الأصل [.... **ويوم القيامة يوم عظيم ويوم مجموع له الناس ويوم مشهود لا يمكن أن يكون محلاً لهذا التبسيط ولهذه الخفة في الفهم.**

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١) .

....وينسون أنهم بكلامهم (**عن وقوع الشفاعة في الآخرة**) يفسدون جلال المشهد ويهدمون جدية اللحظة التي تشيب لها الولدان، وتزيغ فيها الأبصار، وتنعقد الألسن، وتتزلزل الأقدام، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت.

هذه اللحظة الهائلة التي يحشد فيها القرآن كل ألوان الأهوال ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾(٢)

هل هذه لحظة يساوم (٣) فيها النبى ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيراً قط في حياته.

إن لم يكن هذا هو الهزل.. فماذا يكون..؟

وحاش الله ... ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا].(٤)

---

(١) البقرة الآية ٢٥٤.

(٢) التكوير: الآية (١-١٢).

(٣) هل هذه الجرأة في الحديث التي تمثلت في هذه العبارة وغيرها تناسب حال الرجل الذى ذكره في آخر المقال حيث قال:[.**تأملات طافت بى وأنا أتأهب للدخول إلى غرفة العمليات قد ألقي فيها ربى أو أفوز منه بجائزة الشفاء سبحانه لا إله إلا هو ولا رجاء إلا فيه**]؟!.

أم أنه محكوم بأحواله فهو يتحدث عن موقف يوم القيامة برهبة تُنسيه الرهبة التى تملأ قلبه من – **مالك يوم الدين** – ، فإذا ذكر حاله واحتياجه إلى ربه نسي رهبة – **يوم الدين**–؟!.

سبحانك ربى وضعت في كل قلب سره.

(٤) السابق.

وأنهي العبارات التى أنقلها من كلام صاحبي لأصور رأيه في هذا الأصل بقوله [... **والحكمة القرآنية في هذا التعتيم (كذا) في قضية الشفاعة .. إن الله أراد لنا أن نعيش علي حذر عظيم وعلى خوف عظيم طوال الوقت من هذا اليوم. وأن يخلق فينا برحمتة مشاعر التقوي التي هي درعنا الوحيدة التى ستحفظنا من التردى**](١) .

رأينا فى هذا الأصل:

وما ذكره صاحبى في هذا الأصل جيد قال به كثيرون من المفكرين، بل إنى لأزعم أن ما ذكره الرجل محل إجماع بين العلماء متدينين وغير متدينين، فلاسفة أو مليين، لا يشد عن ذلك إلا هؤلاء الدهريون، وموقعهم ما نعلم جميعاً من مسيرة الحضارة الإنسانية.

غير أن صاحبى حين ذكر هذا الأصل لم يذكره على تمامه، وإنما لأمر يعلمه الله عز وجل اكتفي الرجل بشطر الأصل، واستغنى به عن الكل، ثم بنى على هذا الشطر أحكاماً رأى أنها قد تفرعت علي ما ذكره.

ونحن لا نوافقه على الاجتزاء لأننا نعلم أن الجزء لا يعبر عن الكل بالضرورة.

وبالتالي فإننا لا نوافقه على ما استنبطه من الأحكام، أو فرعه من التفريعات مستنداً إلى ما ذكره من الأصل المبتور.

وهذا إجمال أجد لزاماً على أن أفصّله تفصيلاً ليجلو الأمر بيني وبين صاحبى أولاً، وبينى وبين قرائى وقرائه ثانياً.

فأقول: قد اتفق العلماء على تصوير هذا الأصل على هذا النحو المفهوم والواضح، والذى خلاصته: أن الله عز وجل من حكمته أنه قد ربط بين الحياة الأخروية بما فيها من ثواب وعقاب، نعم، بما فيها من ثواب وعقاب وبين هذه الحياة الدنيوية، وما تحويه من أفعال وأقوال تقوم عليهما العلاقة بين المكلفين،

---

(١) الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٤/٦٧م.مقال د. مصطفى محمود تحت عنوان **(حول موضوع الشفاعة)** عدد رقم ٤١٠٣٩.

وأساس هذا الربط بين الحياتين الدنيوية والأخروية: أن الله حين جعل الحياة الأخرى أمراً محتوماً بما فيها من ثواب وعقاب، جعل ذلك جزاءً على ما يقع في الدنيا من خير أو شر.

وأنت خبير ولا شك بأن البناء الخلقي قائم علي دعائم ثلاث:

- الإلزام.
- والمسئولية.
- والجزاء.

علي معنى أنه لو غاب ركن من هذه الأركان، أو دعامة من هذه الدعامات انهار النظام الخلقي كله.

وقل مثل ذلك في جميع الأمور التكليفية، إذ جميعها مشتركٌ مع الأخلاق في هذه الأركان التى لا يقوم للأخلاق أو التكليفات بناءٌ مستقر بدونها.

فأنت معي فى أن الأخلاق أو الأمور التكليفية تحتاج إلى إلزام ومكلف، فلو غاب المكلف أو الملزم إرتفع التكليف كله، ولا تكليف ولا إلزام من غير أن يكون هناك كائن مسئول له عقلٌ وإرادةٌ وقدرة، فلو غاب المسئول جملة، أو وجد ولم تتوفر له شروط المسئولية وتنتفى عنه موانعها، ارتفع التكليف لغياب المسئول.

ولو وجد المسئول ووجد المكلف، ولكن تم التصالح بينهما على إسقاط ركن الجزاء، لوقع في الكون ما لا يحمد عقباه، إذ لا يصح تكليف بافعل كذا ولا تفعل كذا لغياب الجزاء المرتبط بالخير والشر.

ولقد أجمع المفكرون إلا من شذ منهم علي أنه لو لم يوجد الجزاء الأخري وبثوابه وعقابه، لعَمَّت الرذيلة فى الدنيا، وغاضت ينابيع الخير فيها.

وفطرة الإنسان حاكمة بذلك، إذ لو ذهب أهل الفجور بالأجور فى الدنيا، وبات المظلوم لاحظ له فى شيء إلا أن يلعق جراحه، ويجتر ألمه، ومات الجميع علي ذلك الحال دون أن يكون هناك حياة بعد هذه الحياة، لو صار الحال على

علي ذلك الحال دون أن يكون هناك حياة بعد هذه الحياة، لو صار الحال على هذا النحو لما وجد الظالم له رادعاً يردعه، ولما وجد المظلوم له ناصراً ينصره، ولأصبحت الأهداف بين الناس بداراً يعتبر من اقتنصها نفسه أحقُ بها دون غيره، وتنقلب الموازين وتهدر القيم، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

وربنا الذى خلق الإنسان والكون والحياة علي حكمة وعلم، لم يشأ لهذه الحياة أن تسير على هذا النسق المقلوب، فكانت الحياة الأخروية وثيقة الصلة بالحياة الدنيا، باعتبار أنها دار الجزاء.

ودار الجـزاء لو قامـت على التهـديد بالعقاب وحده، لأعقبت نتيجة هى علي عكس المراد منها أن تُعقبه، ذلك أن التلويح بالعقاب إرهاب ورعب مادام التلويح بالعقاب وحده.

والرعب والإرهاب وحدهما لا يصلحان نفس الإنسان، وإنما يفتحان بينها وبين الفساد أبواباً لا يصلحه أى نظام، ويصيبها بالخرق الذي يتسع يوماً بعد يوم، فلا يرفعه رافع، ولا يصلحه مصلح مهما حسنت النوايا ورغبت الأنفس في الإصلاح.

والفسـاد الـذي يتسلل إلى النفوس من الإرهـاب والتخـويف، يصـل بها إلي حد اليأس.

واليأس هو أحد النارين اللتين تفتكان بالإنسان أفراداً وجماعات.

وهاتان الناران اللتان أعنيهما هما: نار اليأس، ونار الفتور والاستهتار.

وليس الآن مجال الحديث معك عن ثانية النارين، فموضوعها المناسب لها سيكون بين يديك بعد قليل.

أما اليأس الذي يورثه هذا الأصل المبتور، الذي اعتمده صاحبي أحد أصوله الفكرية في مسألة إنكار الشفاعة، وألزم الإسلام به.

أما هذا اليأس المترتب على هذا الأصل، فإن الإسلام يمقته، ويمقت كل طريق يوصل إليه.، لا لشيء إلا لأنه سيقضي على النفس البشرية قضاءً تاماً إذا هو ألقى بجرآنه علي صدرها.

والإسلام وهو يعرض هذه الحالة من حالات النفس المرضية، يعرضها بشدة في القول، وبغلظة في اللفظ، مقترنة بشيء من التهديد يناسب من يترك نفسه لأسباب تؤدي به إلى هذه الحال المرضية.

وهو أحياناً يسمي هذه الحال المرضية يأساً، وأحياناً يسميها قنوطاً، ويكرُّ على الحالتين بتهديد كل من يصطنع الأسباب إليهما، وهما لفظان مختلفان، ومدلولهما واحد.

وإنى أستأذنك قليلاً كى أخلي بينك وبين بعض آى القرآن الكريم تطلع عليها بنفسك، وهي تصور حالة للنفس عبر عنها فى القرآن مرة بالقنوط، ومرة باليأس. ثم أعود إليك بعد أن تتأملها، لنواصل الرحلة مع صاحبى وأصله هذا الذى نخالفه فيه.

ودونك آيات القرآن:

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[1] .

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾[2]

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[3] .

﴿ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[4] .

﴿ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾[5] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾[6] .

والقرآن يعبر عن الحالة النفسية المرضية ذاتها - **باليأس** - وهو خلقٌ إن عَرضَ للمؤمنين بالله أدركتهم رحمة الله فنجتهم منه سريعاً، وإن عرض لغير المؤمنين بالله، فهذا خلقهم اللائق لهم، وإن عرض للإنسان العادي حين لا تتحقق له أمانيه من عرض الدنيا بيَّن الله له أنه لا يليق بإنسان سوي أن يكون يئوساً أو قنوطاً.

---

(١) الحجر:الآية ٥٦.
(٢) الحجر: الآية ٥٥.
(٣) الروم الآية ٣٦.
(٤) الزمر: الآية ٥٣.
(٥) فصلت. الآية ٤٩.
(٦) الشورى: الآية ٢٨.

ومعك آيات القرآن مرة أخرى فتأملها إن شئت،.

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾(١)

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾(٢)

﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣)

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾(٤)

﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٥)

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾(٦)

﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾(٧)

﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾(٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(٩)

وها أنا الان معك بعد أن تأملت مجموعة الآيات التى ذكرتها بين يديك.

وإنى لأظنك الآن قد اقتنعت بأن الإرهاب والتخويف ليسا وسيلتين من وسائل التربية، إذا انفرد الإرهاب والتخويف.

وإنى لأظنك كذلك قد تعجبت من سلوك صاحبى، حيث رأى التخويف والإرهاب أصلاً صالحاً لإصلاح حال المسلمين في الدنيا، فهم لن ينصلح حالهم إلا إذا زمجرت فى وجوههم الدنيا والآخرة، وعصفت بهم أعاصير مدمرة يجدون آثارها فى الآخرة، ويشعرون بسوط سعيرها يلهب ظهورهم فى الدنيا.

(١) المائدة: الآية ٣.
(٢) هود: الآية ٩.
(٣) يوسف: الآية ٨٧.
(٤) يوسف: الآية ١١٠.
(٥) الرعد: الآية ٣١.
(٦) الإسراء: الآية ٨٣.
(٧) العنكبوت: الآية ٢٣.
(٨) فصلت: الآية ٤٩.
(٩) الممتحنة: الآية ١٣.

وإن تعجب فعجب ما يقوله صاحبى من عبارات يصور بها هذا الأصل، كي يبرر على أساس منه نفي الشفاعة.

ولعل صاحبى قد نسى ما قرأه طوال حياته، وصاحبى نَهِمٌ لا تشبعه الكموم الكثيرة من القراءة.

لعل صاحبى قد نسى ما قرأه من النظريات التربوية على تعددها، وكلها تجمع على أن التربية لا تقوم على ساق واحدة، وإنما قوامها على ساقين من الجزاء هما: الثواب والعقاب.

وإن كان صاحبى قد نسى ما قرأه فالنسيان يرفع التكليف حال وجوده، لكن صاحبه إذا ما ذكر يجب أن يذكر.

وقبل أن أحدد مسئولية القرآن والسنة وهما المصدران الأساسيان للإسلام عن هذا الأصل الذى ذكره صاحبى، أحب أن أسجل شيئاً يعتمل فى صدرى، قبله أقول لك هل أنت على ذُكر مما لفتُ إليه نظرك سلفاً من أننى أظن ظناً أن صاحبى يحضره الحال فينفعل به، وقد يكون ابن الوقت فيعجب للحظته، وقد ذكرت سلفاً أمراً يؤكد هذا الذى ارتأيته، وما يعتمل فى صدرى وأريد أن أحدثك به الآن مثال أوضح مما ذكرت سلفاً.

وما يعتمل في صدري ويصلح مثالاً لتأكيد ما ارتأيته هو حديث صاحبى عن اليوم الآخر، أو عن دار الجزاء، أو من مشاهد القيامة في مواقف مختلفة.

وسنبدأ بلفت النظر إلى فكرته عن يوم الجزاء هنا، وفكرته عن يوم الجزاء هنا أنه يوم العواصف والأهوال، ويوم تساقط النجوم على الرءوس، ويوم تشقق السماء بالغمام، وهو يوم تسجر فيه البحار، وتبعثر فيه القبور، وتشكو الموءودة أمرها إلى علام الغيوب إلى غير ذلك .

وصاحبنا يؤكد مراراً أن هذه الأهوال تحقق مشيئة الله فى اليوم الآخر وفى العباد، حتى يعتدل الناس بسوط الاقتدار على الصراط المستقيم، وبسوط الاقتدار وحده.

وهذا صحيح لولا ما فيه من القصور يخرجه عن أن يصلح أصلاً من أصول التربية، مهما أكد صاحبي أنه أصل يصلح لنفى الشفاعة.

وأرجوك أن تكون على ذكر من هذا التصوير لليوم الآخر فى هذا الموقف، وأنا أنقلك إلى تصوير الرجل لليوم الآخر فى موقف آخر مختلف عن هذا الموقف.

تحدث صاحبى عن اليوم الآخر فى غير هذا الموقف أكثر من مرة.

وأنا لا أريد أن أوقفك على حديث أو أحاديث طال بها الزمن، وناءت بها السنون، ولكنى سأختار مثالاً واحداً من أمثلة عديدة صور بها صاحبى اليوم الآخر من غير أن يكون لليوم الآخر له عنده هيبة.

هل قرأت ما قرأ الناس منذ فترة وجيزة تلك المسرحية الشهيرة التى عنون لها صاحبى بهذا العنوان (زيارة الجنة والنار)؟.

إن كنت قد قرأتها فقد علمت ولا شك أن كل قارىء ينتهى من قراءتها إن لم يحفظه إيمانه، سينتهى من قراءته وعلى فمه عبارات التندر والسخرية بعذاب يوم القيامة.

قد تقول: إنها محاولة تسجل سبح خيال على نحو سبحات خيال - المعرى - فى (رسالة الغفران)، أو سبحات خيال - دانتى - فى (الكوميديا الإلهية) ويكون افتراضك هذا صحيحاً أو غير صحيح، غير أن في جميع الأحوال لست بالرجل الذى توفر الآن على الموازنة والمقارنة بين هذه السبحات الثلاث، وإنما الذى توفرت عليه هو شيء واحد فقط، هو نظرة صاحبى لجلال اليوم الآخر ورهبته فى مواقف مختلفة .

وقد علمنا مما لا يدع مجالاً للشك فى موقف إنكار الشفاعة هذا، أن صاحبى قد اتخذ من جلال يوم القيامة تكأة لنفى الشفاعة.

وصاحبى نفسه هو الذي كتب هذه المسرحية (زيارة الجنة والنار).

وما من إنسان يقرأ هذه المسرحية إلا وهو يعلم بعد قراءتها أنها لن تترك في قلب من يقرأها مثقال ذرة من استشعار هيبة وجلال اليوم الآخر، إلا من رحم ربى.

ويكفيك أن أحيطك علماً أن هذه المسرحية حين استقبلت الحياة لأول مرة، أثارت ضجة ذات ثلاث شعب.

كاتبها وهو صاحبى على الأرض المحايدة الآن يرغب فى نشرها وذيوعها بوصفها إحدي بنات أفكاره.

ومسئول كبير قد منح المسرحية توقيعه حين رأى أنها صالحة للنشر والتمثيل على المسرح على حد قول مؤلفها.

وجهاز الرقابة الذى رأى ما رأينا الآن من أن هذه المسرحية يترتب عليها ولا شك تهوين شأن يوم القيامة، والنيل من هيبته وجلاله، وهى أمور توجب على المسلمين أن يلفتوا نظر مؤلفها إلى ما سيترتب على عمله هذا من مخاطر.

وأنا أضيف إلى ما قاله جهاز الرقابة يومها بعداً آخر، يلفت النظر إلى ما فى المسرحية من حديث جانبى عن أسماء الله الحسنى وآثارها فينا، بنفس الأسلوب الذى عالجت به المسرحية قضاياها عن اليوم الآخر.

كأن يقول الكاتب مثلاً وهو يصور حديثا جري بين أحد جبارى الدنيا وشيطانته التى أغرت به [**يا مولاى أنت ضعيف الذاكرة ..وأنت دائماً تنسى .. لقد عرضت علينا كل الأسماء الحسني بدائل نختار منها ما نحب ونشتهى فما اخترنا إلا الجبار.. وكان أمامنا.. الرحيم .. والودود والرؤوف والحليم والعليم والسميع والبصير والبديع فلم نختر منها شيئاً .. وتجلى علينا ربنا فى عالم الإمكان بكل هذا.. فما أحببنا وما تولهنا وما شغفنا إلا بالجبار فألبسنا الله لبسة الجبار.**

وماذا اختار أصحابنا الذين كانوا معنا؟

اختار أينشتين .. الاسم العليم.. وكذلك فعل نيوتن والبيرونى والرازى وابن سينا وجابر بن حيان وابن النفيس وابن الهيثم .. وكل العلماء الكبار ... فألبسهم الله لبسة العليم ... أما شوبان وفاجنر وشتراوس وسيد درويش وأضرابهم من رجال

الموسيقي فقد شغفوا بالاسم البديع فألبسهم الله لبسة البديع فأبدعوا وتفننوا ... وهناك من شغفهم الاسم "المصور" مثل فان جوخ وسيزان ورفاييل وده فنسي ومحمود سعيد فألبسهم الله لبسة المصور فأبدعوا في الرسم والتصوير والنحت والتلوين. وأين هم الآن؟

الفضلاء المؤمنون منهم في الجنة.

ولماذا لم نختر ما اختاروا؟

لأننا جبارون يا فتى...] (١) .

وأسلوب المسرحية كلها على هذا النسق، وهو يحدث الاثر عينه في نفس القارىء، إلا من عصمه الله بعقيدته.

وأرجو أن أستعفى قارئى من أن يكلفني باستعراض المسرحية كلها، حيث بان القصد من وراء إيرادى لها هنا بوصفها مثالاً يشرح ما أقول.

والقصد أن صاحبي ليست لديه فكرة واحدة عن اليوم الآخر، الأمر الذى لا يصلح معه أن يتخذ فكرته عن اليوم الآخر أساساً يبنى عليه نفي الشفاعة، إذ إن أبسط ما فى الأمر أن نعارضه بمواقفه الأخرى من اليوم الآخر، فإذا ما تعارضت المواقف سقط اعتبار أحدها أساساً فكرياً .

أما أنا فأعتقد ما يعتقده جميع الكاتبين في نظريات التربية وعلم التربية، وما صوره القرآن في جميع آياته ذات الصلة، وما ارتضاه الناس وتجاوبوا معه منذ أقدم العصور، من أن الجزاء ومظاهره يسير في خطين متوازين نعبر عنهما في أصليهما بالثواب والعقاب، ونعبر عن آثارهما فى النفوس بالرغبة والرهبة .

والرهبة تحمي الإنسان من كبوته وإقدامه على الرذيلة.

والرغبة تحمى الإنسان من غول اليأس والقنوط، وهو غول مدمر لا يرحم.

---

(١) زيارة للجنة والنار – د/ مصطفى محمود – كتاب اليوم – مؤسسة الأخبار المصرية شهرى– عدد نوفمبر ١٩٩٦م – ص ١٩، ٢٠.

وأنت إذا تأملت الإنسان عبر التاريخ، ووجدته أمام موقف من مواقف الشدة، تراه أحد رجال ثلاثة:

وأحد هذه الثلاثة: رجل أكله اليأس وأضناه فاستسلم للشدة تطحنه، حتى ولو كانت الشدة في شكل استعمار تمكن من الاعتداء علي أرضه وعرضه.

فإذا ذهبت إليه تحدثه، وجدته مفترشاً الأرض، فاتحاً الفم، مسبلاً العينين، فإذا ما سألته عن أمله في الحياة قال: إني آكل القوت، وأنتظر الموت، ولا شيء غير ذلك .

وأما ثاني الرجال أمام الشدة: فرجل مغرور مستهتر، لا يقدر الأمور ولا ينظر إلى عواقبها، يستهين بكل شدة، ولو كانت هذه الشدة هى استعمار يزحف علي أرضه بقوته، وينتهك عرضه بصارم الاقتدار، فإذا ما أتيت إليه وجدته لاهياً معربداً يمتص دماء الآخرين، ويلهو بمقدرات المظلومين، فإذا ما سألته ماذا عساك أن تفعل بأعدائك؟ قال لك: أسقيهم البحر الأحمر، فإن لم يكفهم أتبعته بالبحر الأبيض، وأنا علي ذلك من القادرين.

وأما ثالث الرجال: فرجل لا يعرف اليأس، ولكنه يقدر لكل شيء قدره، ويعد لكل شدة ما استطاع من قوة، ويحسب للمستقبل حسابه، لا يستهين ولا يهول، فإذا ما ذهبت إليه وجدته رجلاً نضر الوجه، مبتسماً فى حزم، حازماً فى إشراقة قلبه، فإذا ما سألته على أى أسلوب تربينا؟ يقول لك: على الحزم والمرح، وعلي الرغبة والرهبة، تعصمنى الرهبة من الزلل، وتعصمنى الرغبة من اليأس.

ولك أن تسمعها من القرآن في كلمتين لهما من عمق الدلالة ما لهما ﴿ ففرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(١) .

---

(١) الذاريات: ٥٠/٥١.

الثابت الثالث

والثابت الثالث من ثوابت صاحبى الفكرية، والتى أدت به إلى إنكار الشفاعة جملة وتفصيلاً هو: أن من يدخلون النار مخلدون فيها إلى أبد الآباد، لا يُقضى عليهم فيموتوا، ولا يسمح لهم بالخروج منها فيستريحوا.

ويترتب على هذا الأصل إغلاق باب الشفاعة عقلاً وشرعاً.

ونصوص الرجل كثيرة تشغل مساحات فى مقالتيه الأولى والثالثة لا يستهان بها.

وأنا أحب قبل أن أطلعك على نصوصه، وأُخلى بينك وبينها، أن أطرح سؤالاً عليك قد أوقعنى فى حيرة لعلى أجد عندك الجواب الذى يريحنى، حيث لم أجد جواباً على هذا السؤال عند صاحبى من خلال نصوصه التى اطلعت عليها، وسأطلعك عليها بعد قليل.

وخلاصة هذا السؤال الذى سأطرحه عليك هو: ما الدوافع التى أدت بصاحبى (وأنا أعرف فكره المستقيم) إلى القول بأبدية الخلود فى النار مع التزام المساواة بين داخليها، لا فرق بين مؤمن وكافر، ولا فرق في عصاة المؤمنين بين من يرتكبون الكبيرة، ومن يقارفون اللمم أو الصغائر من المعاصى؟

سؤال رأيت أن أطرحه عليك علك أن تنقذنى من حيرتي.

وريثما تأتينى الإجابة منك بعد أن أطرح أفكارى بين يديك، سأتتبع من قال بهذه الفكرة، وأطلعك على دوافعهم بشىء من الاختصار الشديد.

والذين قالوا بتأبيد البقاء فى النار للمشركين والعصاة من المؤمنين، شواذ المفكرين والباحثين من المسلمين.

وأول هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الفرية هم الخوارج الذين نشأوا فى غفلة من التاريخ أيام فتنة ألمت بالمسلمين فى عصر علىٍّ ومعاوية رضي الله عنهما.

وأنت خبير ولا شك أن جماعة الخوارج عبر التاريخ، لم تكن في فترة من فتراته تمثل فرقة من فرق المسلمين العلمية.

والذى أجمع عليه المفكرون أن الخوارج كانت تمثل حزباً سياسياً ، أكثر حديثهم عن الخلافة إن لم يكن كله، وطوافهم حول سدة الحكم التى إذا ما وصلوا إليها أحدثوا ضجة، قوامها المكاء والتصدية، وقبلتهم كراسى الحكم في كل زمان يبتغون الوصول إليها، أو فى أقل القليل يضعون عليها من يمثلهم.

وشعائرهم فى كل عصر هذه السيوف يحملونها بأيديهم، ويحرصون أن تكون بطون المسلمين ورءوسهم مستقراً لهذه السيوف وهم يتقربون إلى الله دائماً بسفك دماء المسلمين، وإرواء الأرض بها ، وترك أجسامهم تنهشها الطيور والسباع.

وتلك مسالك شاذة لا يقبلها عقل، ولا يستقر بسببها ضمير، ولا تقوم على أساس منها علاقات بين أفراد الأمة أو الأمم.

وشعر زعماؤهم بأنه لا يمكن أن يتحقق لأمثالهم وجود بغير أساس فكرى يديرون عليه ممارساتهم، وهو يحظى بشىء من القبول، ولو عند المرضى من البشر.

فكان ما كان مما نعرف جميعاً من فكر الخوارج.

وهذا الأصل الذى نتحدث الآن تحته، كان أول فرية ابتدعها هذا الحزب السياسى المعروف بالخوارج، فوضعوه فى عدة جمل على النحو التالى:

المشرك كافر.

ومرتكب الكبيرة كافر.

وقال بعضهم: إن مرتكب الصغيرة كافر.

والعابد المنزه عن الخطيئة إن لم يكفّر العصاة و المشركين علناً فهو كافر.

ولا ينقذ الجميع من هذا الكفر العام والخاص إلا إعلان التوبة، والاعتراف قبلها بالمعصية.

ولقد اتخذ هؤلاء فكرهم ومنه هذا الأصل أساساً لتكفير المسلمين حتى بعض أصحاب النبى ﷺ.

فعليٌ عندهم كافر مخلد في النار ، وكذا معاوية وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعرى.

ثم هم بعد صحابة النبى يكفّرون على هذا الأصل رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، لا يعلم عددهم إلا الله.

واستناداً إلى هذا الأصل نفسه يؤكد الخوارج (وهم حزب سياسى) أن من دخل النار لن يخرج منها، لا بشفاعة نبى مرسل، ولا ملَكٍ مقرب، ولا صالح انتفع بصلاحه غيره فى حياته.

وأنا أرى أن هذه الطائفة منسجمة مع أفكارها تمام الانسجام.

فهذا أصل مزور يبرر لمذهب سياسى مشئوم.

وكأنك معي فى أن الخوارج مخانيس الشيطان أو الشياطين.

إذ الشيطان يريد أن يخرج كل مسلم من إسلامه علناً، فلما عجز خنس، ومخانيسه الخوارج حيث أخرجوا من الإسلام أتباعه ، وهم يرفعون راية الإسلام ويعملون تحت لوائه، زعموا بأنه قد عُقد بيد النبى ﷺ.

ولم يكن الخوارج وحدهم فى هذه الأمة هم الذين اصطنعوا هذا الأصل، وإنما شهدت الأمة غير الخوارج طوائف أخري .

وهذه الطوائف الأخرى تعد مخانيس للخوارج، على نحو ما كانت الخوارج مخانيس للشيطان.

وأنت إذا ما قرأت فكر المعتزلة وجدت صدق ما أقول لك، حيث إن الخوارج قد خنسوا لهم، فقال المعتزلة بهذا الأصل بعد صبه فى قوالب قد تروق للبعض منا ، فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين - الكفر والإيمان - لكى يقنعوا العقل الذى يصعب عليه أن يساوى بين كافر وعاصٍ، ولكنهم مع قولهم بالمنزلة بين المنزلتين قالوا بأن من يدخل النار يخلد فيها مؤمناً أو كافراً.

والمعتزلة كالخوارج مضطرون للقول بما ذهبوا إليه.

فإذا كانت الخوارج قد ألجأتهم نظريتهم في السياسة إلى اصطناع هذا الأصل وتعميمه والاستفادة منه، فإن المعتزلة قد ألجأتهم بعض أفكارهم، أو بالأحري مسلماتهم الفكرية إلي العمل بهذا الأصل ورفعه فوق المناقشة والحوار.

وعند المعتزلة كما هو عند الخوارج لا شفاعة للنبى ولا لغير النبي، لأن الشفاعة تنقض الناموس وتنال من النظام.

وقلد المعتزلة أناس يزعمون أنهم أصحاب فكر.

وقلد الخوارج أناس يزعمون أنهم أرباب سياسة، وأنهم أحق بها وأهلها.

إنها سلسلة من الخناسين والمخانيس تتوالى في التاريخ لا يعلمها إلا الله.

ولقد عدت من تأملاتي فى مأثورات الفرق الدينية وموروثات الخوارج السياسية، لأتأمل كلام صاحبى على الأرض المحايدة، وأنظر في رصيده الفكرى، وأبصر آماله وتطلعاته لأمته، فلم أجد إلا رجلاً مستقيم الفكر دائماً ليس وراءه غرض من الأغراض، ولم يتورط فكرياً فى مقولة تلجئه إلي اصطناع أصل كهذا الأصل، فعجبت من صنيعه العجب كله ، ولم أخرج من هذا العجب إلا بعد أن افترضت أن أناساً أعرفهم ويعرفهم أبناء أمتى، قد تسللوا إليه ولبسوا له لبوس الدين، معهم كلمات محفوظة، يرددونها صباحاً ومساء، لا يملكون غيرها، يعرضونها على كل من يقابلهم وخنسوا له، وأعارهم صاحبى أذنه على نحو ما قال القرآن :﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾.

ولا يضر الرجل أنه قد سمع ، فالنبى قد أخبر أن هؤلاء يظهرون بمظهر دينى يجعل الإنسان يحتقر عمله إلى جوار عملهم، وهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

افترضت هذا الفرض ويقويه عندى أمور:

أولها: أن الألفاظ التى استعملها صاحبي فى المقالات التى خصصها للشفاعة أكثر من ٥٠٪ منها هى ألفاظهم، وأن الشواهد التي استشهد بها هى شواهدهم المحفوظة، وأن التهكمات التى أشرت إلى بعضها سلفاً على الدين وعلي النبى هى تهكماتهم هم، كما سيظهر بين يديك من النقول التى أحرص علي أن أضعها بين يديك.

وثانيها: أن الفترة التى ظهرت فيها هذه المقالات عن الشفاعة هى نفسها الفترة التى ظهر فيها الحديث عن الرغبة في تغيير يوم عرفات ، وجعله مشاعاً في مائة وعشرين يوماً.

ولا تظن أن إعلان هذه الرغبة كان وليد فكر ضابط متقاعد، حملته الغيرة علي المسلمين والإسلام أن يفكر لهم ، وإنما هذه الرغبة كانت تعبيراً عن فكر ضمه ورد هؤلاء، وموجود فى كتبهم التى يمررونها سراً بين أتباعهم للسيطرة على الغربيين من الأمة،

وعندي من هذه المطبوعات الكثير.

وقد سبق لى أن كتبت سلسلة من الإصدارات عرفها من عرفها، وأخطأت الطريق فلم تصل إلي يد أناس كان ينبغي أن تصل إليهم.

دعك من هذا الآن، وقل لى ما رأيك فى هذا الافتراض، وما رأيك في هذه المبررات التى تسانده وتقويه؟

أما أنا فحريص على صاحبى حرصى علي كل مفكر أفنى ما مضى من عمره دفاعاً عن أمته ومقدساتها، وما بقى إن شاء الله له من عمر سيكون في خدمة هذا الغرض، بعد أن أسأل الله أن يقيل عثرته، وأن يوفقه لمراجعة ما كتب مرة أخرى، وأن يراجع معه ثوابت دينه.

وأعود بعد هذا التساؤل الذي طرحته علي قارئى وبعد هذه التصورات التى ربما تعينه على الإجابة، ومنها هذا الفرض المُبرَر، أعود من جديد لأصور لك ما قاله صاحبى عن هذا الأساس والأصل الثالث الذى التزمه، واعتبره

لك ما قاله صاحبي عن هذا الأساس والأصل الثالث الذى التزمه، واعتبره ثابتاً من ثوابته لا يحيد عنه، وهو: أن من دخل النار لن يخرج منها، وأن مجموع من فى النار لا يُقضى عليهم فيموتوا ، ولا يُخفف عنهم من عذابها.

والرجل قد ذكر نصوصاً كثيرة، ودندن حولها ، كلها يخدم هذا الأصل.

وهاك ما ذكره [**ولن ينجو من المذنبين إلا من تكرم عليه رب العزة وفتح له باباً للتوبة قبل الممات.**

الملائكة في طوافهم حول العرش، يسبحون لربهم ويستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم قائلين.. ربنا «وقهم السيئات» .. ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم.

إذن الوسيلة الوحيدة للنجاة من العقاب هى أن يقى ربنا عباده من الوقوع فى السيئات أصلاً .. أو يفتح لهم باب التوبة فى حياتهم إذا تورطوا فيها] (١).

(يقول ربنا عن المجرمين)

«وما هم بخارجين من النار» .

وهذا هو القرآن .. ولا يعقل من نبى القرآن أن يطالب بهدم القرآن.

ولكن المسلمين الذين عرفوا بالاتكالية قد باتوا يفعلون كل منكر ويرتكبون عظائم الذنوب اتكالاً علي نبيهم الذى سوف يخرجهم في حفنة واحدة من النار ويلقى بهم فى الجنة بفضله وكرمه.. وهم الذى (كذا) شكاهم إلى ربه فى صريح قرآنه وجأر بشكواه قائلاً: يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً](٢).

[وما هم بخارجين من النار

القرآن ينفى إمكانية خروج من يدخل النار فى الكثير والعديد من

---

(١) الأهرام ٣/٤/١٩٩٩م ع ٤١٠٢٥.

(٢) السابق.

آياتـه ويقول ﴿ يريدُونَ أن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(١). ويقـول أهل النار فى سـورة المؤمنون ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٢).ويقول فى سـورة البقرة ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (٣).ويقول الله لمحمد عليه الصلاة والسلام فى سورة الزمر ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ (٤).

[والكلام لرسـول الله مباشرة فى اسـتفهام استنكارى "كذا") والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام].(٥).

(بل إن درجـات النار «كذا» وأقسـامـهـا قد تحـددت سلفاً في القرآن ، ومواقع المجرمين قد علمت مسبقاً.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٦).

فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل فى النار «كذا».

وأختنقت يه واختص بها .] (٧)..

هذه هى كلمات الرجل ونصوصه التى تصور موقفه من هذا الأصل، نقلتها لك كما وعدتك.

ولقد نبـهتك سلفاً إلى أنك قد تجد فى مطالعة النصوص شـيئاً من المشقة، يسبب لك شيئاً من الضيق، وقلت إنه قد تزداد مشقتك ويزداد ضيقك لو قد قدر لك أن تقرأ المقال كله جملة واحدة.

---

(١) المائدة : ٣٧.
(٢) المؤمنون : ١٠٧، ١٠٨.
(٣) البقرة : ١٦٧.
(٤) الزمر : ١٩.
(٥) الأهرام ١/٥/١٩٩٩م ع /٤١٠٥٢.
(٦) الحجر : ٤٣ ، ٤٤.
(٧) السابق

وبعد أن نقلت لك ما نقلت ، أعود فأنظر معك فيما نقلناه.

وما نقلناه سأنظر فيه مرتين:

إحداهما: من حيث اعتماده على نصوص قرآنيه لها مكانها فى سياقها، ولها مفهومها من حيث هذا السياق .

وثانيهما: من حيث هذه النتائج التي رتبها صاحبنا على هذه الآيات وانتهى إليها على أنها قطعية لا تحتمل الجدل، ولا يجوز حولها الحوار.

فمن حيث النظرة الأولى فأنا أحب أن يكون قارئى معى، نتتبع الايات التى ذكرها صاحبى، ولن نفعل شيئاً إلا أننا سنعود بها إلى مكانها فى القرآن ، لنرشد إلى ما يقول السياق، من غير أن يحتاج هذا الإرشاد منا إلى كبير عناء.

واستدلاله الأول علي قضيته اعتمد على قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾.

والآية فى سياقها جاءت على النحو التالي:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [١].

واستدلاله الثانى بقوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ رداً على قول أهل النار: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾.

وهذا الحوار جاء في سياقه على النحو التالي:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

---

(١) المائدة : ٣٦، ٣٧.

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١).

أترى إلى هذا السياق ؟ ! ولو قرأته إلى نهايته لعلمت أن فيه أناث كذبوا بآيات الله فى مقابلة عباد لله قد آمنوا بهذه الآيات.

أما الاستدلال الثالث: فقد اجتزأه صاحبنا من ايات سورة البقرة وفيه: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ .

والنص في سياقه على النحو التالي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٢).

والاستدلال الرابع من استدلالاته قد أجتزأه من آيات سورة الزمر: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾.

والنص في سياقه على النحوالتالى : ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ (٣).

أرأيت إلى هذا النص فى سياقه وهو واضح الدلالة على مقصوده؟

---

(١) المؤمنون : ١٠١-١٠٨.

(٢) البقرة : ١٦٥-١٦٧.

(٣) الزمر : ١٤ - ١٩.

ثم أرأيت إلى تعليق صاحبى على هذا النص بقوله: [**والكلام لرسول الله مباشرة فى استفهام استنكارى، والله ينكر على رسوله أن يقول مثل هذا الكلام**].

سبحانك ربي هذا...

ودعك من مسألة (**استنكارى**) فهذا خطأ لغوى يغير المعنى حتى الذى قصده الكاتب.

ولعل الرجل يقصد استفهام إنكارى ليستقيم كلامه.

والآية فى سياقها لا تلتبس على من يستقبل أوليات المعارف، إذ فحواها: أن النبى قد استفرغ وسعه فى إقناع الكافرين، فلم يؤمنوا، فجاشت به نفسه، ورغب فى إيمانهم إلى حد أنه يأُسَى على كفرهم أسأً يكاد يقطع نفسه، فجاءت الآيات تخيرهم فى الظاهر، وتهددهم بالفحوى، حيث أُمر النبى أن يتوقف عن سرد حجج أمام أناس قد حقت عليهم كلمة العذاب، وأن ينصرف عن إيراد الحجج إلى أن يقول لهم: إنه قد اختار أن يعبد الله وحده، فليعبد غيره ما يشاء من الآلهة التى ستنتهى به إلى الخسران يوم القيامة، وإلى الضلال في دنيا الناس، ثم يلفت نظر النبى أن هؤلاء لن يؤمنوا ، وأن حزنك عليهم لا مبرر له إلا ارتفاع مشاعرك، وكيف تَأْسَى على قوم اختاروا أن يعبدوا غير الله فحق عليهم باختيارهم كلمة العذاب، ولا سبيل لخروجهم من النار يوم القيامة.

فتأمل:

وآخر استدلال لصاحبى اجتزاء من حوار جرى بين إبليس وربه عند الخلق الأول وكان موضوع الحوار من يكون من حزب الله، و من يكون من حزب الشيطان على أساس من الإيمان بالله، أو الكفر به، وعلى أساس من رد الأمر على الآمر أو الانصياع له.

والآية فى سياقها على النحو التالى:

يقول الله فى خلق آدم آمراً الملائكة وإبليس ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ

أن يَكُونَ مَعَ السَّاجدين (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجدين (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ من صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (١).

هذه هى الآيات التى ساقها صاحبى يؤكد بها أبدية الخلود فى النار، وضعناها فى سياقها لتنطق بالحق، ولتكشف عن المراد منها.

أما صاحبى فقد اجتزأ بعض الكلمات من مكانها اجتزاء، وانتزعها من سياقها انتزاعاً لا نعرف الدافع وراءه.

وأنا أفضل أن تكون هذه الآيات قد أُنتُزعت له من مكانها، لتأكيد فكرة أُمليت عليه إملاءً ، فهذا الاحتمال أفضل عندى ألف مرة ، من أن أقول : إن الرجل قد عمد إلى اجتزاء هذه الآيات وانتزاعها من مكانها لغرض ينويه.

فهذا الاحتمال الأخير يعيب الرجال فى خُلقهم، وينال من ثقة الناس فيهم، وهما أمران أربأ بصاحبي عن أن يقع فيهما، أو فى أحدهما.

أما الاحتمال الأول: وهو أن تكون الآيات قد اجتُزأت له، فقصاري ما فيه أن يترتب عليه أن صاحبى قد أصابته الغفلة في لحظة بسبب من الأسباب التى تسبب الغفلة، ثم هو يعود عنها إلى كامل يقظته يتأمل ما صُنع به فيتبرأ من آثاره.

والآيات حين اجتُزأت للرجل قد أحاطت الحقيقة أمامه بشىء من التعتيم، أريد للرجل أن لا يبصر الحقيقة من خلاله.

---

(١) الحجر : ٢٩-٤٤.

وكلمة - **التعتيم** - قد استعرتها من حديث صاحبي، وهى غير دقيقة فى الدلالة علي ما نحن فيه الآن من الحال، إذ الرجل حين اجتُزأت الآيات له لم يجهل الحقيقة من وراء هذه الآيات فقط، وإنما أريد له أن يُدرك الخطأ وأن يدافع عنه على أنه هو الحقيقة.

ثم هو قد أُريد له كذلك أن يقوم بنفس الدور مع قرائه، فيحملهم على إدراك الخطأ واعتقاد أنه الحقيقة، والدفاع عنه دفاع الذى يقاتل دون عقيدته.

وهذا المسلك يسميه علماؤنا بـ - **التدليس** -.

وكلمة - **التدليس** - هى التى تعبر بدقة عن هذا السلوك وما يترتب عليه من الأحوال.

وعلماؤنا لا يحتملون أن يكون أحد علماؤهم مدلساً، إذ التدليس عيب يخدش الخلق، وينزع الثقة بين المدلس وبين جمهوره.

أرأيت إلى هذه الخطورة المترتبة على هذا المسلك ؟

وهذه الخطورة التى تمثلت لك قارئى العزيز، هى نفسها التى تراءت لى، فحملتنى على القول: بأن صاحبي قد اجتُزأت له الآيات اجتزاء إلى قصد مقصود، وانتُزعت له انتزاعاً لتُوضع بين يديه، كى يؤسس عليها عملاً يبتغيه منه من انتزعوها له.

على كل حال فإن هذه لهى النظرة الأولى أو الزاوية الأولى التى قلت لك، أننى سأنظر إلى نصوص الرجل، أو أدلته من خلالها.

أما الزاوية الثانية: فهى المتمثلة في هذه النتائج التى رتبها صاحبى على هذه الأدلة، وهى: أن كل مخالف ما لم تدركه توبة سيدخل النار.

وأن من دخل النار فلن يخرج منها.

وأن الشفاعة لا معنى لها إلا إخراج الناس من النار بعد أن دخلوها وهو عمل مستحيل.

وأن النبى حين وعد قومه وأمته بأنه سيخرجهم، أنكر عليه ربه ما وَعَدَ به أمته.

وهذا الاستنتاج كله مبنى علي ما ذكره من الآيات.

ونحن نوافقه إذا كان موضوع حديثه هم الكافرون.

أما هذا التعميم الذى يشمل الكافر والمؤمن العاصى .

وأما هذا التعميم الذى يشمل مرتكبو الصغائر والكبائر، فهو تعميم لا تقول به الآيات التى ذكرها ولا عشر معشاره على نحو ما رأيت .

وأسوأ ما فى هذا التعميم أمران:

أحدهما: خلقى.

وثانيهما: عقلى علمى.

أما ما يشتمل عليه هذا التعميم من مخالفة أخلاقية فهو: أن ندعىَ علي النبى أمراً لم يقله، وأن ندعىَ على القرآن موقفاً اتخذه من النبى وهو لم يتخذه على نحو ما ذكر صاحبى في عبارته تعليقاً على آية الزمر، وقد سبق أن نقلته لك منفرداً.

وأما ما يترتب على هذا التعميم من مخالفة عقلية وعلمية، فهو ما نراه من تصريح صاحبى من أن كل من يدخل النار كافراً أو مؤمناً مقترفاً للكبائر، أو مجانفا للمم، الجميع في العذاب علي قدم مساواة، والجميع سيدخلون النار ولن يخرجوا منها، إذ لا فرق عنده بين جريمة الكفر وبين معصية يرتكبها المؤمن المطبوع على الخير والشر، ولا فرق عنده بين كبيرة يرتكبها المؤمن كالسرقة والزنا وعقوق الوالدين، وصغيرة من الصغائر كأن تسقط من يده فى الشارع قشرة موز فيحمله الكسل على ألا يلتقطها وينحيها جانباً فى الأماكن المعدة لجمع المخلفات.

الكل عند صاحبى مخلد فى النار ، مؤبد فيها ، كلما نضج جلده بدله الله جلداً غيره، وكلما استغاث قيل له ولأمثاله اخسئوا فيها ولا تكلمون.

وهذه النتائج التى استنتجها صاحبى، ما كنت أتمنى لمثله أن يستنتجها على هذا النحو من التعميم الذى لم يقل به أولئك الذين يستقبلون حياتهم العلمية.

وإن الخُلق ليحتم علينا ألا ندعى شيئاً على أحد ما دمنا لا نملك الدليل الذى يؤيد دعوانا.

وإن العقل ليحتم علينا ألا نعمم فى الأحكام علي ما صدقات ليست متساوية.

إذ العقل يفرق بين الكافر والمؤمن، وبين مرتكب الكبيرة والمتعدى بصغيرة من الصغائر.

أمور لا تستوى.

وما ذكره صاحبى من الآيات كلها فى الكافرين، ولم أجد واحداً من المسلمين قال: إن الكافر تنفعه شفاعة الشافعين.

أما غير الكافر فالله يفعل به ما يشاء ، وعلى يد من يشاء.

والقرآن ناطق بذلك كله، فهو القائل : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ (١)..

وهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٢)..

وهو الذى يفرق بين عصاة المؤمنين والمعاصى التى يمكن اقترافها فيقول مادحاً:. ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٣).

وهو الذى يحيط أسلوب التربية كله بسياج متين في نحو قوله :﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٤).

---

(١) النساء : ٣١ (٢) النساء : ٤٨.

(٣) النجم : ٣٢. (٤) يونس : ٥٨.

بقي لصاحبى هنا هذا السؤال الذى خلاصته : أيكون من العدالة أن يدخل الله الجنة رجلاً آمن ولم يفعل خيراً قط بشفاعة النبى ﷺ؟.

وهذا السؤال لي عليه ملاحظتات أذكرهما بين يديك، قبل أن أريح صاحبى بالجواب.

الملاحظة الأولى: هى أن هذا السؤال بعينه مجتزئ من ورد يقرأه من خنسوا لصاحبى صباح مساء لا يفترون.

والملاحظة الثانية: أن العلم لا يعرف الاستهتار ولا السخرية، خاصة إذا كان الحديث عن الله ورسوله واليوم الآخر، ومع ذلك فقد ساغ لصاحبى كما ساغ لخناسيه أن يعرضوا مثل هذا السؤال فى شىء من السخرية والاستهتار.

أما الخناسون فقد سوغوا باستهتارهم هذا ما سوغوه عند ربهم.

وأما صاحبى حين تجاوب معهم فقد زلت به الأقدام وأسأل الله أن يغفر له.

وإذا نحينا عن السؤال أسلوب صياغته ، فإن جوابه سيكون سهلاً، ميسوراً.

ذلك أن العدالة التى هى محل السؤال أمر أخلاقى يقابله - **الظلم** -.

فما معنى - **الظلم** - إذن حتى يتضح لنا مقابله؟.

الظلم معناه: أن تأخذ حقاً للغير فتُحيزه لنفسك، أو أن تنقل حق الغير للغير بمقابل تحصل عليه أنت مادى أو أدبى أو بغير مقابل على الإطلاق.

وقد يكون من معانى الظلم : أن تحول بين المرء وبين أن يصل إلي حقه دون أن يعود هذا الشىء المستحق بالنفع، لا عليك ولا على غيرك.

وقد أدخل الشرع فى معانى الظلم أن يورد الإنسان نفسه موارد الهلاك بحمقه أو استهتاره.

والشرع يعد هذا النوع الأخير أشر أنواع الظلم.

تلك هى المعانى المحتملة للظلم الذى هو مقابل - **العدل** - وأحسب أنك قد فقهت عنى هذه المعانى كلها.

بعدها أقول لك: لو أن الله عز وجل قد أخرج إنساناً من النار آمن به، وهو لم يفعل خيراً قط بعد الإيمان ، بأى طريقة من طرق الإخراج الممكنة، فهل يدخل تحت أى نوع من أنواع الظلم كما صورتها لك؟

الجواب قطعاً : لا ، إلا أن يأتى مجادل فيقول: إنه يجب على الله مادام قد أخرج واحداً من النار أن يخرج كل من فيها.

وهذا القول : إن صدر عن إنسان لا يجب أن نُعيره اهتماماً، لأن صاحبه بالقطع فى عقله دَخَل..

ويوضح هذا القصور العقلى عند صاحبه أن نقول له: هب أن رجلين من الناس كل منهما مدين لك بجزءٍ من المال، فأعفيت أحدهما وأبرأت ذمته لأمر تراه، فهل يجب عليك أن تبرأ ذمة الآخر لتساوى بين الرجلين:؟.

لم يقل بهذا عقل سليم ولا منطق صحيح.

وإنما الذى يقول به العقل السليم والمنطق الصحيح: هو أنك حين تنازلت وأبرأت ذمة أحد الرجلين ، كنت آخذاً بصفات الكرم والرحمة والعفو .. الخ، **والموقف موقف مدح.**

وحين استوفيت حقك من الرجل الآخر، كنت رجلاً آخذاً بحقك، **والموقف موقف استيفاء حقوق لا يلام عليه فاعله.**

هذه أمور كلها تجرى فى حياتنا اليومية.

أما فى فعل الله عز وجل، فيمكننا من أول وهلة أن نقول: إنه لا يُسأل عما يفعل.

فإن أردنا أن نستريح فكرياً قلنا : إن الله يخرج من النار من يشاء متنازلاً عن حقه، وهذا كرمه، ويعذب بالنار من يشاء فهذا حقه.

كل هذا وغيره حين تستقيم العقول.

الثابت الرابع

والثابت الرابع من ثوابت الرجل الذى أدى به إلى إنكار الشفاعة هو: أن الشفاعة إنما ثبتت بالسنة.

والسنة أمرٌ لا يوثق به ولا بحجيته.

وعلى ذلك فإن كل ما جاء من طريق السنة يكون وضعاً على النبى، يُسأل عنه واضعه يوم القيامة ولا نُسأل عنه.

والنتيجة أن الشفاعة التى نصت السنة عليها مرفوضة شكلاً وموضوعاً.

وقبل أن أنقل النصوص من كلام صاحبى أشرح بها رأيه، أحب أن أفضى إلى قرائى بشئ، علنى أستريح منه.

وخلاصة هذا الشئ أننى فى حيرة من أمرى، حين قرأت موقف صاحبى من السنة، فلم أعد أدرى أيهما هدف عنده وغاية، وأيهما وسيلة إلى هذا الهدف وتلك الغاية؟

السنة والشفاعة أين الوسيلة منهما وأين الغاية؟

هل يعد إنكار الشفاعة وسيلة لإنكار السنة؟ أم يعد إنكار السنة وسيلة لإنكار الشفاعة؟.

إن الجماعة التى خنست للكاتب الكبير واضحة فى عرض مذهبها حين عرضته صراحة، إذ إن هدفهم العام، هو التخلص من سنة النبى باعتبارها عقبة كأداء فى طريق كل من أراد أن يتخلص من الإسلام عقيدة وشريعة.

وهؤلاء قد تذرعوا لهدفهم بكل ذريعة، ومن ذرائعهم لغايتهم: إنكار الشفاعة، وبالتالى سيتمكنون من إعلان الحرب على الأحاديث التى جاءت بالشفاعة، وعلى رواتها وأولهم البخارى.

وهؤلاء أقوام عرفناهم، وتتبعنا جميع الميادين التى تذرعوا إلى هدفهم من خلال معارك يخوضونها فيها، وهى معارك مشبوهة، معلوم لدينا من يسعّر نارها.

ومن خلال متابعتى لهؤلاء الذين يخنسون الآن للمفكر الكبير، رأيناهم يصطنعون أساليب التشويش والتهويش لاستمالة قلوب العامة.

كما رأيناهم يصطنعون فى كتاباتهم أساليب الخداع، وتضليل غير المتخصصين بذكر الواقعة الواحدة أكثر من مرة، وهم يوهمون القارئ أنها وقائع متعددة، على مافعل كبيرهم (سيد صالح أبو بكر) وهو من نعرف موقعه من الثقافة، ومن المثقفين.

ولقد عرفناهم كذلك يحاولون أن يخنسوا للأسماء اللامعة، فيجتذبونها إليهم إن استطاعوا، ويدعون عليهم إن لم يستطيعوا.

فلقد سبق لهم فى وقت غير بعيد، أن استغلوا حالات المرض والضعف لدى الشيخ (عبد اللطيف المشتهرى) وأشاعوا عنه ما أشاعوا قُبيل وفاته.

وقد أشاعوا عن السيدة الفاضلة (زينب الغزالى) أنها من الذين ينكرون السنة ولا يؤمنون بها.

وقد اتصلتُ بها فى حينها، وسألتها عما يردده القوم، فأنكرت بشدة ثم قالت: لولا أنى تحت رقابة طبية صارمة، لتوليت بنفسى نفى ما ذكره هؤلاء عنى فى جميع المحافل الممكنة.

قلت لها عبر الهاتف معقباً بعد أن سميت لها نفسى وهى لا تعرفنى، إنها حيلة من حيل القوم، استغلوا ظروف مرضك، وأشاعوا ما أشاعوا، فإذا ما حل الأجل وصرت إلى جوار ربك، تمكنوا من أن يضيفوا إلى اسمك ما شاءوا من الإضافات.

نحن نعرف هؤلاء ونعرف حيلهم.

وأسارع فأقول كما قلت للسيدة الفاضلة، إنهم قد رأوا فى صاحبى ما رأوه فى هذه السيدة الفاضلة من تشابه الحال، وما رأوه كذلك فى الشيخ (عبد اللطيف المشتهرى)، فاستنطقوا صاحبى ما أرادوه أن ينطق به.

فإن بقى بينهم (أطال الله فى عمره) بقى متورطاً، وإن كانت الأخرى أضافوا إلى هذا الاسم المعروف، أن صاحبه كان يقول بما يقولون، فيجتذبوا إلى مذهبهم قراءه ومريديه.

نحن نعرف أصحاب هذا الاتجاه معرفة جيدة، ونعرف خططهم، ونعرف أدوارهم الموزعة عليهم لكثرة متابعتنا لهم.

فهم يقولون : إنهم قرآنيون.

والفكر ليس فكرهم، وحتى الشعار ليس بشعارهم، وإنما هم مجموعة من البشر لاعمل لهم ولا مهنة فى الغالب، ولا انتماء إلى دين ولا وطن، تُروى جذورهم بمياه مجهولة المصدر، وإن كانت العناصر الغذائية يستمدونها من تربة بلاد المسلمين، بغير مردود منهم يعود على الإسلام ومعتنقيه، إلا هذا التشويش على المسلمين فى عقيدتهم وشريعتهم.

ولم أتوقف عند معرفتى بهؤلاء وأساليبهم، ولكنى بفضل الله قد حاصرتهم فى أكثر من موقع بسلسلة من الإصدارات، كان آخرها كتاب **"اللعاب الأخير"**.

وقد حاولت فى هذا الإصدار الأخير، أن أرتفع بالقوم عن الجدليات، لنحتكم جميعاً إلى الواقع، فتوجهت إليهم باقتراح مؤداه : تعالوا بنا نفترض أنناسننفض اليد جميعاً من سنة النبى ﷺ .

وقولوا لى ماذا بعد ؟ وسنة النبى ﷺ تسد نسبة هائلة في مجال الشريعة والعقيدة، وتغطى مساحة فى هذين المجالين لا يستهان بها، فما البديل؟

وجاءت ردودهم على ثلاثة محاور:

أحدها : إننا سنتخذ ديانة إبراهيم الخليل بديلاً عن السنة.

وثانيها: إننا سنتخذ العرف بديلاً عن السنة.

وثالثها: إننا سنتخذ القرآن وحده أصلاً يقوم عليه ديننا طبقا لهذه القواعد:

أ – أن يفهم المرء القرآن بعقله هو لا بعقل غيره.

ب – أن يقطع الصلة بينه وبين فهم النبى ﷺ للقرآن، فقد كان النبى ﷺ محكوماً بزمانه.

جـ – أن نعتبر القرآن المدنى فى حكم المنسوخ غالباً، والقرآن المكى هو الذى نسخه **(إى والله هكذا قالوا، ولو تقدم الناسخ وتأخر المنسوخ).**

ومبرر نسخ القرآن المدنى، هى تلك الشقشقة الفارغة على ألسنتهم وأيديهم، التى تقول: إن ما نزل فى المدينة كان محكوماً بحال أهل المدينة، ونحن لنا حالنا، وواقعنا، ومقاصدنا، وغاياتنا.

فى هذا الإصدار الأخير، طرحت عليهم ما اقترحته، وكانت إجاباتهم من خلال كتاباتهم، هى ما حصرته بين يديك، ولكل فقرة وكلمة مرجعها عندى.

وناقشتهم فيما قالوه وانتهى الأمر.

وبقيت حيرتى مع صاحبى لم تنقضِ بعد.

فإذا كنت قد علمت ما قاله الذين وسوسوا له، فإنى حتى الآن لم أعلم شيئاً عن قناعة صاحبى، هل هو يعتقد أن إنكاره للسنة أصل انتهى به إلى إنكار الشفاعة؟

أم أن قناعته كقناعة من خنسوا له، ووسوسوا فى صدره، حيث اعتبروا أن إنكار الشفاعة وسيلة لإنكار السنة؟

فى جميع الأحوال العلم عند الله.

وأنت قد تقول لى مالك والصدور تحاول أن تقرأ ما فيها؟ ومالك والقبور تحاول أن تزعج ساكنيها؟ ومالك والأسِرّة البيضاء تحاول أن تدور حولها؟

دعك من هذا كله، وعد إلى صاحبك صور مذهبه بألفاظه.

وأنا لا أملك إلا أن أقول لك : الحق معك.

وهذا هو رأى صاحبى بألفاظه فى السنة وكتبها ورواتها.

قال: [وما ترويه الأحاديث عن أن محمداً عليه الصلاة والسلام سوف يخرج من النار كل المسلمين يذنو بهم فلا يبقى فى النار واحد قال لا إله إلا الله ولو لمرة واحدة فى حياته .. هى أحاديث تخالف صحيح القرآن .. فالنبى فى القرآن يشكو أمته ولا يتوسط لمذنبيها فيقول لربه .. يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا .. وهى شكوى صريحة .. وكلام مناقض لأى شفاعة.

.... وكل ما جاء بهذا المعنى فى الأحاديث النبوية مشكوك فى سنده ومصدره لأنه يخالف صريح القرآن] (١).

[وهذا يؤكد أن كل ماذكر عن إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة يناقض صريح القرآن ولا يمكن أن يكون له أساس من الصحة] (٢).

[وللأسف الشديد نحن نقرأ كتب السيرة بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل .. ومحفوظ .. والله لم يقل لنا أنه تولى حفظ هذه الكتب .. وهو لم يحفظ إلا القرآن .. وكل ماعدا القرآن من كتب يجب أن تخضع للنقد مهما عظم شأن أصحابها والإسرائيليات تملأ كتب السيرة.

(... فلا ننساق وراء هذه الأحاديث الموضوعة التى تملأ كتب السيرة وتدعى بأن النبى عليه الصلاة والسلام سوف يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله [وما أسهل أن نقول وما أهون أن ننطق بالكلام ونحن أكثر الأمم كلاماً وأقلها التزاماً)](٣).

[... والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أى تحريف وقال فى كتابه المحكم .. إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون .. ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخارى أو غيره من كتب السيرة ..

---

(١) الأهرام - ١٩٩٩/٤/٣م - ع/٤١٠٢٥.
(٢) الأهرام - ١٩٩٩/٥/١م - ع/٤١٠٥٣.
(٣) الأهرام ١٩٩٩/٤/٣ م ع/٤١٠٢٥.

وما يقوله البخارى مناقض للقرآن لا يلزمنا فى شئ .. ويسأل عنه البخارى يوم الحساب ولا نسأل نحن فيه.

ولم يكن البخارى ﷺ وأرضاه هو الوحيد الذى خاض فى موضوع السيرة النبوية لكن كتاب السيرة كثيرون وقد تناقضوا واختلفوا بين بعضهم البعض .. وامتلأت كتب السيرة بالموضوع والمدسوس من الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات] (١).

هذه هى نصوص صاحبى نقلناها بين يديك تصور لك الأصل الرابع من أصوله أو ثوابته، التى تعمدنا اصطفاء ها من بين كلامه، لنعطى كلامه صفة البحث العلمى بدلاً من هذه التلقائية أو الصحفية التى عرض بها صاحبنا مقالاته الثلاث.

ولقد سبق أن نبهتك قارئى إلى أننى لن أناقش هذا الأصل، وبينت لك السبب الذى من أجله عزفت عن مناقشتى لهذا الأصل، وخلاصته أن ما ذكره الكاتب هنا ونقلناه بين يديك، وما ذكره ولم ننقله ازوراراً عنه لأنه تكرار، يؤكد أن صاحبنا علي الأرض المحايدة يردد كلاماً ليس له، بل هو يكتب أفكار غيره ويوقع عليها باسمه.

وغيره هم هؤلاء الذين تناولنا أفكارهم بالرد والمناقشة على مدى سنوات مضت، ونحن معهم على موعد باللقاء حين يحتكون بالعمليات، وينزلون إلى أرض الواقع ليتحدثوا فى الفقه، أو ليتحدثوا حول القرآن، أو ليتحدثوا حول ما شاء لهم شيطانهم أن يتحدثوا فيه.

وأنت خبير أن هؤلاء ينفذون خططاً تُرسم لهم لا يعلمونها إلا حين يطلب إليهم تنفيذها.

بين التابع والمتبوع:

هذا وقد وصلت إلى هذا الحد من الحديث، وأعلنت عن رغبتى، أنى لن أناقش مع صاحبى أصل إنكار السنة.

---

(١) الأهرام ١/٥/١٩٩٩م . ع/ ٤١٠٥٣.

غير أن هذا لايعنى أننى قد أرضيت نفسى وأقنعتها بالحصول لها على جواب شافٍ للسؤال الذى طرحته علىّ، وهو يدور حول ما إذا كان صاحبى قد جلس إلى عصابة منكرى السنة فأقنعوه بآرائهم، أم أنه قد قرأ بعض النصوص قدراً فلم يفهمها على وجهها، فانساق إلى ما انساق إليه من العبارات التى تشبه ما قاله منكرو السنة، ويكون هذا التشابه من باب المصادفة البحتة.

طرحت نفسى علىّ هذا السؤال فى مثل هذا الوقت من ليلة الأمس، وأصبحت لا أجيبها لأنى لم أعثر لها على جواب صحيح يروى ظمأها، فأخذتنى فى حديث نفسٍ تستعرض أمامى نماذج من رجال ومقولات.

ومن بين المقولات التى عرضتها علىّ هذه المقولة التى كنا نسمعها ونرددها أوائل عهدنا بالطلب، وخلاصتها أن الرجل إذا ما تحدث فى فنٍ أو علم غير فنه وعلمه، واشتغل بالاثنين معاً، أخذ بألباب أرباب العلمين اللذين خاض فيهما.

ولهذه الدهشة التى أحاطت بالعلماء فى الفنين جميعاً سببٌ معقول، وهو أن المشتغل بفنين فى وقت واحد، يكون إنسانا ماهراً يجيد أساليب الخلط والمزج، فإذا ماخلط بين قشور العلمين اللذين شغل نفسه بهما، وأجاد الخلط، خرج من تحت يديه أمشاج لها طعم ومذاق جديد على أرباب العلمين جميعاً، فإذا ماعرض المزيج على أرباب العلم الأول، فتنهم ما يتسلل إلى حواسهم من مذاق العلم الثانى، فصرفهم عن أن يقيمّوا ما فى المزيج من علومهم.

وإذا ما عرض المزيج على أرباب العلم الثانى، فتنهم مايجدون من طعوم قشور العلم الأول، ويصرفهم هذا الإحساس وتلك الدهشة عن أن يفكروا فى قشور علمهم ضمن هذا المزيج.

ويظل هذا الإنسان الذى يقرأ فى اتجاهين غير قادر على حسم قضية من قضايا أحد الاتجاهين.

غير أنه لما لديه من البراعة فى المزج والتركيب استطاع أن يفرض نفسه على أرباب الاتجاهين فترة تطول أو تقصر بمقدار مالديه من البراعة فى المزج والخلط.

لكن الله عز وجل لن يسمح (وهذا شأنه) أن تسير الأمور كلها على هذا النحو، ولا بد أن تأتى ساعة يجتمع فيها أرباب العلمين يقيِّم كل فريق منهما ما يخصه من القشور التى تكون منهما المزيج المبهرج.

فليس كل مايلمع ذهباً

ولم يلبث الفريقان أن يكتشفا أن الدهشة إن كانت لاتعمى الأبصار، فهي تعمى البصائر أحياناً.

أخذت نفسى بتلابيبها طوال ليلة أمس، تقص علىَّ أحاديث الماضى من مثل هذه الفكرة التى شرحت لك، ثم هى تتخذ من الأفكار أقيسة ومعايير تقيس إليها أشخاصاً وشخصيات.

وأنا أتودد إليها كى تتركنى حتى آخذ قسطاً من الراحة، بدلاً من أحاديث النفس التى لا تنفع فتيلاً ولا قطميراً، ولا تفيد فى حياتنا حتى ولا قلامة ظفر.

رجوت نفسى أن تتركنى وهى تأبى علىَّ، فلما أغلظت لها القول قالت: أريحك شريطة أن تعدنى أن تريحنى فى سؤال طرحته عليك بالنسبة لموضوعك أنت وصاحبك، الذى اخترت أن تقابله حوله على أرض محايدة.

قلت وماذا تريدين منى أن أفعل مقابل أن تنصرفى عنى بأحاديثك، كى آخذ قسطاً من الراحة ينفعنى وأنا أستقبل يوماً جديداً؟

قالت: لاشئ، إلا أن تقول لى من التابع ومن المتبوع؟

وافقتها ووافقتنى وانصرفت عنى بأحاديثها وانصرفت عنها بإلحاحى.

لكننى عدت إلى كلام صاحبى أتأمله كى أكون أميناً حين أجيب على السؤال المطروح علىَّ، وأمعنت النظر مرتين ومرات ثم تبين لى أن الرجل تابع وليس بمتبوع.

وهذا لا يعيب صاحبى بل إن هذا قد طمأننى عليه إلى حد بعيد.

ذلك أن التابع يسهل عليه أن ينصرف عن متبوعه إذا مالاح الحق له من غير مؤثرات أو صوارف تحول بينه وبين ما يريد، بخلاف المتبوع الذى يقلده غيره، فهو إن لاح الحق له فتنه موقعه وصرفه عن اتباع الحق فى معظم الأحيان.

قلت إنه قد ظهر لى أن صاحبى تابع وليس بمتبوع.

وهذا الظهور كان له من كلام الرجل ما يؤكده، بل ويقطع به حقيقة ظاهرة لاتحتمل الجدل منى أو منه أو من غيرنا.

وهذا الظهور الجديد نفسه هو الذى جعل افتراضى السابق حقيقة واقعة حيث أصبحت مؤيدة بالدليل مشفوعة بكلام الرجل الذى أبداه ولم يشأ أن يخفيه.

ودعنى وأنا مع صاحبى على أرض محايدة أذكر لك الأدلة التى وقعت عليها من كلام الرجل وسوف أصنف الأدلة قدر استطاعتى بعد أن أستخرجها من كلامه، وهى عملية شاقة كما قلت لك حيث كلام صاحبى لم يأت على منهج منضبط.

وأدلتى التى سأسوقها بين يديك هى على النحو التالى:

الدليل الأول:

إن صاحبى مع أن اسمه لامع وأتباعه كثيرون وكتبه متعددة، لكنه لاعلاقة له بالمراجع الدينية إلا هذه العلاقة الخفيفة التى يلجئه إليها حب الاستطلاع، بالنسبة لفكرة بعينها أو موضوع لم يجد من يحدِّثه حوله.

وأنت خبير ولاشك بأن مراجع الفكر الإسلامى ومصادره تتعدد بحسب تعدد موضوعات هذا الفكر ومصادره.

وعلى سبيل المثال فإنه في الإسلام كتب تسمى - **كتب التاريخ** - وفى الفكر الإسلامى مراجع فى مجال - **السيرة** -، وفى الفكر الإسلامى وأصوله مراجع وكتب تسمى - **كتب السنة** -.

وهذه الأنواع الثلاثة من الكتب لاتختلف من حيث الاسم فقط، وإنما هى مختلفة حتى من حيث تقدير العلماء لها.

فكتب التاريخ سارت على منهج المؤرخين وأساليبهم، ومناهج المؤرخين قد أحاطت بها فى فترة من فترات المسلمين بعض المؤثرات التى أثرت على كاتبيها.

فمنهم من كان يهتم بمجاملة مذهب أو فكرة.

ومنهم من كان يهتم بمجاملة عصر أو شخصية.

وجميعهم لم يكن يهتم بتحرير المنهج أو التدقيق فى المسألة التى يريد تسجيلها.

وجميعهم إلا من عصم ربى كان يهتم بالتاريخ السياسى وتسجيل أحوال الملوك لايتحرى الدقة فيما يسجله.

فجاء التاريخ وكتب المؤرخين تحتاج إلى شئ من التنقية يستلزم مجهود أمة صادقة.

وفى حدود علمى أنه لم يلتفت إلى هذا القصور فى - كتب التاريخ - أحد فيما عدا محاولة عبد الرحمن بن خلدون الصارمة.

غير أن عبد الرحمن رجل عالم ضيعه قومه.

وفى حدود علمى أن هناك محاولات مغرضة فى الشرق وفى الغرب حاولت أن تستبقى على التاريخ كما هو، ليكون بيئة خصبة تمد كل من أراد إشعال نار الفتنة بين المسلمين بالمادة التى يستفيد بها فى تحقيق غرضه.

وهى فى الوقت نفسه تمد كل من أراد أن يفصل بين الأمة و دينها بالمبررات التى تلقى بالأمة أفراداً وجماعات فى بحار الظلمات.

وعلى الطرف المقابل تماماً تقع - كتب السنة - وهى كتب قد اهتمت بتسجيل - أقوال النبى وأفعاله وتقريراته وصفاته -، واهتمت كذلك فى المرتبة الثانية بتسجيل أقوال وأفعال وتقريرات صحابة النبى ﷺ.

ومحتوى هذه الكتب من مرويات قد خضع لرقابة صارمة - وما يزال - لتمييز الغث من السمين ولإيقاف علماء الأمة على هذا وذاك.

وهذه الرقابة الصارمة نفسها قد أخضعت الكتب التى تضم هذه المرويات لسلطانها القاهر من خلال منهج منضبط أقلق أعداء أمة الإسلام وما يزال يقلقهم.

ومن العجب العاجب أنك ترى رءوساً تظهر فى كل عصر تستحسن كتب التاريخ وتعتمد عليها على ما فيها من خطر ظاهر، لايكاد ويبقى للحقيقة إلا مساحة ضئيلة، وهم أنفسهم يُشددون النكير على - كتب الحديث - على مافيها من سلطان المنهج القاهر لكل خطأ بحيث لم يُبق للخطأ مساحة تذكر.

وأنا أُطمئن كل مسلم أن أمثال هذه الرءوس تجد عسراً شديداً فى محاولة إقناع الناس بهذا المنهج المقلوب.

ودائماً أطاردهم بهذا السؤال : ما المنهج الذى يمكن أن يقنعكم بقبول مرويات أحداث وأقوال منسوبة إلى أصحابها وقد فصل بيننا وبينهم الزمان؟

وأنا منتظر أن يقدموا لى مشروع منهج معقول ويجمع عليه علماء التاريخ حتى نقيس إليه - منهج رواية السنة - عند المسلمين.

وبين - علمى التاريخ والحديث ومروياتهما - يأتى فى المنتصف علم آخر اسمه علم السيرة.

وعلم السيرة يهتم بالتأريخ للأشخاص.

فإن جاءتنا كتابات أناس عن أنفسهم قلنا هذه سيرة ذاتيه كتبها أصحابها لأنفسهم، وإن جاءتنا كتب تكتب عن الأغيار قلنا هذه كتب السيرة.

وقد أصبح هذا الاسم - سيرة - علماً على كل حديث يتناول تاريخ النبى ﷺ فى أنسابه والظروف المهدة لميلاده، وفى الفترة مابين ميلاده إلى مبعثه، وفى الفترة من مبعثه إلى وفاته.

وقد يُلحق بعض الكاتبين بهذا العمل حديثاً مطولاً أو مختصراً حول صفات النبى الخَلْقية والخُلُقية وحول أزواج النبى وأبنائه وبناته وحول أقاربه من حواشيه ومن ذوى رحمه ومن مراضعه.

أقول قد أصبحت كلمة - **سيرة** - الآن علماً على كل كتابة أو مقولة تناولت النبى من هذه الحيثيات التى ذكرت لك.

وأقول بشئ من الحزم والتأنى فى نفس الوقت،أن هذه الكتب من حيث خضوعها لصرامة المنهج ورقابة المسلمين قد وقعت بين بين،أعنى بين - **كتب التاريخ** - التى أهملت عن قصد أو عن غير قصد، وبين - **كتب السنة** - التى وضعها المسلمون موضع اللحمة التى تقع بين العين والأنف.

ولأن - **كتب السيـرة ومروياتها** - كان موقعها كما رأيت، فإنه لا مانع أن يكون قد تسلل إليها رواية ضعيفة تسجل حدثاً من الأحداث أو واقعة من الوقائع.

ومع هذا فإننى لايغيب عنى أمران كلاهما ولا أحد هما.

الأمر الأول: إنـه يصـعب أن يتسلل إلى هـذه السـيـرة نـص ضـعيف أو موضـوع ينبنى عليه حكم تشريعى أوقاعدة اعتقادية لسبب بسيط، وهو أن السيرة نفسها ليست موضوعاً لعلم العقيدة وليست موضوعة لعلم التشريع.

والأمر الثانى: أن ما يتسلل إلى كتب السيرة من روايات ضعيفة دفعت إليها الحماسة ومكنتها الغفلة من التسلل لاتشكل فى مساحة السيرة إلا جزءاً ضئيلاً، لا لشئ إلا لأن مرويات السيرة لها أصل ضابط فى الكتاب والسنة وهما بوابتان لاينفذ منهما الخلل مادامت عيون الأمة ساهرة وما دام الله قد وعد بالحفظ لهذا الدين.

قلت إن المراجع فى الثقافة الاسلامية وأصول الإسلام والفكر الدينى عند المسلمين تتعدد بتعدد الأغراض والفروع.

وصاحبى لا يكاد يعلم عن هذا التعدد فى مراجع الأمة وتصنيفها، فهو يكتفى غالباً باستقاء معلوماته ممن يستطيعون أن يقنعوه بأنهم أسود الإسلام وسيوف الله المسلولة مهما كان حال هذه الأسود ومهما كانت صفة هذه السيوف.

وبعد أن يستقى معلوماته هكذا سماعاً يخرج على الأمة بما يريد أو يريد له غيره بكلمات هو يتأكد أن مريديه سيأخذونها بغير نقاش، ولكى يكون كلامه له يحاول أن يذكر المراجع التى يوهم الناس أنه قد اطلع عليها متحدثاً عن أصحاب هذه الكتب يوهم الناس بأنه قد قرأ لهم وتصور معاناتهم.

فهو هنا يكتب عن الشفاعة والأحاديث الواردة فيها ولم يذكر لنا حديثا واحداً بمرجعه كما رأيت، ولكنه يميل إلى التعميم فى حديثه، وكنا ننتظر حتى فى هذا التعميم أن يقول إنه قد استقى أحاديثه من كتب السنة.

ولكنه لأن الأمر قد التبس عليه لأنه لاصلة له بمراجع الفكر الإسلامى قال: إنه قد أخذ أحاديث الشفاعة من كتب السيرة وأن رواة السيرة فى ضلال، وأولُهم البخارى الذى يعرف هو أنه بسبب علمه فى السيرة (كذا) سيوقفه الله بين يديه ليُشَدّ بعد ذلك بالسلاسل ثم تسعَّر به الجحيم.

وبعد هذا الإيحاء يقول : البخارى رحمه الله.

ودعنى أذكرك ببعض كلمات صاحبى التى تؤكد ما قلت لك.

قال صاحبى: [فلا ننساق وراء هذه الأحاديث الموضوعة التى تملأ كتب السيرة وتدعى بأن النبى عليه الصلاة والسلام سوف يخرج من النار كل من قال لا إله إلا الله (وما أسهل أن نقول وما أهون أن ننطق بالكلام ونحن أكثر الأمم كلاماً وأقلها التزاماً)] (١).

[وللأسف الشديد نحن نقرأ كتب السيرة بتسليم مطلق وكأنها قرآن منزل .. ومحفوظ.. والله لم يقل لنا إنه تولى حفظ هذه الكتب .. وهو لم يحفظ إلا القرآن ..

---

(١) الأهرام : ٣/٤/١٩٩٩م. عدد ٤١٠٢٥.

وكل مـا عدا القـرآن من كـتب يجب أن يخـضع للنقد مـهـما عظم شـأن أصـحابهـا .. والإسرائيليات تملأ كتب السيرة ..](١).

[والآية تكذيب ضمنـي لهذه الحكـايات التـي ذكـرها كتّاب السـيرة والتي روت أن النبي عليـه الصـلاة والسـلام بفـعل هذا السـحر كـان يأتـي بأفـعـال ولا يدرك بأنه فعلها (كذا)] (٢).

[اقرؤوا السيرة من خلال القرآن تفهمـوا السيرة أحسـن .. وتفهموا الدين أحسن ولا تستخفكم الروايات والأحاديث التي تدخلكم الجنة بغير حساب] (٣).

[وهـذه الثـوابت القـرآنية تتنـاقض تماماً مـع مرويـات الأحـاديث النبـوية في كتب السـيرة] (٤).

[ولـم يقـل لنا رب العـالمين إنـه حـفظ كـتـاب البـخـاري أو غـيـره من كـتب السيرة] (٥).

ولم يكن البخاري ﷺ وأرضاه (كذا والظاهر التهكم) هو الوحيـد الذي خاض في موضـوع السـيرة النبوية لكن كـتّاب السـيرة كـثيرون، وقد تناقـضوا واخـتلفوا بين بعضهم البـعض .. وامتلأت كتب السـيرة بالموضوع والمدسوس من الأحـاديث والعجيب والمنكر من الإسـرائيليـات وقرأنا في أكـثر من كـتـاب من كتب السـيرة (كـذا ولا أظن) أن النبي عليه الصلاة والسلام مات ....] (٦) الخ

[وما تناقض في كـتب السيرة مع القـرآن لا نأخذ به فالذين كـتبوا السـيرة بشر مثلنا يخطئون ويصيبون] (٧).

[وهذا كلام السـيرة وكلام كـتّاب السيرة أنفسهم أن النبي قد أخلى مـسئوليته

---

(١) السابق.
(٢) السابق.
(٣) السابق.
(٤) الأهرام : ١ مايو ١٩٩٩م، عدد ٤١٠٥٣.
(٥) السابق.
(٦) السابق.
(٧) السابق.

وتبرأ من الوساطة لأحد حتى لأعز الناس .. حتى لابنته الغالية ومهجة قلبه فاطمة](١).

ثم نقل هذا النص العجيب فقال:

[وحينما جاء البلاغ للنبى فى سورة الشعراء ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾(٢).

ألم يبادر النبى فينادى على أهل بيته ياخديجة إنى لن أغنى عنك من الله شيئاً ياعائشة إنى لن أغنى عنك من الله (كذا) يافلان يافلان .. ولم يدع أحداً من أهل بيته إلا أبلغه] (٣).

هكذا ذكر صاحبنا الرواية عن كتب السنة أو كتب السيرة كما يقول.

وهو يتحدث عن حادثة تاريخة وقعت قبل هجرة النبى بعشرة أعوام، والنبى كما قال نادى فيها خديجة وعائشة وآخرين.

ولم يجرؤ واحد من المؤرخين أن يقول إن النبي قد تزوج عائشة أو غيرها مع خديجة أو حتى أنه تزوج بمكة غير خديجة.

وحدود علمى أن أحداً لم يجرؤ على القول بأن عائشة قد ولدت ساعة هذا البلاغ إلا بالظن أو الشك أو الوهم المرجوح.

ألم أقل لك أن الرجل لم يقرأ ؟!

الدليل الثانى : والدليل الثاني الذى أعتزم أن أسوقه الآن بين يديك يؤكد أن الرجل تابع لا متبوع، هو ما ظهر من سلوكه فى الكتابة من أنه لم يكلف نفسه عناء استخراج أمثلته من مراجعها، وإنما اعتمد على غيره من الذين اتبعهم يستخرجون له الأمثلة والشواهد.

وهو كذلك لم يكلف نفسه عناء التدبر والتأمل فيما نقله عن القوم، وإنما نقله هكذا كما سمعه كأنه تركهم يتأملون له ويتدبرون القول نيابة

---

(١) السابق.
(٢) الشعراء ٢١٤.
(٣) الأهرام ١مايو ١٩٩٩م عدد ٤١٠٥٣.

عنه، كأنهم أنبياء معصومون، بل إنهم أعلى من الأنبياء فليس للأنبياء عند القوم عصمة.

ولست فى حاجة الآن أن أعيد عليك ما ذكرته من الآيات التى جاء بها من القرآن، فليست هناك آية واحدة استخرجها بنفسه، وإنما الآيات بترتيبها موجودة عند هؤلاء القوم فى أناجيلهم إن شئت، أو فى أورادهم التي يتعبدون الشيطان بها إن أردت.

بل إن هذه الأحاديث التى ساقها للتندر بها كحديث آخر الناس خروجاً من النار، لم يطلع عليها صاحبى فى مصادرها، ولم يعلم أين هي من كتب السنة، إذ هو كما اتضح لنا من الفقرة السابقة لم يعلم أصلاً أن هناك كتباً اسمها - **كتب السنة** -، وإنما قصارى ما يعلمه كما صرح لنا، أن هناك كتباً تسمى - **كتب السيرة** -.

وقد علمت أن البخارى عنده من فرسان علم السيرة المشبوهة لديه، وأنه بسبب مهنته تلك سيدخل النار هو وإخوانه، وما هم بخارجين من النار.

وأنا فى غنى الآن عن أن أنقل لك هذه الأمثلة التى ذكرها للتندر بها، والتى صُبَّت هى والتعليق عليها فى وجدانه صباً مشبوهاً.

الدليل الثالث : والدليل الثالث من أدلتى هو: أن الرجل لما التقى بهؤلاء، **تعلم منهم شيئاً لا أحب أن يتعلمه، ولا أحب أن يختم به حياته الفكرية.**

وهذا الشيء الذى تعلمه الرجل جديداً ولا أحبه له هو: الانصراف عن الموضوعية، فى الحديث إلى أسلوب التهويش والتشويش.

ثم الانصراف عن المنهجية فى الكتابة والقول إلى خلط الأوراق وتشويش ما فيها من معلومات، لا لشيء إلا لأجتذاب العقول، وإلا للسيطرة على الأفئدة.

ثم فى النهاية هذا الانصراف المتعمد عن الأسلوب العلمى المبنى على مقدمات منضبطة إلى نتائج صادقة ينصرف عن هذا إلى أسلوب الإثارة ودغدغة العواطف، وحمل الناس على التصديق بشيء لا يطابق الواقع.

وإن انصراف الرجل عن هذه الأشياء كلها إلى أضدادها لكى يحاكى أقواماً اقتنع بفكرهم، ليس له من معنى عندى إلا محاولة صياغة العقول المسلمة صياغة جديدة، ليقتحم الرجل والقوم معه بهذه العقول معركة يدق علىَّ الآن إدراك ماهيتها، والتنبؤ بنتائجها.

أما القوم الذين قلدهم الرجل فقد أوقفتك على هذا النوع من الأساليب عندهم فى كتاب أصدرته من قبل، يحتوى على حشد هائل من هذه الأساليب التى ذكرها القوم في مصادرهم.(١)

وأما صاحبى الذى أزعم أنه مقلد لهؤلاء القوم، فسوف أطلعك الآن على بعض أساليبه التى خطها قلمه، وليست من بنات أفكاره.

لتعلم منها **أولاً** : أن الرجل مقلد في هذا المجال وليس مبدعاً.

ولتعلـــم **ثانياً** : صدق قضيتنا الأولى التى ندعيها، وهى أن الرجل لا صلة له بالمراجع أو الأصول التى تصور الإسلام عقيدة وشريعة.

ولتعلـــم **ثالثاً** : الرغبة العامة فى حمل الكافة على ما يعتقده الرجل وأئمته بعد صياغة عقولهم صياغة جديدة، ولو كان ما يعتقدونه مخالفاً لطبيعة الإسلام وأفكار المسلمين.

وهاك ما يقول الرجل:

قال فى نفى الشفاعة : [**فالمقام الإلهى مقام جليل مرهوب .. وفى الحضرة الإلهية لا يملك أحد أن يسبق الله بكلمة أو رأى ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**:(٢)........

هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها في يده. فهو وحده صاحب العلم المحيط. وهو وحده أرحم الراحمين ولايستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله، أو أعلم بهم منه..

---

(١) راجع: الإسلام واستمرار المؤامرة فى أجزائه الأربعة وخاصة: ضلالات منكرى السنة للمؤلف.

(٢) الأنبياء آية: ٢٧.

فهو وحده عالم الغيب والشهادة .. وهو وحده الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيط أى منهم بعلمه إلا بما يشاء .. وهو وحده الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ (١).

والجزاء في هذا اليوم على قدر العمل. والعفو والصفح حق لله تعالى وحده. فلله الشفاعة جميعاً، لا يشاركه فى هذا الحق مخلوق.

وإذا كان الهدف من شفاعة الشفعاء هو إضافة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم من أى مخلوق .. يقول القرآن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (٢).

(فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى) لينافس رب العالمين في هذا المقام .. لا أحد قطعاً.. والله وحده هو الجدير به.. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده فى جمعية تنفى تدخل أحد ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطق به المشيئة] (٣)

هذا هو كلام الرجل بحروفه.

ولقد انتابنى إحساس عجيب، وهذا الكلام يقرأ عليَّ أن الرجل لو استقبل من أمره ما استدبر، وملك من أسباب الصحة والقوة ماكان يملك لصاح فى وجوه العامة منفعلاً بهذا الكلام، يقسم عليه بأغلظ الأيمان ويركل وهو منفعل الأرض بقدميه ويضرب المنضدة بيده فى منظر رهيب صنعه الانفعال، وحملت عليه الرغبة فى أن يأخذ العامة معه إلى ما يريد.

وفى مخيلتى أنه لو قد فعل واحتشد العامة له فى ساحة أمام مسجد، لرأيت العامة فى هذه الساحة وهم لا يجيدون صناعة الكلام، وقد دارت بهم

---

(١) النساء: ١٢٣. (٢) النجم:٣٢.

(٣) الاهرام: مايو ١٩٩٩م عدد ٤١٠٥٣.

رء وسهم وانفتحت أفواههم، ولو قدر لهم أن يملكوا ناصية الكلام لقالوا: ما لهذا الرجل ينفعل في غير محل الانفعال هو وأئمته، بل وما لهذا الرجل يقول كلاماً لا يخفى على صبيان الأمة أن يدركوه، لابد أن يكون وراء ذلك الصنيع كله من غاية لا ندركها، ولابد أن يكون هناك من هدف مستور يخفي على الناس إدراكه إلا أن يظهره الله؟.

ولو شئت لنقلت لك من كلام صاحبى نماذج تشبه هذا النموذج.

ولو شئت لنقلت لك من كلام منكرى السنة عشرات النماذج التى تشبه هذا النموذج.

ولكنى قد رأيت أن أكتفي بالإشارة عن طول المقال، وأن أكتفى بالمثال عن الاستقصاء، مادام الأمر قد أصبح واضحاً لا سترة له.

فتأمل.

الدليل الرابع: والدليل الرابع من أدلتى على أن صاحبى تابع لامتبوع، هو أن القوم الذين أنكروا السنة قد رفعوا شعارين فى وقت واحد بالإضافة إلى قاعدتهم الأساسية التى هى الاكتفاء بالقرآن، وهذان الشعاران هما:

احترام النبى شرك.

وسنة النبى من عمل الشيطان [١].

وهذان الشعاران تستطيع أنت أن تجدهما بوضوح فى كل كتاب صدر عن هذه الطائفة، وهى كتب سرية كما تعلم، يظهرهما بعضهم بغاية الوضوح، ويرمز إليهما بعضهم حين يأخذ بأساليب التقية، أو يقصد إلى الخداع والتضليل.

أما صاحبى فقد جاء بين بين.

---

(١) راجع: أنبياء الله فى القرآن أحد كتب منكرى السنة إن استطعت.

فهو لايريد أن يخسر اسمه على الساحة، وهو لايريد أن يخسر مكانته بين القوم .

والذى يريد أن يكون هذا موقفه تراه يكون بين بين، لا إلى هؤلاء ظاهراً ولا إلى هؤلاء ظاهراً، والبواطن يعلمها علام الغيوب .

فلما أراد أن يعبر عن وسطيته تلك، تحدث عن إنكار السنة علناً، وإن كان بأسلوب فيه شئ من التمويه على نحو ما نقلنا لك بعبارته .

وقد انتهى من موقفه المموه هذا إلى القول: [**والعمدة فى جميع أمور الملة هو القرآن المجيد. نتمسك به ونحتكم إليه فى كل صغيرة وكبيرة .. والقرآن هو الكتاب الوحيد الذى تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أى تحريف وقال فى كتابه المحكم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) ولم يقل لنا رب العالمين إنه حفظ كتاب البخارى أو غير من كتب السيرة**] (٢) **(كذا ولعله يقصد السنة)** .

وأحب هنا أن أسجل نقطة منهجية قبل أن أتحدث عن موقفه من النصف الثانى من الشعار، وهو الموقف من النبى ﷺ .

وهذه النقطة المنهجية أرجو أن يكون صاحبى قد غفل عنها فهو أفضل له ولى، لأن القصد إلى الوقوع فيها يضر بالخلُق ويضر بالموقف العلمى كما سبق أن نوَّهت .

وهذه النقطة المنهجية هى ما يدندن حوله القوم دائماً ، وقد ذكره صاحبى الآن، وهى أن السنة الله لم يتول حفظها كما تولى حفظ القرآن.

وأنا لن أناقش صاحبى حول هذه الجزئية، إذا كان من الممكن أن أقول: إن الله لم يقل إنى سأحفظ القرآن وحده، وإنما قال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/ ٩.

ولو أنك ضممت إلى هذه الآية من سورة الحجر الآية الأخرى الواردة فى سورة المائدة، وهى قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا

---

(١) الحجر : ٩.

(٢) الأهرام ١مايو ١٩٩٩م عدد ٤١٠٥٣.

تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (١)

لو أنك ضممت إلى آية الحجر آية المائدة لاتضح لك أن المراد بالذكر الذى وعد الله بحفظه هو الدين كله كتاباً وسنة .

أما طريقة الحفظ لهذا الدين، وما إذا كانت قدرية أو سائرة على الأسباب، فهذا كلام آخر يحتاج إلى حوار خاص على أرض محايدة كهذا الحوار الذى نحن بصدده الآن .

أما أنا فأقول : لقد حفظ الله السنة بوصفها وحياً من الله عز وجل على مجريات الأسباب، فلم يضع منها شئ ولم يستطع أحد أن يشوش عليها دون أن يدرك العلماء حيلته .

وما عرفتموه من الأحاديث الضعيفة لستم الذين استخرجتموه، إنما استخرجه خبراء الأمة فى هذا الفن، فميزوا بين الجوهر الخالص والبهرج الكاذب، فألقوا بالهرج الكاذب فى مزابل التاريخ، واحتفظوا بالجوهر الخالص فى قلوبهم إيماناً وفى عقولهم عرفاناً وعلماً .

ألم أقل لك إن المسألة تحتاج إلى جلسة خاصة على أرض محايدة؟

دعك من هذا إلى حين، لكى أطلعك على موقف صاحبى من النبى ﷺ وهل هو مشابه لموقف القوم، أم هو مغاير لما اتخذوه من المواقف، ولعلك تذكر أنى قلت لك : إن الرجل قد وضع نفسه فى الظاهر على نقطة وسط، فأنكر السنة كما أنكرها القوم مع إحاطة عبارته بشئ من التمويه.

ولكنه فيما يتعلق بموقفه من النبى لم يشأ أن يعبر عن موقفه صراحة، فلجأ إلى الرمز فى مقالاته الثلاث يعلم منها مرمى الرمز من يعلم وهو قانع به، وينصرف عن الالتفات إلى الرمز من ينصرف وهو مستغن عنه إلى حين.

لكنه فى جميع الأحوال يرى أن التقية هنا أفضل له.

---

(١) المائدة : ٣.

وعندي الآن رغبة ملحة في أن أصحبك معي في رحلة نسلك فيها طريقاً ممهدة أو غير ممهدة عبر التاريخ، لنصل إلى موقع بيننا وبين عاماً، يومها كتب صاحبي مجموع مقالات حدثتك عنها في المقدمة تحت عنوان: «القرآن محاولة لفهم عصري».

ويعلم ربي أنني ماتركت مقالة من مقالاته إلا ورأيتني قد ناقشته فيها.

وصاحبي لم يشأ أن يرد عليّ إلا بسطور نقلتها لك فاتحة هذه الدراسة.

وأعترف أني قد كنت في هذه الأيام طبقاً لأنواتي الغضة عاجزاً عن أن أصنف الرجل، وما كانت عندي الرغبة في ذلك، فهذه مسألة ضمائر لايعلمها إلا الله.

غير أن هذه المقالات أثارت ضجة عالية، استوجبت سيلاً من الردود والمناقشات، وكان من بين الذين ناقشوا صاحبي أستاذ دكتور: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) يومها أصدرت كتاباً يحضرني الآن موضوعه الجملة لأنه ليست تحت يدي نسخته.

وموضوع كتابها أمران:

أحدهما: الرد على هذه المقالات ومناقشتها.

وثانيهما: الاجتهاد في تصنيف الرجل من خلال أفكاره.

وأذكر أن مؤلفة الكتاب قد ذكرت يومها أن صاحبي لديه ميول بهائية.

واليوم أعود فأقول بعد هذه الذكريات التي اصطحبتك معي لتأملها إننا حين نتأمل عناوين المقالات التي خصصت للشفاعة ونتأمل معها بعض

الموضوعات التى طارت بها المقالات إلى قرائها، نجد هناك ما يحملنا على إعادة التأمل فى أحوال الرجل خاصة أنه نفسه قد ذكر لنا فى بعض كتبه [1] أن الأحوال تعترضه فى عقيدته، فتأخذه من رحلة الى رحلة ربما يكون قد أعلن عن بعضها وستر البعض الآخر.

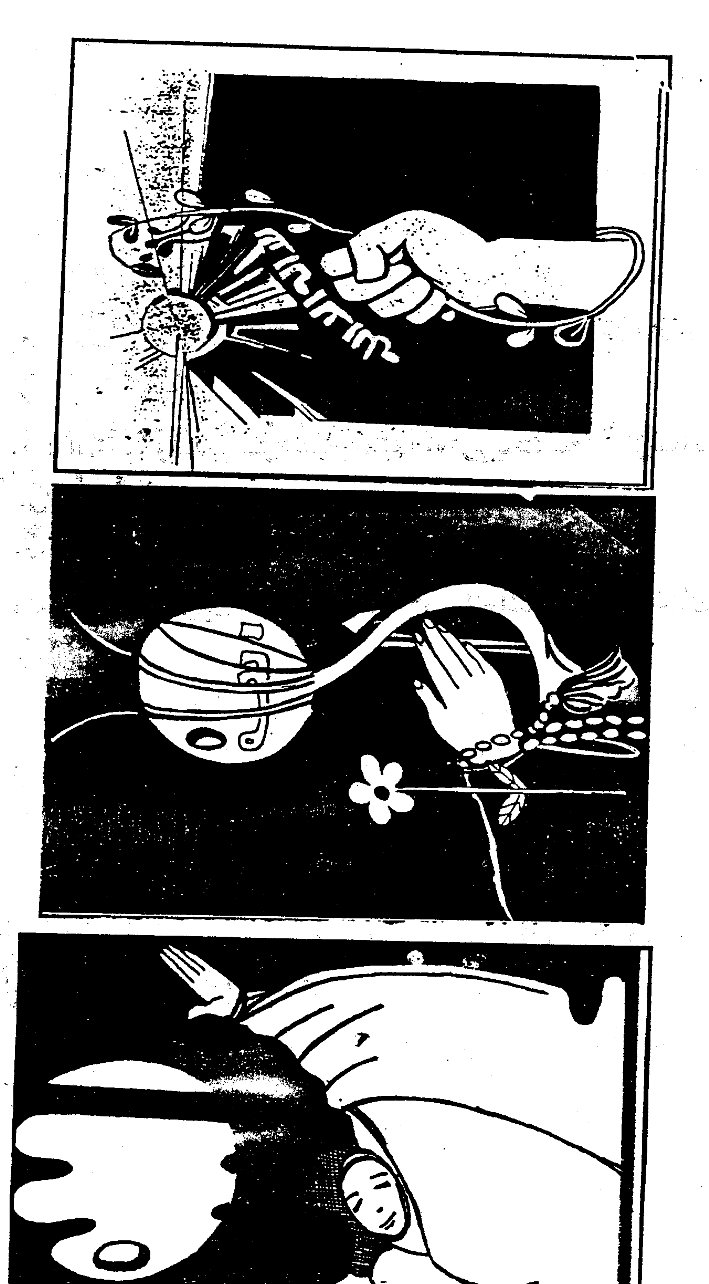
ومع قوة هذا الدافع فى ذاته أجده لا يغرينى بالبحث عن الرجل إلى أى الطوائف ينتمى، ذلك أنى من أول الطلب إلى اليوم أتشأم من البحث فى المساتير من أحوال الناس، بقدر ما أجدنى راغبا فى تحليل أفكارهم والبحث عن أصولها.

وإذا كان الحال كله كما ترى، فإنى أجدنى الآن راغباً فى أن أطلعك على ثلاث صور رسمها الرجل فوق مقالاته الثلاث تتوزعها هذه المقالات لكل مقالة صورة منها.

وهى مع اختلاف أشكالها لها رمز واحد، وهو الحرص الشديد على مايبدو على ألا يكون النبى ظاهراً فى هذه الأشكال جميعها، باعتباره جزءاً من الشهادة التى هى بوابة الإسلام الحقيقية، ودونك هذه الأشكال والرموز فتأملها بنفسك:

---

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر: رحلتي من الشك إلى الإيمان: دراسة كتبها الدكتور: مصطفى محمود فى عام ١٩٧٠ وللأمانة العلمية فإن الرجل قد تحدث عن البهائية على أنها ديانة مخربة سنة ١٩٨٥م والعلم عند الله.



الدليل الخامس: والدليل الخامس من أدلتي على أن الرجل تابع لامتبوع هو هذه الحماسة الشديدة التي أبداها صاحبي وهو يقدم لكتاب من كتب القرآنيين الذين ينكرون السنة.

وهذا الشكر الحماسي الذي أستوجبته المروءة وقدمه مؤلف الكتاب لصاحبي على ما قام به من تقديم الكتاب لجمهوره العريض [١].

وهذه التقدمة وهذا الشكر المترتب عليها نعتزم بمشيئة الله أن نعود إليهما في وقت قريب.

خلاصة عامة:

هذا وإني قد انتهيت الآن من عرض الأصول والمسلمات أو الثوابت والأسس.

وما خرجت هذه الأسس أو المسلمات عند الرجل عما ذكرت لك من هذه المبادىء الأربعة، إذ عنده أن الأقلية في الجنة والأكثرية في النار، ويوم القيامة لابد وأن يكون مرعباً لكي يكون قاهراً.

والكافر والعاصي في النار لا يخرجون منها أبداً، والسنة من عمل الشيطان لابد من ردها على الأقل في موضوعنا الذي نحن بصدده، وأعترف أن هذه الأصول قد استخرجتها من كلام صاحبي بشق الأنفس، ثم قلنا كلمة في كل أصل تسجل وجهة نظرنا فيه.

غير أن ما ذكرناه وذكره صاحبي لا يعدو أن يكون توطئة إلى ما سنذكره بعد.

(١) راجع كتاب: أفلا يتدبرون القرآن لأحد كتاب هذه الطائفة.

وماذا بعد الأصول الثوابت ؟

كلمة جامعة

قد يظن ظان أن مسألة الشفاعة والموقف منها بيني وبين صاحبي قد انتهت عند استخراج أصول الرجل من كلامه، ومناقشة تلك الأصول، والكشف عن جذورها أو جذور بعضها على الأقل.

إلا أن الواقع غيرُ ذلك، إذ الأصول ما هى إلا هذه الأسس التى يبنى عليها صاحب المذهب مذهبه.

وهى ليست إلا هذه المنطلقات التى ينطلق منها صاحبها إن سلمت له أو أصر هو على الاقتناع بها حتى ولو لم تسلَم، إلى افاق بعيدة يريد أن ينشر فيها مذهبه الذى تأسس على هذه الأصول، وبُنى على هذا الأساس.

ونحن لا نريد أن نقف مع الرجل عند مناقشة أصوله، إذ قد يقول قائل: إننا قد نختلف فى الأصول، ولكن المذاهب قد تكون سليمة البناء، متماسكة الوحدات، سليمة الأركان.

ومع أن هذا المنطق لا يروقنى، ولا يروق لعاقل، إلا أنى مع ذلك قد صممت على أن لا أسحب يدى من صاحبى الذى أخذ بها فى رفق، وأخذت بيده فى حنو قبل أن يأذن لى بالانصراف، كى يأخذ كل واحد منا وجهته.

وانطلاقاً من هذا المنطق سأكون مع الرجل حتي نناقش ما بقى لنا من قضايا، أظنها هي شغله الشاغل، وقصده المقصود**وعلى الله قصد السبيل**

حقيقة الشفاعة

الشفاعة كما يفهمها صاحبي:

وأول هذه المسائل الجادة التي سنناقشها مع صاحبنا بعد مناقشة الأصول الفكرية له، هي مسألة حقيقة الشفاعة في الآخرة كما يفهمها صاحبنا.

والذي أحب أن أسجله من أول وهلة - **وليسامحني صاحبي** - هو أن معنى الشفاعة غير واضح في ذهنه، ولنا على ذلك أدلة نذكرها بعد قليل.

غير أننا نحب أن نؤكد أن معنى الشفاعة غير واضح في ذهن منكري السنة جميعاً، أو هو واضح في أذهانهم، ولكنهم لايريدون أن يظهروا المعنى الحقيقي للعامة وأن يظهروا معنى آخر لهم مشوشاً كي يوقعوهم في الحيرة، ليكسبوا إلى جوار قضية إنكار السنة، كثرة كاثرة من الأتباع ولو كانوا من الدهماء.

فإن كان القوم لا يدركون حقيقة الشفاعة فتلك مصيبة من مصائب الأمة، وإن كانوا يدركونها ولكنهم يريدون التشويش على قطاع من أفراد الأمة ليلبسوا عليهم أمر دينهم فالمصيبة أعظم.

أما صاحبنا بوصفه تابعاً، وصلته بمراجع الإسلام ضعيفة، فأنا أجزم بأن المعنى مشوشي في ذهنه تماماً.

ودعني أذكر ألفاظه بين يديك وهو يعرِّف الشفاعة، لتقف بنفسك على صدق ما أقول.

إن صاحبي في المقالة الأولى له في هذا المجال، رأى أن الشفاعة مرادفة تماماً للدعاء والاستغفار.

ومعنى ذلك أن الكلمات - **شفع، دعا، استغفر** - كلها جميعاً عند الرجل بمعنى واحد يصلح بعضها مكان بعض.

فإذا كان من الضرورى أن يشفع النبى لأمته، فهذه هى الشفاعة المتاحة، فليدعُ لهذه الأمة كما يشاء، وليستغفر لها كما يريد، شريطة أن يكون الدعاء هو الاستغفار فى الدنيا، فلعل الله عز وجل يستجيب له، فيرضى عن أمته بدعائه، ويغفر لهم باستغفاره.

ليس دون ذلك من معنى الشفاعة حبة خردل.

وتلك عبارته: [... **إذن الوسيلة الوحيدة للنجاة من العقاب هى أن يقى ربنا عباده من الوقوع فى السيئات أصلاً ... أو يفتح لهم باب التوبة فى حياتهم إذا تورطوا فيها.**

وهذه هى أبواب الشفاعة الممكنة .. وهى دعاء النبى لمسلمى هذه الأمة بأن يختم حياتهم بتوبة.

أما الشفاعة بمعنى هدم الناموس وإخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنة .. فهى فوضى الوسايط التى نعرفها فى الدنيا ... ولا وجود لها فى الآخرة][1].

وأنا أظنك بعد قراءتك لهذا النص قد تأكدت من ثلاثة أمور يقول بها صاحبى .

أحدها: أن الشفاعة ثابتة للنبى.

وثانيها: أن مسرح هذه الشفاعة وزمان وقوعها هو الدنيا لا الآخرة.

وثالثها: أن الشفاعة والدعاء لفظان مختلفان ومعناهما واحد، أى أنهما مترادفان. على هذا المعنى، بحيث إذا أطلق أحدهما دل على معناه بغير وسيط.

وسواء وافقت صاحبى على ما ذهب إليه أو خالفته، فرجائى منك وفيك أن تحتفظ بهذا المعنى فى يدك وفى ذهنك، لا تسمح له يتفلت منك أو ينصرف عنك.

---

(١) الأهرام ٣/٤/ ١٩٩٩م ع / ٤١٠٢٥.

ثم تعال معى أصحبك إلى موقع آخر من مواقع حديث الرجل عن الشفاعة.

فى المقالة الثالثة من مقالاته التى خصصها لنفي الشفاعة، نسى صاحبى ما كان قد قاله في المقالة الأولى من معنى الشفاعة، ومن زمان وقوعها، فذهب إلى معنى آخر من معانى الشفاعة، وغير طبقاً لذلك ما ينبغى أن يغيره.

فالشفاعة هذه المرة لا ترادف الدعاء، ولا ترادف الاستغفار، وإنما هى مرادفة للبشارة، ويكون لفظى (البشارة - والشفاعة) بمعنى واحد.

ومادامت الشفاعة بمعنى البشارة فهى جائزة فى الآخرة، يقوم بها من يقوم من مَلَكَ مقرب أو نبى مرسل.

وشرط البشير أن يكون شديد القرب من الله حتى يكون أول من يعلم برضاه وعفوه، وليس من الضرورى بعد أن يكون الله قد كلفه بالتبشير، أو أنه قد ذهب من تلقاء نفسه ليبشر.

أما أنا فلست أدرى ما الذى يحمل الملك نفسه مثلاً على أن يجهد نفسه (إن صح التعبير) فيذهب إلى من سبق إليه القول بالعفو فيبلغه؟

وما الذى يحمل النبى على أن يجهد نفسه فى أن يذهب إلى من سبق إليه العفو فيبلغه؟

لماذا لايبلغهم الله عز وجل مباشرة ساعة العفو؟

لكنها التحكمات، واستغلال المواقف الاجتماعية فى فرض الرأى من قبل من يملكه وإن لم يكن يبصره.

ألا إن صاحبى قد شاء هذه المرة أن يرادف بين الشفاعة والبشارة دون أن أدري، أهو تراجع عن موقفه الأول أم أضافه!!.

قبل أن نحاول أن نقف على جواب هذا السؤال، أحب أن أضع نص الرجل بين يديك قال: [**وشفاعة الملائكة للبعض فى القرآن لا تأتى زبداً سابقة للحكم الإلهى بالعفو بل تأتى بعده (لا يشفعون إلا لمن ارتضى) فالحكم الإلهى بالعفو يأتى أولاً، وتكون شفاعة الملائكة أشبه بالبشارة حينما تعلم الملائكة أن الله قد ارتضي تبرئة فلان فإنها تبشره**] [١].

وأحس صاحبى بالاضطراب حين طعن اللغة العربية هذه الطعنة **التى أصابتها إصابة شديدة، فعبر عن اضطرابه هذا بقوله بعد قليل مما ذكره سلفاً.**

[...ومعنى ذلك أن شفاعة الملائكة لا تأتي إلا بعد الإذن وبعد العلم بأن الله قد عفا عن فلان ... فهي بشارة وليست شفاعة وهى أقرب إلى التهنئة بالنجاة] [٢].

هنا أجد صحابى وقد زاغت منه العيون واضطرب منه الفؤاد.

فى جملة واحدة الملائكة يشفعون.

وشفاعة الملائكة ليست شفاعة.

والشفاعة لا ترادف البشارة، ولكنها بها أشبه، وإلى التهنئة أقرب.

قل لى يا صاحبى بالله عليك ألا تريد أن ترحمني وتفهمنى؟إنى لم أعد أدرى أهى عبارات منضبطة، أم هو ماءٌ ينضحه صاحبه بالغرابيل واسعة الخروق؟

وأغرب من ذلك أن صاحبى حين رآنى قد أخذت رأسى بيدى من شدة الدوار، كأنه أعجبه ذلك منى فقال: أطرق والحديد ساخن.

---

(١) الأهرام ١/٥/ ١٩٩٩م ع//٤١٠٥٣.

(٢) السابق.

فانصرف الرجل إلى حديث الإثارة ودغدغة العواطف، وحديث العموميات الذى لا يخفى محتواه على أحد مهما كانت ثقافته، ومهما كان دينه، ولا يخفى الهدف من ورائه على متخصص يهوى البحث عن الحقيقة والنبش فى الأنقاض للحصول عليها.

لجأ صاحبى إلى منهج الصوت العالى والعموميات، وركل الأرض بالأقدام، وضرب المناضد بالأيدى، وحوله جماعته يقومون بدورى المكاء والتصدية لمحاولة الإجهاز على رجل مثلى لم يقوَ عقله على تحمل التناقض فى الأفكار، والتضارب فى الأقوال.

قال صاحبى: **[فالمقام الإلهى مقام جليل مرهوب ... وفى الحضرة الإلهية لا يملك أن يسبق الله بكلمة أو رأى]** ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (١).

والقانون العام فى ذلك اليوم يوم الدين ... يوم تدان الأنفس بما عملته .. أنه لا شفاعة تجدى ولا شفاعة تقبل .. لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة .. فلله الشفاعة جميعاً .. لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .. لا أحد غيره .. ولا كلمة إلى جوار كلمته.

﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (٢)

لا تملك أي نفس لأى نفس. مهما علا مقام هذه النفس التى تشفع ومهما بلغت درجتها .. لا تملك من أمر الله شيئاً.

ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب فى كلمات قليلة.

﴿ قل لله الشفاعة جميعاً﴾.

فجمعية الأمر والنهى فى يده وحده هو وحده الملجأ والملاذ وجمعية الشفاعة بأسرها فى يده وحده صاحب العلم المحيط وهو وحده

---

(١) الأنبياء: ٢٧.
(٢) الانفطار:١٩.

أرحم الراحمين ولا يستطيع مخلوق أن يدعى أنه أكثر رحمة بعباد الله من الله أو أعلم بهم منه.

فهو وحده عالم الغيب والشهادة .. وهو وحده الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيط أى منهم بعلمه إلا بما يشاء .. وهو وحده الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير.

﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ .

والجزاء فى هذا اليوم على قدر العمل. والعفو والصفح حق لله تعالى وحده فلله الشفاعة جميعاً لا يشاركه فى هذا الحق مخلوق.

وإذا كان الهدف فى شفاعة الشفعاء هو إضافة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم من أى مخلوق .. يقول القرآن ﴿إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم﴾.

(فمن منكم عنده مثل هذا العلم الإحاطى) لينافس رب العالمين فى هذا المقام .. لا أحد قطعاً .. والله وحده هو الجدير به .. ولهذا تخلص الشفاعة له وحده فى جمعية تنفى تدخل أحد .. ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطق به المشيئة) [1].

عقبة فى طريق الرجل:

وبينما أنا آخذ برأسى وصاحبى يرتفع صياحه بهذا الكلام الذى سمعته، إذا هو وقد توقف فجأة.

ترى ما الذى حدث؟!

قال صاحبى: لقد وجدت آية فى القرآن الكريم لابد وأن أتعامل معها.

---

(١) الأهرام ١/٥/١٩٩٩م ع/٤١٠٥٣.

وهذه الآية قد وردت فى سورة الإسراء.

وسورة الإسراء من القرآن الكريم وليست من السيرة.

وقد نصت هذه الاية من سورة الإسراء على أن النبى ﷺ قد منحه ربه المقام المحمود.

والمقام المحمود هكذا بالفتح له معناه في اللغة وهو معنى معروف.

والآية قد نصت عليه وهى بالقطع تقصد إلى نسبته للنبي بظاهر النص و حقيقته.

قال تعالى: ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧) أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (٧٨) ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ (١) .

وجد صاحبى نفسه أمام هذه الآية من القرآن الكريم تنسب المقام المحمود للنبى، فاندهش قائلاً، والمقام المحمود الذى نسبته الآية للنبي الذى من ثوابت القرآن الكريم قطعاً.

فانتبهت بكل حواسى للرجل لأرى ماذا سيفعل فى هذه الآية وهى عقبة أمام أفكاره؟!.

وكنت قد أُنسيت أن صاحبى كأئمته يستطيعون الخروج من مثل هذا المأزق بأى طريقة ولو كانت غير مقبولة.

والذى حدث فعلاً أن الرجل قد قال: إن المقام المحمود ليس له من معنى إلا هذه البشارة، وتلك التهنئة.

---

(١) الإسراء الآية رقم ٧٦ - ٧٩.

معنى ذلك أنه هذه المرة يقول: إن ألفاظ (**البشارة، والتهنئة، والمقام المحمود**) ألفاظٌ مترادفة.

ويترتب على ذلك أن المقام المحمود للنبي والذي هو بمعنى البشارة، إنما يكون في الآخرة، وهذا بنص القرآن، ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

وكأني بصاحبي بعد ذلك قد تورط حين شعر أنه تناقض مع نفسه، إذ هو قبل قليل من الآن قال: **إن النبي ليس له من دور إلا أن يستغفر لأمته ويدعو لهم في الدنيا، فعسى الله أن يقبل دعاءه واستغفاره فتنتفع بهما أمته قبل موتها**.

فلما شعر بهذا الاضطراب والتناقض قال: **إن الله عز وجل قد كلفه** بالبشارة في الآخرة ألم يقل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

ومعنى ذلك أن النبي بنص القرآن يكون مبشراً.

وأعود إلى رأسي فآخذها بيدي.

إن المقام المحمود عند صاحبي معناه: أن النبي لكونه شديد القرب من الله عز وجل يعلم قبل غيره أناساً ﷺ، فيذهب إليهم يبشرهم بأعيانهم.

وهذا في الآخرة.

والآية التي أوردها ليرفع الحرج عن نفسه إنما جاء ت لتحدد وظيفة النبي وحدود مسئولياته، وهي أن يقول للناس إن من آمن دخل الجنة، ومن كفر دخل النار، فهو لم يبشر أحداً بعينه فيما عدا أناساً قامت الأدلة على أنه بشرهم بأعيانهم.

فلما رأى صاحبي نفسه وقد وقع في الحيرة، لجأ من جديد إلى أسلوب التشويش والتهويش الذي هو ملاذ القوم عند الضيق.

قال صاحبي: [**ويبقى السؤال عن المقام المحمود ما هو؟ ومن يكون الموعود به في القرآن .. ومن كان المخاطب بهذه الآيات من سورة الإسراء**].

وبعد أن ذكر الآية قال: [**والمخاطب هو محمد عليه الصلاة والسلام وحده لا سواه بلا شك**].

والمقام هو مقام البشارة العظمى والله أعلم وليس مقام الشفاعة العظمى كما يذكر المفسرون وذلك لأن جمعية الشفاعة كلها لله وحده كما ذكر القرآن وكرر فى محكم آياته وأنه لا أحد أعلم بخلقه منه ولا أرحم منه .. فهو أرحم الراحمين وليس لله منافس فى هذا ولا يجوز أن يكون له منافس فى هذا المقام .. والأقرب أن يكون هذا المقام المحمدي هو مقام:«البشير الأعظم».. ويؤكد ذلك القرآن مكرراً في آياته أنه هو الذى أرسل رسوله للعالمين نذيراً وبشيراً.. وبحكم القرب من الله سيكون أول من يعلم بالعفو عن السعداء من أمته وسيكون أول من يبشرهم بالجنة والرضوان..][1].

هذا هو مفهوم صاحبى للشفاعة، فأعد، النظر، فيه وتأمله كما تشاء.

★★★

الشفاعة كما أعرفها:

وأما الشفاعة عندى فإنها لم تلجئنى إلى أن أمتطى صهوة جواد الحيل.

ذلك أنى لا غرض لى ولا هوى أُخَرِّج الألفاظ عليهما وأُضطر أن ألوى أعناق الجُمل كى تنطق بما أريد.

ولذا فإني حين أتصدى إلى معني كلمة - **شفاعة** - أجد الأمر أهون مما يتصور الناس.

وبادىء ذى بدء أن أنبه إلي أمر هام، وهو أن الله قد شاء أن لا يرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم.

وعليه فإن كل ماجاء به الرسول، أى رسول لابد وأن يُفهم فى إطار لغة قوم ذلك الرسول.

وتلك بدهية من بدهيات العقول لا تقبل الجدل ولا تحتمل اللجاجة.

---

(١) السابق.

وانطلاقاً من هذه المسلمة أؤكد أنها ليست العقيدة، وليست بدهية من بدهيات القول فحسب، ولكنها بالإضافة إلى هذا كله، وقبل هذا كله مبدأ معروف لدى أرباب الديانات جميعاً، ومن أهمها الدين الإسلامى.

وحين نتنزل مع القوم فنأخذهم بمبادئهم نقول: إن هذا المبدأ نفسه هو مبدأ قرآنى يعرفه عوام الناس وخواصهم لا يمترون فيه، ولا يتجادلون حوله.

وإنطلاقاً من هذا المبدأ نطرح هذا السؤال وهو:

ما المعنى الحقيقى لكلمة : (**شفاعة**) فى اللغة العربية؟

والجواب على هذا السؤال يدور كله حول إضافة شىء إلى آخر بحيث يصيرا شيئين.

وفى هذه الحال يقال لكل واحد منهما - **شَفْع** - (**أى زوج**) لا لشىء إلا لأن كل واحد منهما قد صير صاحبه شفعاً بعد أن كان كل واحدٍ منهما - **وترا** - .

وصدق الله القائل: ﴿ والفجر وليال عشر والشفع والوتر ﴾.

وعلى هذا الأساس تدور المادة كلها - **شفع** - ويزيد المعنى أحياناً بزيادة المبنى من غير إهمال لذلك للأصل المصاحب للمادة فى جميع اشتقاقاتها.

وعلى سبيل المثال فإن كلمة - **شفيع** - يكون معناها - **الشافع** - والجمع - **شفعاء** - .

وعليه فإنه يصح أن نقول: **اسْتَشْفَع بفلان على فلان. وتَشَفَّع له إليه. فَشَفَّعَه فيه** .

كما يصح فى اللغة العربية لغة القرآن أن أقول: **شَفَعَ لى يَشْفَعُ شَفَاعَةً وتَشَفَّع بمعنى طلب** .

إنى أقول ذلك وليس له من معنى عندى إلا أن تكون لى حاجة عند موجود عظيم، فأخجل أو أخشى أن أذهب إليه وتراً أى واحداً منفرداً،

فـأتلمس من أصـيـر به شـفـعـاً، أو يُتَلَمس لى ذلك فـيـذهب بى أو يذهب وحـده يرجو فى حاجتى نيابة عنى (**وهذا هو الشفيع أو الشافع**).

والذي يصـدر عن الشـفـيع أو الشـافع من سلوك وكلام ينوب به عنى، ويرجو به حاجتى هو (**الشفاعة**).

فالشفـاعة هى: كلام الشفـيع للمَلِك أو العظيم فى حاجة يسـألها لغيره[1].

ولقد استـفـاد صاحب التعريفات كما استـفاد غيره من هذه المعانى االلغوية، فأورد تعريف - **الشفاعة** - فى هذه العبارة الموجزة.

قـال: .. [والشفـاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقع الجناية فى حقه][2].

قضية ولا أبا حسن لها:

هذا هو حديث اللغة فى وضوح واضح، ودلالته على المقصود بغير عسر أو عناء.

غير أن الناطقين بلغة الضاد لما قل اعتناؤهم بلغتهم، ظهر من بينهم من يحاول إلصاق المعانى بالألفاظ وهى غريبة عنها، وجاء هذا العمل الغريب عن جهل أحياناً، وعن قصد مقصود فى سائر الأحايين.

كأن ترى من يقول لك: إن من أسماء الله الحسنى أنه جسم أو جوهر، فإذا ماعبرت عن اعتراضك، وجدت الخصم المناوئ لك يستاء منك ويغضب، ثم يقـسم أنه لايدرى لماذا تعـتـرض عليـه، ومـا المبـرر الذى خـول لك حق الاعتراض؟.

ثـم يقـول لك وأمـره لـه حين تنازل من عليائه ليُفهمك: إنه قد غير كلمة (جسم) - وكلمة - (جوهر) - .

---

(١) راجع لسان العرب لابن منظور - ط دار المعارف - جـ٤ ص٢٢٨٩ مادة: شفع.

(٢) التعريفات - للجرجانى/ ط. مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ص١١٢.

فالجسم عنده ليس كسائر الأجسام التى يعرفها وكذا الجوهر.

إذ الجسم بعد التغيير الجديد لمعناه أصبح لا يعنى إلا(الموجود) - .

والجوهر فى العصر الجديد وبعد التغيير أصبح معناه: - (الشئ النفيس أو العالى) -.

ثم ينهال عليك بأسلوبهم المعروف قائلاً: ومن الذى ينكر أن يكون الله موجوداً إلا أن يكون المنكر جاهلا أو ذاهوى.

ومن الذى ينكر أن يكون الله موجوداً نفيساً، أو مقدساً عاليا، إلا أن يكون إنساناً أحمق لايعرف ربه.

وكلامُ كثيرُ هذا معناه.

ثم يعممون حديثهم بعد ذلك فى هذا المجال تعميماً ساذجاً مبنياً على المغالطات.

فلا مانع عندهم أن تكون له يد ورجل، ووجه وأعين.. إلخ مادام كل واحد منهم يملك تغيير اللغة، وأن يضيف إلى الألفاظ معانى جديدة غير معانيها التى وضعت لها.

ومن هذا القبيل نفسه تجد من يقول لك: إن الشفاعة معناها: الاستغفار، أو البشارة، أو التهنئة.

فإن تململت فى مقعدك أسفاً على لغتك التى اعتدى عليها أمطروك بوابل من الشقشقات التى تصم الآذان، وأمطروك بشئ غير قليل من الألقاب المقزعة، وحاصروك بما تعلم وبما لا تعلم من التهم والرزايا.

وقد نقلت لك طرفاً من هذه الشقشقات التى أحاطت بمعنى الشفاعة الذى تغير طبعاً بحد القوة وصارم الاقتدار فارجع إليه إن شئت.

مظلومة لغتنا الجميلة فى كل عصر، حين يُغبر فى وجهها بالتراب لإخفاء جمالها، وبيد بعض أصحابها.

والقضية المطروحة الآن ولا أجد لها أبا الحسن، هى ما أصوره بين يديك من خلال هذا السؤال:

هل يجوز لإنسان ما أن يغير فى معنى كلمة أو كلمات قد تعارف الناس على أن هذه الكلمة قد ارتبطت بمعناها هذا، واستقر هذا الارتباط فى أذهان الناطقين بهذه اللغة ارتباطاً يسهل عليهم التخاطب فيما بينهم؟.

سؤال حائر رغم سهولة الجواب، وحيرة قلقة رغم يسر المهد.

وإذا ما حاولنا أن ننبش القبور لنتعرف على جواب من الأقدمين، لم نجد عند جميعهم إلا هذا الإجماع على هذا الجواب الواحد.

إنه لا يجوز لأحد أن يغير فى معانى الألفاظ الوضعية إلا أن تكون هناك جماعة علمية تنتمى إلى فن معين تصطلح على استعمال الكلمة فى معنى يختارونه، ليسهل عليهم التعرف عليه فيما بينهم، والتحدث حوله بين المعلمين والمتعلمين.

وهذا الاستثناء ليس على إطلاقه، وإنما لابد أن يحافظ هؤلاء القوم الذين اضطرهم عملهم فى فن معين أن يصطلحوا على معنى جديد لبعض الألفاظ، أن لا يقطعوا صلتهم بالمعنى الوضعى، إذ قصارى مايتاح لهم أن يضيقوا هذا المعنى العام قليلاً أو كثيراً ليكون اللفظ دقيقاً فى الدلالة عليه.

أما ماعدا ذلك فإن علماء اللغة الأوائل مجمعون على أنه لا يجوز لأحد أن يغير هذه المعانى الوضعية.

وبعض علماء اللغة المحدثين قد علل لهذا الحكم بهذه النتائج التى انتهى إليها "بافلف" من تجاربه على الكلاب، حين كان يقدم لها الطعام مقروناً بقرع الطبول أو ضرب الأجراس.

وأخذ يكرر هذا العمل مراراً، ثم شاء أن يقرع الطبول، ويضرب الأجراس دون أن يقدم طعاماً للكلاب، وقد أذهله أن قد رأى الكلاب يسيل منها اللعاب، كما لو قد رأت الطعام بالفعل.

ولقد كرر تجربته هذه مراراً حتى استقر فى ذهنه، أن الله قد خلق الكائنات الحية، حتى الدنيا منها، ولديها من الإمكانات ما يجعلها تربط بين الشيئين يتكرران متلازمين عليها ربطاً وثيقاً بحيث إذا ظهر أحد الشيئين بعد هذا الارتباط دون الآخر، فإن الكائن الحى الذى ارتبط الشيئان عنده

يستحضر ولا شك صورة الشئ الآخر بخياله، بحيث تحدث فيه من الآثار ماكانت تحدثه لو رآها فى الطبيعة.

وعلماء اللغة المحدثون قد علموا أن الإنسان قد خلق وهو مزود بهذه الميزة يستفيد منها فى شئونه خاصة اللغوية.

إذ اللفظ يُعرض عليه مرتبطاً بمعناه فلا يكاد ذهنه يفرق بينهما.

وعلى أساس من ارتباط اللفظ بالمعنى يتم التخاطب بين الاثنين.

فإذا ما أراد إنسان أن ينقل معلومة إلى إنسان، فإن الناقل يكفيه أن ذهنه يحضر له المعانى وألفاظها، فينطق بالألفاظ يسمعها منه المحيطون به، فإذا ما سمعوها بدأت أذهانهم تحضّر لهم المعانى التى ترتبط بها هذه الألفاظ فيتخيلونها، ويدركون المراد منها على طريقة الارتباط الشرطى وهى إحدى نتائج نظرية "بافلف".

قل لى بالله عليك ما الذى سيحدث إذا ما أصبحنا كل يوم على جلجلة صوت فلان أو فلان من الناس، ممن يملكون الأمر ولا يكادون يبصرونه، وهم يقولون: قد غيرنا معانى الألفاظ؟.

لاشئ طبعاً سوى هذه البلبلة الاجتماعية، والقطيعة المتعمدة بين الإنسان وتراثه، وبين المتدين ودينه، وبين الرجل وأهله وعشيرته.

إن تغيير المعانى التى تدل عليها الألفاظ بقصد أو بغير قصد، لهو نوع من الخطر الذى يُحْدِق بالأمم، والذى يجب على أفراد هذه الأمم وجماعاتها أن تتصدى لهذا الخطر مهما كلفها هذا التصدى من أعصاب أو جهد.

وعلى كل أمة تُبتلى بهذا الابتلاء، أو قل بهذا البلاء أن تبحث فى حاضرها وماضيها عن أبى الحسن، كى يفصل بينها وبين من اعتدى عليها فى قضيتها الشائكة..

مفاهيم ومــآزق

لقد علمنا ماعلمناه من أن اللغة عبارة عن ألفاظ ومعانى ترتبط بهذه الألفاظ.

كما أننا قد علمنا أنه لايجوز لأحد أن يفصم عرى الارتباط بين ألفاظ اللغة ومعانيها.

ومما يؤسف له أن هناك كثيراً من المحاولات التى اهتم صانعوها بالفصل، بين بعض ألفاظ اللغة والمعانى المرتبطة بها بغير قصد أحياناً، وبقصد مقصود فى جميع الأحايين.

فترتب على هذا الفصل وقوع عقول تَعْتَد بها أمتها فى مآزق ترتبت على مفاهيم خاطئة، صنعها هذا الفصل بين ألفاظ اللغة ومعانيها.

وهذه المآزق قد تعد ناتجا مباشراً لتغيير المعانى، وقد تعد أثراً غير مباشر، ولكنها فى النهاية مآزق أوقعت الأمة خواصها ودُهماؤها فى بلبلة لا تحسد الأمة عليها.

الشفاعة والعقيدة :

ومن الأشياء التى حيرت علماء الأمة ولها صلة بالألفاظ والمعانى، محاولة الإجابة على هذا السؤال.

الشفاعة إن قلنا بها فى الآخرة أو فى الدنيا، هل تعد موضوعاً للاعتقاد، أم هو لون من العلاقات الاجتماعية، والعمليات الإجرائية التى تمثل لوناً من ألوان العلاقات الإنسانية المتساندة كما يقول علماء الاجتماع؟

والإجابة على هذا السؤال برمته محيرة إذ لا يستطيع إنسانٌ أن يجيب على هذا السؤال جملة دون أن يقع فى عسر وضيق شديدين.

ولكنه إذا ما فصّل القول فى هذا السؤال والإجابة عليه، وجد الأمر سهلاً ميسوراً لا يكاد يحتاج منه إلى كثير عناء.

ولذلك فإننى أرانى مضطراً إلى تقسيم الشفاعة إلى قسمين:

١) **شفاعة فى الدنيا.**

٢) **وشفاعة فى الآخرة.**

أما الشفاعة الدنيوية : فهى أمر واقع فى الطبيعة الإنسانية، تعبر عن لون من ألوان السلوك الاجتماعى الذى يخضع للتقييم، ويحتاج إلى الانضباط.

وهذا النوع من السلوك كغيره يخضع إلى قواعد تشريعية تضبطه، وإلى قواعد أخلاقية تزينه أو تشينه.

وإذا سألنا عن هذا النوع من الشفاعة الدنيوية ما حكمه؟

فإنه ينبغى أن يتصدى الفقيه للإجابة عن هذا السؤال، إذ هو محل عمله، وجزءٌ من ميدان بحثه وشغله، وأحكامه صالحة لأن ترتبط بهذا النوع من السلوك، إذ الشفاعة الدنيوية تتصل أحكامها بعلم الفروع، وعلى الفقيه، والفقيه وحده أن يكيف كل واقعة من وقائع الشفاعة، وأن يستخرج لها الحكم المناسب لها من النص الشرعى.

وأنت خبيرٌ بأن هناك أضرباً وأنواعاً من الشفاعة الدنيوية قد حرمها الشارع وفصل فيها، وتوجه باللوم إلى الشفعاء.

وهناك أضرب وأنواع من الشفاعة الدنيوية يعتبرها الإسلام من باب المروءة، ويمتدح الشارع صانعيها.

وإنى أرى أن هناك أنواعاً من الشفاعة الدنيوية، قد يتحتم على الشفيع إجراؤها إذا كان سيترتب عليها إزالة ضرر، وإحقاق حق، وإبطال باطل.

إن الشفاعة الدنيوية على كل حال لون من السلوك الاجتماعى، خاضعة لتقييم الفقيه، والحكم عليها من قبل الشارع.

وأما الشفاعة فى الآخرة : فهى أمرٌ مختلف غاية الاختلاف عن الشفاعة فى الدنيا لعدة أمور :

أما أحدها : فهو أن المشفوع عنده هو الله عز وجل، ونحن نعلم أن الله من حيث وجوده وصفاته، وعلاقاته بعباده ... إلخ موضوع من موضوعات علم العقيدة، والمكلف بالإيمان بهذه المسائل المتعلقة بالله عز وجل هو القلب لا الجوارح.

وأما ثانيها : فهو أن الوقت الذى ستتم فيه الشفاعة هو يوم القيامة، بعد أن يقوم الناس من قبورهم يتبعون الداعى لا عوج له، وبعد أن يحدث ما يحدث من بعض مشاهد القيامة. وما بعد الموت غيب كله، القلب هو المكلف بالإيمان به.

وهذا موضوع آخر من موضوعات العقيدة، ولا علاقة له بالفروع.

وثالثها : أن بعض من يؤذن لهم بالشفاعة هم خلق آخر من خلق الله لم نرهم، ولم نعلم حقيقتهم، من وصفهم بالأنوثة كفر، ومن وصفهم بالذكورة فسق، يسبحون الليل والنهار لايفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خَلْقُهم من نور، تحكمهم أمور ونظم لا تحكمنا، ونحن نؤمن بهم غيباً مستوراً عن طريق النص الذى جاء نا عن طريق الصادق المصدوق ﷺ.

وعلى هذا فإن الإيمان بهم عمل قلبى.

وأعمال القلوب هى موضوعات العقيدة.

وما نقول به ويقول به المؤمنون معنا من أن النبى سيشفع، فإن شفاعته عند الله، والله غيب، وفى يوم القيامة، ويوم القيامة غيب، وسجوده تحت العرش، والعرش غيب، والله سيفتح عليه بكلمات يعظمه سبحانه بهن، وهذا غيب.

والتصديق بالغيب إيمان، والإيمان عمل القلوب، وعمل القلوب عقيدة

ونحن حين نميز بين نوعى الشفاعة على هذا النحو، يجب علينا ألا نخلط بينهما، فلا نقول: إننا نؤمن بالشفاعة فى الدنيا، أو نكفر بها.

كما أنه لايجوز أن نقول: إن الشفاعة فى الآخرة حرامٌ أو مكروهٌ. أو واجبٌ أو مندوبٌ أو مباح.

كما أنه لايجوز أن نقول : إن المشفوع عنده فى الدنيا، موجود له القداسة، وله الفضل والمنه والنعمة، وهو المستحق للعبادة وحده.

كما أنه لايجوز أن نقول: إن المشفوع عنده فى الآخرة، قد خضع لمن غيّر إرادته، وصحح له علمه، وبصره بعيوب قرار اتخذه.

وعلى الجملة إنه لايجوز ألا يلقي أحدٌ هذين الصنفين بظلاله على النصف الآخر، فهما نوعان لا يجمعهما إلا هذا اللفظ اللغوى ومفهومه.

كأن أقول مثلاً : إنى موجود والله موجود، فأنا قد شاركت فى لفظة :(الوجود)

غير أن ماله من حقيقة هذه اللفظة، يخالف غاية المخالفة مالى منها.

والأمر سهل ميسور، وأمثلته لا تكاد تُحصَى.

والشئ الغريب أن صاحبى قد وقع فى خلط بين هذين النوعين، فألقت الشفاعة الدنيوية كما يعرفها بظلالها على مفهوم الشفاعة الأخروية.

فانزعج صاحبى وهو معذور، إذ هو ككل مسلم مضطر دينياً أن يذعن إلى تنزيه ربه.

لكن الذى لا أرضاه له أنه بدلاً من أن يبحث عن مصادر خطئه فيقومها ويصلح من شأنها، ذهب إلى الحداد ليصنع له معولاً ونصلاً، ثم عمد إلى بناء الإسلام يريد هدمه بمعوله، وإلى سنة النبى يطعنها بنصله، كى يخلص له فكره الذى ارتضى منه أن يملى عليه القول بإنكار الشفاعة فى الآخرة ظناً منه أنه بذلك ينزه ربه، فإذا ما أقبل عليه يوم القيامة طالبه بأجره.

وماذاك كله إلا نتيجة الخلط فى المفاهيم.

ولو أنه قد ميز بين نوعى الشفاعة، ما جاز له بعد هذا التمييز إلا أن يبحث فى أمرين متصلين بالشفاعة يوم القيامة، وهما:

أن يسأل عن إمكانها.

وأن يسأل عن وقوعها.

والإمكان والوقوع سنحاول أن نجعلهما موضوع حديث موجز فى السطور التالية.

إمكان الشفاعة :

قلنا فيما سبق إن الشفاعة فى الآخرة تُبحث ضمن مسائل العقيدة.

وهى بوصفها موضوعاً يكون محلاً للاعتقاد تؤمن به قلوب وتنصرف عنه أخرى والذين ينصرفون عن الإيمان به كصاحبى مثلاً، قد يكون صارفهم عن هذا الإيمان أنهم يرون أن الشفاعة من قبيل الأمور المستحيلة، فى حين أن غيرهم من الناس يرون أنها من قبيل الأمور الممكنة.

فما قصة الاستحالة والإمكان؟

إن أهل الاختصاص لا يحبون منى أن أقف هذه الوقفة اليسيرة، لأنى أشغل نفسى بأمور هى عندهم أشبه بالأوليات أو البدهيات.

لكنى أرى أنها وقفة ضروريه كى أغطى بها احتمالات عقلية تطرقت إلى ذهنى وأنا أقرأ لصاحبى.

ومن بينها أن يكون صاحبى قد سبق إلى ذهنه أن الشفاعة من قبيل المستحيلات العقلية.

وقصة الاستحالة والإمكان يعرفها ألمتخصصون وغيرهم، وهم يدرسون **الأحكام العقلية بالذات.**

إذ الأحكام العقلية عند جميع العقلاء ثلاثة:

الوجوب.

والإمكان.

والاستحالة.

فإن قلت لأحدهم إن الواحد نصف الاثنين فى صورة حكم على هذا النحو، قال لك: إن هذا الحكم واجب عقلى، إذ هو لابد أن يكون على هذا النحو فى الوجود، وفى التصور معاً بحيث لايقبل الوجود غيره، ولا يتصور العقل عدمه.

ولو أنك قلت له فى صورة حكم عقلى : إن الابن أقدم من أبيه وجوداً، لقال لك بغير تفكير: إن هذا أمر مستحيل، موقعه فى العقل العدم الصرف، بحيث لايتحمل الوجود، ولا يستطيع العقل أن يتصوره موجوداً.

ولو أنك قلت مرة ثالثة لصديق لك سأزورك الليلة، فما حكم وقوع هذا الحديث عندك من حيث الوجود، ومن حيث التصور العقلى؟

سيقول لك فى تلقائية : هذه الزيارة يمكن أن تتحقق، وممكن أن تصرف الزائر الصوارف فلا يتمكن من الوفاء بوعده.

بعد هذا أقول : إن - الوجوب. والاستحالة. والإمكان - هى رصيد كل العقل من الأحكام، بحيث لايملك ذوو الألباب حكماً رابعاً يضيفونه إلى هذه القائمة.

وهنا يأتى السؤال ليفرض نفسه : هل الشفاعة من حيث هى أمر يقبل الوجود والتحقيق فى الآخرة، ولا يقبل غيره فيكون واجباً، أم أنه يقبل العدم بحيث لا يتصور العقل وجوده لذاته فيكون مستحيلاً، أم أنه يحتمل فى العقل الوجود والعدم دون حرج على العقل فى أن يتصور وجوده، أو يتصور عدمه؟

وليس أمامنا إلا أن نقول: إن الشفاعة من حيث تعرضها للأحكام العقلية، ليست واجبة عقلياً، وليست من باب المستحيل العقلى، وإنما هى أمر ممكن يقبل الوجود كما يقبل العدم.

وليس للعقل مجرداً من سلطان يمكنه من ترجيح أحد الطرفين على الآخر دون مرجح، إذ قصارى ما يمكن للعقل أن يفعله أن يقول لك هذا ممكن، فإن ترجح وجوده على عدمه فلمرجح يرجحه، وإن خرج من العدم إلى الوجود بغير مرجح، تدخل العقل ليقول لنا: إن الترجيح بغير مرجح مستحيل.

ونحن فى هذه الفقرة لانريد من العقل أكثر من أن يقول لنا ما موقفه من الحكم على الشفاعة فى الآخرة؟

أما وقد حكم العقل بالإمكان فإنه لم يعد أمام صاحبى من مبرر يحمله على القول برفض الشفاعة من هذه الجهة.

فلننتقل إلى الاحتمال الثانى

وقوع الشفاعة فى الآخرة :

والذى يظهر لى الآن أن صاحبى راضٍ كل الرضى عن سير الحوار بينى وبينه على هذا المستوى.

والذى يظهر لى كذلك أن صاحبى قد أشرق وجهه عندما وصلنا بالنقاش إلى هذا الحد.

فكأنه يقول لى وأنا أسمع: دعك من مسائل - الوجوب والإمكان والاستحالة - فما كان لمثلى أن يحتاج إلى حديث من هذا النوع، وما كان لمثلك أن تنفق شيئاً من الوقت والجهد فى شرح هذه الأمور الظاهرة!

وكأنى قاطعته قائلاً: عذراً فإنى ما فعلت الذى فعلته إلا لأستوفى الاحتمالات العقلية من جهة، ولكى أجعل القارئ معنا مهما كانت اهتماماته، ومهما كان تخصصه.

وكأنى بصاحبى قبل عذرى وهو يقول: دعك من هذا كله ليكون الحديث حول قضية - الوقوع - .

قلت : إن السؤال المطروح الآن هو : هل ستكون هناك فى الآخرة شفاعة أم لا ؟

وكأنى بصاحبى قد استحسن هذا السؤال وتصدى هو أولاً للإجابة.

فبماذا أجاب صاحبى؟

لقد جاءت إجابة صاحبى متنوعة ومختلفة اختلافاً شديداً يتصل بجوهر الجواب نفسه.

فهو فى بعض مقاله الأول والثالث يتجه إلى القول: بأن الشفاعة مستحيلة الوقوع.

وهذه الاستحالة إن لم تكن استحالة بالذات، فهى استحالة بالغير.

أعنى أن صاحبى يرى أن الشفاعة وإن كانت ممكنه الوجود بذاتها فى الآخرة، فهى مستحيلة الوجود لما سيترتب على وقوعها من أمور كلها مستحيلة.

والقاعدة العقلية تقول : إن مايترتب عليه المستحيل يكون مستحيلاً مثله.

وهذه المستحيلات من وجهة نظر صاحبى التى ستترتب على وقوع الشفاعة فى الآخرة هى على النحو التالى:

*** لو جاز وقوع الشفاعة لاحتمل أن يكون أهل الجنة أغلبية، وأهل النار أقلية، وينقلب الناموس الإلهى وانقلاب الناموس مستحيل فما أدى إليه كان مستحيلاً**

*** ولو جاز وقوع الشفاعة فى الآخرة لأصبح هول القيامة أقل رعباً وإرهاباً فى نفوس بعض الناس على الأقل وهذا كذلك يخالف الناموس الإلهى وهو مستحيل، وما أدى إليه من القول بجواز الشفاعة مستحيل كذلك**

***ولو جاز وقوع الشفاعة في الاخرة، لجاز لبعض من يدخلون النار أن يخرجوا منها، وهذا هدم للقرآن ونصوصه، فما أدى إليه باطل**

*** ولو جاز وقوع الشفاعة فى الآخرة لجاز الاعتماد على السنة، والسنة من وضع البشر ولا يجوز الاعتماد عليها، فما أدى إلى الاعتماد على السنة فى قضايا الدين باطل.**

وأنت خبير أنى قد ناقشت معك هذه الأصول فيما سبق، فلا داعى للتطويل بذكرها هنا.

ودعنى أداعب صاحبى قليلاً فأقول له : ما رأيك فى إعادة صياغة أفكارك على هذا النحو المقبول علمياً أترضيك عنى أم تسخطك علىّ؟

فإن كانت الأولى فإنا ننتظر التعبير عن الرضى، وإن كانت الثانية، فإنا نبادر إلى الاعتذار، ومقالتك مازالت بألفاظها بين يدى القراء.

هذا هو رأى صاحبى الأول فى الإجابة على هذا السؤال المطروح :

(ما حكم وقوع الشفاعة فى الآخرة ؟).

وخلاصة إجابة صاحبى: أن وقوع الشفاعة فى الآخرة من باب المستحيل لغيره.

وأظنك فى غنى بعدما نقلت إليك من نصوص صاحبى فيما مضى، عن أن أنقل إليك نصوصاً هنا تؤيد رأيه، لأننى لن أفعل شيئاً سوى أن أكرر بين يديك نصوصاً أطلعتك عليها فيما سبق.

غير أن صاحبى له رأى آخر مخالف تماماً لهذا الرأى.

خلاصته: أن هذا السؤال مطروح فى غير موضع، ومذكور فى غير محل، لسبب بسيط: هو أن الشفاعة غيب، بل غيب الغيب، فهى واقعة فى يوم القيامة، ويوم القيامة غيب، فجاز لنا أن نقول: إن الشفاعة غيب فى غيب، أو أن نقول: إنها غيب الغيب.

واستنتج صاحبى من هذا التقعيد أن الإجابة على هذا السؤال بالنفى أو الإثبات يكون من باب العمل الذى يذكر فلا يُشْكر.

وعليه فلا يجوز لنا أن نحكم بوقوعها، ولا يجوز لنا أن نحكم بعدم وقوعها.

وهذه كلماته :

تصدى الدكتور مصطفى محمود لبعض المقالات يناقشها.

وكان من بين هذه المقالات مقالة للدكتور المطعنى.

وقد إجتزأ منها الدكتور جزءاً نشره، وبعد أن فهم ما فيه ذكر أنه يعجبه من الدكتور المطعنى أنه لم يقطع برأى فى الشفاعة ووقوعها فى الآخرة، وما إذا كانت ستقع أو لا تقع.

والدكتور مصطفى يفهم عن الدكتور المطعنى ما يشاء.

وما يهمنى الآن هو كلام الدكتور مصطفى نفسه قال:

[**ولا شك أن الدكتور المطعنى على حق لسبب آخر مهم ... هو أن موضوع الشفاعة وتفاصيل ما سيجرى فى الآخرة وأسرارها وحسابها... هى أمور غيبية لا يستطيع أحد أن يقطع بما سيحدث فيها.**

والقطع فى هذه المسائل مستحيل والتعصب فيها إلى جانب دون الاخر هو تطاول بغير علم خاصة إذا جاء القرآن بنفى الشفاعة فى بعض آياته، وجاء بجوازها فى آيات آخرى

والمرجع الوحيد للحق هو الله وحده فى الحالين.. ولا أحد يعلم بمشيئته.. كما أنه لا سلطان لأحد على هذه المشيئة بحال.

والحكمة القرآنية فى هذا التعتيم فى قضية الشفاعة.. إن الله أراد لنا أن نعيش على حذر عظيم وعلى خوف عظيم طوال الوقت من هذا اليوم وأن يخلق فينا برحمته مشاعر التقوى التى هى درعنا الوحيدة التى ستحفظنا من التردى.

وأنا أرتاح جداً لهذا الفهم للدكتور عبد العظيم المطعنى وأرى أنه يعد مدخلاً مأموناً لهذه الخلافية الشائكة التى كثيراً ما فتحت الباب للفتن بين القدماء والمحدثين) [1].]

هذه هى عبارات صاحبى يصور بها رأياً ارتآه.

وأنا لا أهتم بهذه الحماسة التى أبداها صاحبى يظهر فيها نفسه مشجعاً للدكتور المطعنى، ومشجعاً للقرآن الكريم.

فما أظهره من كلام الدكتور المطعنى أستطيع أنا ويستطيع غيرى أن نفهمه جميعاً على غير هذا الوجه الذى خَرَّج عليه صاحبى كلام الدكتور المطعنى.

---

(١) الأهرام ١٩٩٩/٤/١٧م ع/٤١٠٣٩.

وكلمات القرآن ملك للأمة بعد أن نزلت وحياً يوحى، وقد فهمها علماء اللغة العربية المسلمون محكومين بقاعدتين:

موافقة اللغة.

والالتزام بالتنزيه.

والقرآن ليس فيه تعتيمٌ كما قال صاحبى على هذه القضية، وإنما القضية فيه واضحة كما سنذكرها قريباً، لم يخاطب الله بها أناساً مخصوصين يفهمون عن الله قوله ولا يفهمه غيرهم، وإنما خاطب الله عز وجل بكلامه كل من يتأتى منه الخطاب فيفهم عن الله على قَدْرِه من غير شطط أو مروق.

ونحن حين نعرض عليك بعد قليل بمشيئة الله آيات القرآن فى موضوع الشفاعة تتحدث عن نفسها بنفسها، ستضع كلتا يديك تحت ذقنك متأملاً فى كلام صاحبى، ثم بعد ذلك تضرب كفاً على كف وأنت تقول: ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾.

ولعلك تضيف: ﴿ اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون﴾.

ولعله مما يفيدك فى تصوير رأى صاحبى الأخير وهو يجيب عن وقوع الشفاعة فى الآخرة، هذه العبارات التى ذكرها بعد فهمه العجيب للمقام المحمود الذى سبق أن صورناه لك قال: [... **أقول ذلك اجتهاداً والله أعلم نعم هكذا يقول. فهل تعلم أنت الاجتهاد ما هو؟] فالموضوع غيب ... ويوم الدين بأهواله .. وبما سيجرى فيه هو غيب الغيب ولا يملك قارئ القرآن إلا أن يحاول الفهم دون المساس بالثوابت القرآنية.. وخصوصية المقام المحمدى من الثوابت التى لا شك فيها .. كما أن (خصوصية الشفاعة لله وحده وأن جمعية الشفاعة ينفرد بها الله وحده) هى ثابت مطلق آخر من ثوابت القرآن لامرية فيه [وعلينا أن نفهم الشفاعة فى هذه الحدود]**[1].

---

(١) الأهرام ١/٥/١٩٩٩م ع/٤١٠٥٣.

هـذان رأيـان صـدرا عـن رجـل واحـد فـي وقـت واحـد جـواباً علـى سـؤال واحـد.

هل الشفاعة أمر واقع فى الآخرة؟

يقول صاحبى: لا . بل هـى من قبيل الأمور المستحيلة لما يترتب عليها من الأمور المستحيلات.

والجواب الثانى نفوض أمر وقوعها أو عدم وقوعها إلى الله، وماذا نفعل وقد عتم القرآن علينا حقيقة أمرها!

وإنى أرجوك أن تتمهل قليلاً فصاحبى لم يستقر بعد، فلصاحبى رأى ثالث فى القضية وهو: إن الشفاعة أمر كائن فى الآخرة سيقع لكنه مقيد بشروط.

وعليه فإن الشفاعة باعتبارها أمراً وجودياً فى الآخرة، لايجوز أن نحكم عليه بأنه كائن بالإطلاق، أو مرفوض بالجملة، ولكنه أمر يتحقق إن تحققت شروطه.

إن صاحبى يذهب إلى هذا الرأى متهللاً يعود بالفضل فيه لصاحبه (وهذا كرم العلماء والمفكرين).

والذى أوحى إليه بهذا الرأى هو الدكتور المطعنى.

قال صاحبى مستبشراً: [وبهذا يقف الدكتور عبد العظيم المطعنى موقفاً معتدلاً بين النفى مطلقاً وبين الإباحة مطلقاً بأن يجعل الشفاعة مشروطة وليست نهباً لكل من يطمع فيها ... كما أنه يحول دون هذه الاتكالية التى يرتاح إليها كل مسلم فيتصور أنه من أهل الجنة مهما فعل وكيف يدخل النار ومعه الشفيع الأعظم الذى لاترد شفاعته .. وهى اتكالية أوردت بهذه الأمة إلى حتفها] [1].

هذه ثلاث إجابات ميزّ صاحبى بينهما تمييزاً شديداً لايكاد يخفى.

---

(١) الأهرام ١٧/٤/١٩٩٩م ع/٤١٠٣٩.

وترتيبها الزمنى يدق علىّ معرفته، فقد تلاشى الزمن بل اختلط بالنسبة لهذه الآراء الثلاثة، بحيث يدق على محبى صاحبى وقرائه أن يدركوه.

فالآراء التى ذكرت تعليقاً على رد الدكتور المطعنى محفوفة بالجفاوة، تراجع صاحبى عنها فى مقالته التى تلت هذه المقالة، وعاد إلى رأيه الأول بحماس بالغ.

وفى مقاله الصادر بتاريخ متأخر تحت عنوان [**الردود الغاضبة والعاتبة**][1]. تردد صاحبى بين هذه الآراء الثلاثة أكثر من مرة.

ولا أحب أن أشغلك بنقل النصوص الآن؛ فهى نصوص أخذها من مقالاته السابقة وجمع بينهما بيده الحاذقة والماهرة فى الجمع بين الآراء.

وليست هذه هى النقطة الوحيدة التى ظهر فيها صاحبى متردداً فى هذا المقال الأخير بين الشئ وأضداده، ولكن هناك لهذه النقطة نظائر وأشباه، من بينها مثلاً تردده الحاد بين مجموعة من التعريفات التى ذكرها للشفاعة، وهى تعريفات أخذ الرجل بها نفسه وقد أشرنا إليها من قبل.

كلمة للتاريخ:

وأنا حين اعتزمت أن أترك هذه المنطقة من البحث إلى مناقشة القضية التى تليها، أحببت أن أسجل شعورى تجاه صاحبى، وأنا لست من الناس الذين تستهويهم الشهرة، أو تجتذبهم جسور العلاقات الاجتماعية، وإنما هى كلمات نقولها وأجرنا على الله.

لقد انتابنى إحساس غريب حين قرئ علىّ هذا المقال الذى اقترح فيه صاحبى أن يكون هو آخر عهده بالكتابة فى موضوع الشفاعة ليذاع بين الناس.

---

(١) انظر الأهرام القاهرية بتاريخ ١٥/٥/١٩٩٩م ع/٤١٠٦٧.

وحين قرئ عليّ مقال آخر فى إحدى المجلات السيارة، تحدث فيه عن بعض جوانب سيرته الذاتية.

وهذا الشعور الذى انتابنى فى الموقفين واحد، وهو أن صاحبى يكمن خلفه، رصيد من الإيمان والحماسة الدينية يكفيانه لكى يكون فى عين أفراد أمته عزيزاً.

غير أن هناك بعض الظروف الطارئة التى تنتابه فى حياته تحاول أن تشده إلى منعطفات، ثم هو يخضع لإرادة هذه الظروف إلى حين ثم يعود.

ومن هذه الظروف التى طرأت على الرجل فى هذه الأيام أنه قد فقد ثقته بالسنة المطهرة ومرويات رجال الحديث.

وأنا أقترح على صاحبى **(وسيكون فى ذلك خدمة جليلة لدينه ولأمته)**، أن يتابع إلى حين المناهج الجادة لرواية التاريخ، ويبرز لنا الأسس التى تعتمد عليها هذه المناهج مستقيا معلوماته من كبار كتاب المناهج فى العربية وفى غيرها من سائر الألسن البشرية.

وأنا على يقين أنه سيعاونه فى ذلك رجال، وستكون خدمته فى هذا المجال لاتقل أهمية عن خدمته فى مجال العلم والإيمان، مع فارق بسيط أن مجال العلم والإيمان إن كان نافذة على القلوب، فإن هذا العمل المقترح سيكون نافذة على الأفهام.

وحين يقتنع صاحبى بهذا العمل، ويكتمل أمامه مشروع لمنهج فريد فى دراسة التاريخ، أعِدُه إن كنت من الأحياء أن نحاول أن نقارنه على مناهج رواية السنة، لنستفيد به فى تحقيق المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، بدلاً من أن ننصت إلى هؤلاء القوم الذين لهم أغراض، أو الذين لم تتوفر لهم أدواتهم، فأنكروا السنة عن قصور أو عن هوى.

وظنى بالرجل أنه لن يرفض أن يشترك فى هذا العمل وإنا لمنتظرون.

الشفاعة فى القرآن الكريم

كان الحديث إلى الآن مع صاحبى حول موقفه من الشفاعة وحول الأصول التى ارتآها لنفسه، ورتب عليها إنكاره للشفاعة.

وكان ما كان من مناقشتنا لأصوله معه.

وكان ما كان من مناقشتنا لأمور ترتبت علي هذه الأصول من وجهة نظره طبعاً.

وإنى إلى حين سوف أحترم وجهة نظر صاحبى الذي يطالبنى من خلالها ألا أتحدث معه إلا من خلال القرآن.

وأقول إلي حين لأنه إذا ما ثبت أن الشفاعة لها أصلها فى القرآن الكريم.

وإذا ما ثبت أن الشفاعة قد أشار القرآن الكريم إلى بعض أنماطها، لم يعد لصاحبي حق المطالبة بالاقتصار على القرآن الكريم، استناداً لمبدإ فاسد سمع به، وهو أن السنة لم تصح رواية ونسبة إلى قائلها.

وإنى أعتزم الآن أن أسلك طريقى وحدى فى القرآن الكريم، أتأمل آياته دون أن أترك الأرض المحايدة التى اخترت أن أكون مع صاحبى عليها، لكنى هذه المرة أطالبه بما ألزمت به نفسى سلفاً، أطالبه أن ينصت إلىَّ كما أنصت إليه من قبل، ثم يأخذ كلامى مأخذ الجد، ويعود به إلى أصوله كما فعلت معه، ثم يناقش الأصول التى اتخذتها، وضمنتها حديثى ثم يناقش ما رتبته على هذه الأصول على النحو الذى التزمت به وأنا أناقش أصوله وما ترتب على هذه الأصول.

وجود الشفاعة وأحكامها :

هذا وإن الذى يتأمل القرآن فى بعض آياته يجد نفسه مشدوداً أول أمره إلى هذه الآية الكريمة:

﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١).

(١) الزمر: ٤٤.

وإن تعجب فعجب ما صنع هؤلاء حيث وقفوا أمام هذه الآية طويلاً، لكنهم كعادتهم يرفعون القرآن وحده شعاراً لهم يستقون منه أحكامهم على أساس من عقولهم، ولكنهم لا يمنحونه آذانهم ولا بصائرهم.

فظهروا أمام الناس يأمرونهم بالإنصات إلى القرآن وهم لا يعقلون مدلولاته، ويأمرونهم بالنظر فيه وأبصارهم منصرفة عنه، مالنا وأحوال القرآنيين ننشغل بها كل حين؟!.

فلننشغل بتأملاتنا فى هذه الآية.

إن الله يأمر النبى ﷺ أن يعلن بين الناس من يوم بعثته إلى أن تقوم الساعة أن الشفاعة لله جميعاً.

وهذا الإعلان يحتوى عدة أمور:

أولها: أن الشفاعة أمر موجود فى يوم القيامة وله وجود فعلى، وإلا لما جاز الإخبار عنه.

وأنت خبير أن الوجود له مستويات ثلاثة:

أ - وجود لغوى تنطقه الألسنة وتسمعه الآذان وتكتبه الأيدى وتقرأه العيون.

وهذا الوجود اللغوى أحكامه عند اللغويين الإعراب والبناء وما يشبه ذلك.

ب - وهناك وجود آخر ذهنى

وهذا الوجود الذهنى هو هذا الوجود الذى يوجد فى مخيلة الإنسان وذاكرته.

وقد يكون هذا الوجود مستقلاً عن أى وجود آخر.

وأنت تستطيع أن تتأكد من هذا النوع حين تجده فى مخيلة الحالمين.

فالشاب يحلم أحلام يقظة بأنه قد بنى لنفسه مسكناً علي جدول ماء وله أثاث قد استجلبه من بلد كذا وأمامه سيارة إذا ركبها تسابق الريح.

وخياله يرسم له ذلك ويجسمه تجسيماً يجعله كأنه يراه.

وهذه الأشياء التي رآها لا وجود لها في الخارج تدركه الحواس أو ينتفع به الناس.

جـ - وهناك وجود آخر يسمى وجوداً طبيعياً وخواص هذا الوجود كثيرة: كأن يكون في الأجسام له طول وعرض وعمق، وكأن يكون في الأحياء عرضة للمرض والصحة يتعاورانه، والموت والحياة يتلو بعضهما بعضاً إلى غير ذلك من الأحكام التي تتعاور الأحياء والأجسام.

وللمعنويات آثار ندركها في الواقع الطبيعي وأشخاص تقوم بهم هذه المعاني.

فالصدق له آثاره والكذب له اثاره، والرحمة لها آثارها والقسوة لها آثارها.

والشفاعة لها آثارها ولها الأحكام التي تترتب على وجودها أو عدمها.

وأظنك الآن قد اتضحت أمامك أضرب الوجود وصوره.

بقي أن أنبهك إلى أمر هام يظهر في هذا الترابط الممكن بين هذه الوجودات الثلاث.

ذلك أن الوجود اللغوي وحده بغير مدلول في الذهن أو في الطبيعة، يكون لوناً من الشقشقة الفارغة التي لا تحمل بين ثناياها معنى ولا بين طياتها عمقاً.

فما قيمة ألفاظ بغير معنى تدل عليه هذه الألفاظ، يفهمه الناس ويتجاوبون معه.

لقد شاء الله عزوجل ألا تذهب الأصوات التي خلقها عبثاً بغير معنى تدل عليه .

حتي هذه الأصوات الصادرة عن الحيوانات والطيور، كل صوت منها له مدلول قد لا يدركه البعض ولكن البعض الآخر يدركونه.

وعلى الفرض أنه لا يدركه أحد من الناس فإنه قد ثبت أن له دلالته لدى أفراد نوع من صدر الصوت عنه.

فإذا افترضنا أن صوتاً قد خرج بغير دلالة فإننا نحكم أن هذا الصوت له وجود لفظى، ولكننا فى نفس الوقت نحكم على هذا النوع من الوجود بأنه وجود لا قيمة له.

فإذا ما توفر لهذا الوجود اللفظى نوع وجود فى الذهن فإنه يرفع قليلاً من قيمته.

لكنه ينبغي أن نعلم أن الوجود الذهني نفسه يُعد وجوداً ناقصاً لا يغني صاحبه شيئاً فوق أنه يريح الحالمين إلى حين .

ولكي يكون الوجود اللفظي مكتملاً.

ولكي يكون الوجود الذهني مكتملاً.

لابد أن يتحقق لهذين الوجودين مدلول في الخارج يدل عليه اللفظ من جهة، وتنتزع منه الصورة الذهنية التي تستقر في أذهاننا من جهة أخرى.

ولا بأس علينا ولا علي الوجود بعد ذلك أن يعيد الذهن ترتيب هذه الصوة المنتزعة من الواقع.

ولا بأس علينا ولا علي الوجود أن يضيف الخيال إلى الوجود الطبيعي محسنات ترغِّب فيه، أو مبغضات تصد عنه.

وما كان لي من علم بأضرب من الوجود فوق ذلك أضيفه إلى معلوماتك.

وما كان لي من قدرة تتحمل أن أوافقك علي ما أردت أن تحذف، نوعاًمن هذه الأنواع الثلاثة للوجود.

أعود بعد ذلك معك إلى الشفاعة التى ذكرتها هذه الآية، والتى أمرالنبى ﷺ أن يخبر قومه بها.

أعود معك إلى الشفاعة فى الآية لأسأل: هل الشفاعة هكذا فى القرآن ليس لها إلا هذا الوجود اللفظي والذى لا مدلول له؟

إن قلت نعم فقد سجلت على القرآن نقطة خطيرة وهي أن فى القرآن ألفاظاً لا مدلول لها ولا معنى يرتبط بها، وعند ذلك يكون حالك مع ربك مجهولاً بالنسبة لي.

وإن قلت: إن للشفاعة وجوداً فوق هذا الوجود اللفظي وهو هذا الوجود الذهني فحسب.

عند ذلك أقول لك: لقد عرفتَ وعرفتُ معك أن هذا الوجود الذهني المجرد مثار خلاف بين العلماء، بعضهم أنكر حقيقته وبعضهم أثبته وبرر له .

وأنا ليس عندي من مانع أن أرتفع فوق هذا الخلاف .

لكني مع ارتفاعي فوق هذا الخلاف أحب أن أسجل هذه القاعدة وهي: إن الوجود الذهني يظل ناقصاً ما لم يكن له تحقق في الخارج الطبيعي .

وهذه القاعدة معمول بها لدي العقلاء جميعاً، إذ العقلاء يرون أن الوجود الكامل هو هذا الوجود المتحقق في الطبيعة الذي يمكن أن ترتسم له صورة في الذهن، ويمكن أن يكون له لفظ لغوي دال عليه.

فإذا كان هذا النسق هو المعبر عن الوجود الكامل.

وإذا كان القرآن باعتباره كتاباً مقدساً صحيح النسبة إلى الله عز وجل يتنزه إن يكون في حديثه نقص، فإنه يتحتم علينا أن نقول: إن الشفاعة التي ذكرت في الآية لها وجود كامل، بمعني أن يكون لها وجود طبيعي أو إجتماعي يمكن أن تنتزع منه صورة في الذهن، وله اللفظ الدال عليه.

فإن وافقتني علي ذلك فقد اختصرت عليّ وعلي نفسك الطريق، وإن عارضت في ذلك فإنك تكون قد جنحت إلى أن تقذف بي وبنفسك في أتون الجدل المهلك، وعلي ظهر وطيس ملتهب من المزاء لا ينتهي بي وبك إلى شيء، إلا إلى هذه التهلكة التي رغبت أن تذهب إليها، ورغبت أن أصدك عنها.

ولا أملك إلا أن أقول: إني مستعصم.

وثاني هذه الأمور: التي احتوي عليها تكليف النبي ﷺ بالإعلان عن الشفاعة هو: أن وجود الشفاعة في الخارج يمكن أن تترتب عليه نسبة بينه وبين غيره.

وبيان ذلك أن نقول : إنه قد ثبت أن الشفاعة لها وجود كامل متحقق فى الخارج له صورة فى الذهن وله اللفظ الدال عليه.

وهذا الوجود الكامل يصلح أن تطرأ عليه النسب والأحكام والإضافات.

ومن أوائل هذه النسب وأكثرها عمومية هي نسبة الملكية.

فإذا كانت الشفاعة موجودة وصالحة لأن نضيف إليها شيئاً أو أن تضاف هى إلى موجود.

وإذا كانت الملكية هى أول ما يطرأ علي الذهن أن يسأل عنها فإنه يصبح من المشروع أن نقول: من الذي يملك الشفاعة بعد أن ثبت لها هذا الوجود بنص القرآن؟

وجاء القرآن نفسه بالجواب "قل لله الشفاعة".

وكل من يعرف العربية يعرف أن اللام هنا هي لام الملكية، وأن الشفاعة بحكم هذا الإخبار والإعلان المحتوي علي لام الملكية، مملوكة لله عز وجل الذي كلف نبيه بإذاعة هذا الخبر ونشره في أمته.

الشفاعة إذاً أمر وجودي، والشفاعة إذاً مملوكة لله.

وثالث هذه الأمور: الذي يمكن أن نتناوله بالحديث ونحن نتحدث عن الشفاعة هو: أن هذه الملكية المضافة لله ملكية خالصة متمحضة له وحده ،لا يشاركه فيها غيره، ولا يزاحمه عليها سواه.

وحاشاه.

وصدق من قال:﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾

ويأتي عجز الاية بمثابة التعليل لتمحض الملكية، فالله يملك الشفاعة جميعاً لأن الله: ﴿ **لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾

ولقد رأينا من القدماء الأوائل من فهم هذا الفهم عينه .

فلقد جاء عند الشيخ شهاب الدين محمود الألوسى ما هذا نصه :

[والمعني أنه تعالي مالك الشفاعة كلها ...... وقد يستدل بهذه الآية علي وجود الشفاعة في الجملة يوم القيامة، لأن الملك أو الاختصاص الذي هو مفاد اللام هنا يقتضي الوجود، فالاستدلال بها علي نفي الشفاعة مطلقاً في غاية الضعف.

وقوله تعالي: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ استئناف تعليلي لكون الشفاعة جميعاً له عز وجل. كأنه قيل: له ذلك لأنه جل وعلا مالك الملك كله فلا يتصرف أحد بشيء منه بدون إذنه ورضاه. فالسموات والأرض كناية عن كل ما سواه سبحانه.

وقوله تعالي: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ عطف علي قوله تعالي "له ملك" إلخ وكأنه تنصيص علي مالكية الآخرة التي فيها معظم نفع الشفاعة. وإيماء إلى انقطاع الملك الصوري عما سواه عز وجل](١).

ورابع هذه الأمور: لا يؤخذ مباشرة من الآية، وإنما هو يترتب علي ما استنبطناه منها في الفقرات أولاً وثانياً وثالثاً.

وهذا الأمر المترتب علي ما ذكر هو أن المالك للشيء، حر في أن يحتفظ بالملكية لنفسه أو أن يمكن منها غيره كلاً أو بعضاً.

وليس بصاحب عقل هذا الذي يقول إنه قد يكون الشيء موجوداً.

وقد يكون الشيء مملوكاً غير أن مالك الشيء لا يجوز له التصرف فيه.

وهذا الفهم لو سبق إليه عقل، وجاز أن يكون له صدي في الخارج، لقلنا: إن هذه ملكية معَيبة والعيب فيها عيب في المالك نفسه، كأن يكون سفيهاً مبدداً للمال، أو واضعاً للشئ في غير محله.

وهذا عيب يتوارى منه كل مخلوق لا يحب أن يتصف به، لأنه تعبير عن شيء من النقص في الذات، وعن شيء من النقص في مكونات الشخصية.

والحديث هنا عن الشفاعة وجوداً وملكية علي نحو ما هو مفهوم من الآية حديث عن الشفاعة في الآخرة وحديث عن أنها مملوكة لله وحده .

والعاقل من المتدينين وغير المتدينين، والمستقيم من الفلاسفة أو المِلِّيين ليس أمامه من طريق إلى القول بأن ملكية الله للشفاعة ناقصة.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود الآلوسي. إدارة الطباعة المنيرية جـ٢٣ ص١٠.

وإنما القول المستقيم في جميع العقول هو أن الله مالك للشفاعة التي لها صفة الوجود التام، وملكيته لها تامة، بحيث يترتب علي هذه الملكية، جواز تمكين الغير منها أو إبعاده عنها.

وهما خطان مشروعان ومتوازيان يترتبان علي كل ملكية تامة مطلقة.

وهذه الفقرة ذاتها هي التي ستنقلنا إلى الآية التالية من آيات القرآن في الشفاعة.

والآية التالية هي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

وهذه الآية التي انتقلنا إليها الآن هي الآية الوحيدة في القرآن التي تنفي وجود الشفاعة في الآخرة.

وأنت إذا قستها إلي ما ذكرناه في الآية السابقة، لعلمت بشيء من اليسر أن الشفاعة وإن كان لها واقع وجودي في الآخرة، إلا أنها لا تُملك إلا لله.

وعليه فإن اليوم الآخر كله ليس فيه شفاعة لها نسبة الملكية لأحد غير الله عز وجل، علي أساس من استحقاق الملكية.

وأنا أعترف أني بحثت لدي بعض المفسرين الذين وقفت على تفاسيرهم، فلم أجد ما يمكن أن أعضد به المعني الذي ذكرته صراحة، مع أنه معني واضح من الآية إذا قورنت بأخواتها.

غير أن الشيخ طاهر بن عاشور له كلام قريب من هذا المعني، وإن لم يمس لبابه، قد استرحت إليه واعتزمت علي أن أطلعك علي عبارته.

يقول الشيخ طاهر بن عاشور بعد كلام له في الآية ما هذا نصه:

[...... فالشفاعة - في العرف - تقتضي إدلال الشفيع عند المشفوع لديه. ولهذا نفاها الله تعالي هنا بمعني نفي استحقاق أحد من المخلوقات أن يكون شفيعاً عند الله بإدلال] (٢).

---

(١) البقرة:٢٥٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع تونس جـ٣ صـ١٥.

ولا أحب أن أقف طويلاً لكي أفهم أو أفهم معاني هذه الآية ومدلولاتها.

إذ إني أري أن هذه الآية تُعد مفهوماً للآية التي سبقتها.

وأظن أنه أمر لا يستعصي علي الفهم أو الإدراك.

واستناداً إلى فكرة الملكية نعود من جديد إلى الحديث حول الشفاعة، بعد إثبات ملكيتها لله.

خطان لا يلتقيان:

قلت : إن الملكية التامة تعني أول ما تعني أن المالك يمنحها لمن يشاء علي شرطه، ويقبضها عمن يشاء وفق إرادته.

وهذان خطان متوازيان قد تكون المسافة بينهما ضيقة علي طول المسار، ولكنهما أبداً لا يبغيان.

وأنا أعتزم الآن أن أنقل بين يديك آيات القرآن مستقصياً.

ولكني سأحرص علي أن آتى بكل مجموعة من الآيات علي حدة، بحيث تري بنفسك مظاهر الملكية واضحة.

فإن لم تتوفر شروط الملكية فإن المالك لن يمنح الشفاعة لغيره.

وإن توفرت شروط الملكية فإن المالك يمنح الشفاعة لمن أراد له أن يشفع علي شرطه.

ولا بأس علي الشفاعة في الحالتين إذ هي موضوع الملكية الحقيقي، وإذ هي التي تقبل النقل ولا تقبله علي شرط المالك وجوداً وعدماً.

★★★

آيات تنفي الشفاعة والشفعاء:

واسمح لي أن أخلي بينك وبين الآيات التي تفيد أنه لا شفاعة ولا شفعاء فى الآخرة وذلك بعد الآية التى أشرنا إليها، والتي تفيد وجود الشفاعة، وهي تفيد في نفس الوقت أنها ملك لله.

وهذه الآيات هي ما نذكره بين يديك علي النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(١) .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٢) .

لقد وردت كلمة - **الشفاعة** - هنا في الموضعين في سياق الحديث مع بني إسرائيل كما تري.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾(٣) .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا

---

(١) البقرة: ٤٧ - ٤٨.

(٢) البقرة: ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) الأنعام: ٤٨ - ٥١.

كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا من دُون اللَّه وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(١) .

﴿ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٢)

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(٣) .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤) .

---

(١) الأنعام: ٦٨ – ٧٠.

(٢) الأنعام: ٩٣ – ٩٤.

(٣) الأعراف: ٥١ – ٥٣.

(٤) يونس: ١٧ – ١٨.

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾(١) .

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾(٢)

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٣) .

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤) .

ولاحظ بعناية قوله تعالى : ﴿ أم أتخذوا من دون الله ﴾

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنذِرْهُمْ

---

(١) الشعراء: ٩١ - ١٠٠.

(٢) الروم: ١١ -١٣.

(٣) السجدة: ٢ - ٤.

(٤) الزمر: ٤٣.

يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(١)

هذه هي القائمة الأولى من آيات الشفاعة ذكرناها بين يديك ونحن حريصون على أمرين:

أحدهما : ألا نتدخل بينك وبين الآيات ولو بحسن نية.

وثانيهما : أننا قد حرصنا على أن نضع لك الآية في سياقها تتحدث عن نفسها، دون أن نرتكب من الإثم ما يرتكبه البعض قديماً وحديثاً، فيعمدون إلى الآية أو الكلمة ينزعونها من سياقها، ويعزلونها عن سباقها ولحاقها، ثم ينفردون بها يحملونها من المعاني ما تحتمله وما لا تحتمله ولو جافوا اللغة، وجافوا التنزيه.

وهذا إثم أنزه نفسي وأُنزهك عنه، فأقل ما فيه أنه مسوغ لوصمة عار خلقية، وأنه يصلح ليكون تكأة لسحب الثقة العلمية.

لم أتدخل بينك وبين النص، ولم أرفع النص من مكانه لأحمله من المعانى ما يحتمل وما لا يحتمل، فجاء ت النصوص صادعة بالحق، ناطقة بالصواب.

★★★

آيات تثبت الشفاعة والشفعاء على شرط المالك:

الآن وقد وصلت بك إلى اللحظة التى ينبغى أن أذكر لك فيها الآيات التى تؤكد أن الشفاعة فيها أمر وجودى، وأن هناك شفعاء سيشفعون قد توفرت لهم شروط الانتفاع بالشفاعة يوم القيامة.

وشروط وجود الشفعاء تدور كلها حول شرطين:

الشرط الأول : أن يأذن الله للشفيع ليشفع.

الشرط الثانى : أن يرضى الله عز وجل عن المشفوع له عنده.

---

(١) غافر: ١٢ - ١٨.

وهو رضاً تالٍ للسخط والغضب.

فإذا رضي الله بعد غضب على إنسان، ثم أذن للشفيع ليشفع فيه، وجدت الشفاعة، ووجد الشفعاء.

والقائمة التى سأذكرها الآن بين يديك تتحدث عن وقوع الشفاعة فى الآخرة إذا ما توفرت شروطها: يقول تعالى:

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (١) .

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٢) .

﴿يومَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (٣) .

﴿ولا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (٤) .

﴿ ولا تنفعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (٥) .

هذه هى القائمة الثانية وقد أبانت بجلاء لاخفاء بعده، أن نقل الانتفاع بملكية الشفاعة فى الآخرة ممكن وواقع، ولكن على شرط المالك للشفاعة التى لا يملكها غيره وهو الله عز وجل.

وهذا أصل يضم إلى سائر الأصول التى ذكرناها سلفاً من أن الشفاعة أمرٌ له وجوده فى الآخرة.

وأن ملكية الشفاعة لله.

وأن الشفاعة لا يملكها غيره.

وأن الملكية يمكن نقل حق الانتفاع بها علي شرط المالك.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) يونس: ٣.

(٣) طه: ١٠٩.

(٤) الأنبياء: ٢٨.

(٥) سبأ: ٢٣.

ويبقي أمامنا طائفة اخرى من النصوص تشبه أن تكون النتيجة المترتبة على هذه الأصول، إذ أن الشفيع لا يشفع إلا إذا أذن له.

وهو لا يشفع إلا لمن رضي الله عنه .

فإذا غاب الشرطان أو أحدهما، ولم يتحققا فى أحد الناس أو طائفة منهم، فإن أصل الشفاعة وحق انتفاع الشفعاء بها يكون موجوداً، غير أن الذي لم يتحقق الشرط فيه لا يمارسها، ولا ينتفع بها.

﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (١) .

﴿ ولا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِه الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٣) .

ويجمع الله القول فى عبارة واحدة واضحة الدلالة فيقول :

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ (٤) .

استنتاج أم اتهام :

لقد قرأنا معاً ما قرأناه من الآيات الخاصة بالشفاعة، فوجدناها منسجمة مع نفسها كعادة القرآن الكريم.

غير أن صاحبى قد استنتج من هذه الآيات استنتاجات عجيبة، أطلعتك على بعضها، وأحب الآن أن أطلعك على البعض الآخر.

وما أطلعتك عليه نقلت من كلام الرجل ما يؤيده.

---

(١) مريم: ٨٧.

(٢) الزخرف: ٨٦.

(٣) المدثر: ٤٨.

(٤) النجم: ٢٦.

ومن أمثلة ما أطلعتك عليه:أن القرآن الكريم كان حريصاً على التعتيم علينا في مسألة الشفاعة، وهو تعتيم لمصلحتنا كما قال صاحبي.

وحين قرأت آيات الشفاعة لم أجد تعتيماً وما ينبغى أن يكون.

وما أحب الآن أن أطلعك عليه بنصوصه من كلام الرجل، هو بعض هذه الاستنتاجات العجيبة التي احتوي عليها مقاله الأخير، والذي ناشد فيه العلماء، أو أمرهم بأمره أن يغلقوا ملف الشفاعة حيث فتحه هو وأغلقه.

فى هذا المقال الأخير لفت صاحبنا الأنظار إلى هذه الآيات وشرحها على طريقته.

وخلاصة ما شرح به هذه الآيات: أن الله عز وجل اختص بالشفاعة وحده (وهذا صحيح)، ومنعها غيره (وهذا كلام غير مبرر)، وليس لغيره شيء من الشفاعة فى الآخرة، إلا أن تكون بشارة يقوم بها ملك أو نبي يبشر بها أناساً قد رضى الله عنهم.

وليست إرادة الله في الرضا مطلقة (وهذا كلامه ونبرأ إلى الله منه)، وإنما هى إرادة مقيدة بشرط التوبة من المعصية قبل الموت.

ثم ينتهى صاحبي إلى هذا القول الذى يجرح شعور المؤمنين، ويخدش إيمانهم بربهم، وهو أن الله عز وجل لم يفعل شيئاً إلا ما اقتضته الأسباب (استغفار وتوبة يتبعها رضى).

وإرسال الملائكة بالبشارة عند صاحبي المعبر عنه في القرآن بالشفاعة، عمل يصدر عن الله تقوم الملائكة به من باب تحصيل الحاصل ليس إلا.

واسمح لي أن أقول لك: إن هذه العبارة من صاحبي فيها شيء من التجاوز غير يسير.

ولولا أنا مأمورون بأدب الحوار لأطلقنا لمشاعرنا العنان فتنطلق غير هيابة لنكافىء هذا الموقف.

واستغفر الله في كل حال.

ودعني أطلعك على عبارته لأنصرف وتنصرف عنها سريعاً، ونحن نقول معاً ما قال ربنا ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبيلاً ﴿٢٧﴾ يا وَيْلَتَىٰ لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَليلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَني وَكَانَ الشَّيْطَانُ للإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (١) .

فى مقالته الأخيرة قال في شىء من الإنكسار والتواضع بعد كلام كثير:

[ونحن لا نريد عـذاباً لأحـد .. ونحـن مـثل غـيـرنـا أهل ذنوب ونلتـمس المخـرج من أهوال هذا اليوم .. ولكن القرآن لا يفتح لنا باباً إلا وسده .. فهو يقول "ولا تنفع الشفـاعة عنده إلا لمن أذن له" وهو كـلام عن الملائكة .. ولكن ماذا يقـول القرآن بعد ذلك "حـتى إذا فزع عن قلوبهم" (لهول الموقف) "قـالوا" (أى قال الملائكة) ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾(٢) **.. إذن لا معـدى فى هذا اليوم (يوم الفزع الأكـبر) عن الحق .. ولا إذن إلا بالحق وفي مكـان آخـر يقول عن الملائكة** ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ (٣) **وبذلك عاد فـأغلق الباب وجـعله مقـصوراً على أهل الرضـا أي المرضي عنهم .. وهو تحـصيل حـاصل .. فـالمرضي عنهم ناجون بـحكم ما فـعلوا فـي حيـاتهم من خيـر .. والحسنات كـما يقـول القرآن يذهبن السيئات .. ومازلنا ندور فى حلقـة مفرغة تبدأ من الحق وتنتهى إلى الحق ولا معـدي فـى هذا اليوم عن الحق]** (٤) .

أرأيت إلى هذا الاسـتنتـاج الذي اسـتنتجـه من حـديث القرآن حـول الشفاعة؟!.

ثم أرأيت إلي هذا الأسلوب الذي عرض به استنتاجه؟!.

والرجل معذور فيما ذهب إليه من استنتاج وفيما عرض به نتائجه.

وعذر الرجل عندي أنه مـهمـا تبرأ من فـترة سلفت كان فـيـها مـفـتـوناً بالفلسـفة المادية على العموم، وفلسـفة مـاركس علي الخصـوص، فـإن التـبرأ وحده لا يأتى على الأفكار من جذورها، وإنما تبقى فى القلوب بقية، قد تنغص علي صاحبها فى بعض الأحايين.

---

(١) الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

(٢) سبأ: ٢٣.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

(٤) الأهرام ١٩٩٩/٥/١٥ ع/٤١٠٦٧.

وتبقي في العقول بقية تنغص على الفكر فى كل حين.

وما عند الرجل من بقايا الفلسفة المادية هذا الإيمان المطلق بفاعلية السببية وآثار الأسباب فى المسببات.

ونحن لا نعترض على فاعلية السببية، ولا نعترض على آثار الأسباب فى مسبباتها.

وإنما اعتراضنا الوحيد على إطلاق هذه الفاعلية، وعلى إطلاق هذه الآثار.

فالذي يقول: إن السببية تؤثر بغير حدود، وبأن الأسباب فعالة في مسبباتها بغير معقب، يكون قد ابعد فكرة الألوهية من رأسه، ونحًى عنه الإيمان بأن الله موجود.

ونحن نؤمن بالفاعلية والتأثير للأسباب والسببية، ولكن فى نطاق قدرة الله وإرادته.

هذا فى *الدنيا*.

أما فى الآخرة فإنه لم يعد هناك دور لا للسببية ولا للأسباب بعد أن قال الله عز وجل ﴿ **ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ .

وغيرنا يرون أن الأسباب مطلقة الفاعلية، وأن السببية فى تأثيرها حتمية في الدنيا.

وعندهم: أنه ليس بعد الموت حياة تستتبع الحديث عنها، أو الدراسة حولها.

والناس فيما يعشقون مذاهب.

وما عند الرجل من بقايا المادية الجدلية وجذورها فى القلوب، وآثارها على لغة الحوار: هذا الأسلوب الجرىء، خاصة علي عالم ما بعد الطبيعة من جهة، وعلى رموز المجتمع من جهة أخرى.

وهذه الجرأة فى التعبير تأخذ القارىء والسامع من ناحيتين:

اما احداهما: فهى أنها تجرح مشاعره الدينية، وتسبب له نوعاً من الألم الشعورى، لا يشعر به إلا من كان له خُلقٌ قويم، أو ألقى السمع لكل حديث يتصل بدينه وهو شهيد.

واما الاخرى: فتتمثل فى هذا الفتور الذي يحدث فى العلاقات الاجتماعية حين يرى الإنسان المتميز، أو من كان عنده تطلع للتميز يملك أدواته هذه الرموز فى المجتمع، وقد تطاول عليها أناس بالسخرية من خلال كلام صريح، أو كلام مبهم يمكن صاحبه من التخلص منه حين يجد نفسه فى حرج اجتماعى.

ودونك مثال لهذا الأسلوب المبهم الذي يصطنعه صاحبنا أحياناً، فإن وجد نفسه فى حرج اجتماعى أو ديني قال: إن هذا الأسلوب لا يعقله إلا الولهون الذين قطعوا علي مدارج السالكين درجات لا يعلمها إلا المتذوقون.

فمن ذاق عرف.

ودعني أخلى بينك وبين هذه الكلمات الموغلة في الايهام والاحتمالية، ولها آثارها على المدى الطويل فى ذهن قارئيها أو سامعيها.

قال صاحبى: **[وقفت أمام قبر الرسول الكريم منكس الرأس حياءً وقد هربت منى الكلمات.**

كلي حياء منك يا رسول الله ..

[أحسنت بالتبليغ عن ربك وما أحسنا .. وأحسنت النصح لأمتك وما نصحنا .. وحملت كتابك بقوة وما حملنا .. وانتصرت للحق وما انتصرنا .. واكتفى بعضنا بلحيته وقال هى سنتك .. وقصر البعض جلبابه وقال هو أمرك .. واستسهلوا السهل وخانوا الأهل، واكتفوا من الدين بقشرته، ومن الجهاد بسيرته .. وقعدوا وقعدنا معهم .. وركب أكتافنا الدون والسوقة ورعاع الناس وشذاذ الآفاق، وسفحوا دماء نا واستباحوا أرضنا وشتتوا شملنا.

يا نصير اليتامي وجاه الضعفاء والمنكسرين، لن أسألك الشفاعة فلا توجد في عقيدتنا شفاعة، بمعنى "الوساطة" في الآخرة لرفع الذنوب وإنما الشفاعة في كتابنا تعني "العمل" وشفيع الإنسان عمله وحده وكسبه وما صنع وما قدم .. وإنما أسأل الله بجاهك أن يختم لنا بتوبة وأن يرضى عنا، فقد وَعَدَنا و وعده الحق أننا سندخل المسجد كما دخلناه أول مرة].(١)

استنتاج عجيب من نصوص معقولة ومقدسة تعالج قضية لا تحتاج إلى أن نستنطق الألفاظ لما لا تريده الألفاظ، إلا إذا كان هناك قصد مرسوم إلى غرض يعرفه أصحابه ولا نعرفه.

استنتاج معقول :

أما الذي يتأمل نصوص القرآن بغير هوىً غير هوى عقيدته وعقله يدور معهما حيث دارا، فإنه سوف يجد المسألة في غاية الوضوح.

إنه سوف يجد القرآن وقد حكم على الشفاعة يوم القيامة بالوجود الكامل.

وإنه سوف يجد القرآن وقد جعل بين الشفاعة وربها نسبة هي نسبة الملكية، التي لا تنبغي لسواه.

وإنه سوف يجد القرآن وقد حكم على هذه النسبة نسبة الملكية، بأنها ملكية مطلقة، وأخبر عن المالك وهو الله بأنه لا يعتريه نقص في إرادته أو علمه، أو حكمته، أو قدرته.

وحاشاه .

وإنه سوف يجد القرآن، وقد أكد أن هذه الملكية التامة والمنفردة لا يمكن أن تنتزع من مالكها، إذ لو حدث ذلك لتعدد المالكون لهذه الشفاعة، وهو أمر غير مفهوم في العقل، وغير مقبول في الدين.

وجاء ت الآيات تؤكد أنه ليس هناك في الآخرة شفيع يشفع، ولا وسيط ينفع، خارج دائرة الملكية الواجبة عقلاً وشرعاً لله.

---

(١) ماذا وراء بوابة الموت – د/ مصطفى محمود – كتاب اليوم الأخبار – شهر – نوفمبر١٩٩٨م ص١٣.

وإنه سوف يجد القرآن، وقد أخبر عن المالك الحقيقي للشفاعة، أنه سوف يمكن الشفعاء من أن يشفعوا تكريماً لهم يوم القيامة، ورداً لاعتبارهم على رءوس الأشهاد تعويضاً عما قابلوه في الدنيا من أذىً ينال من الأجسام أو من الطباع، وسوف يكون ذلك في إطار شرطين: أن يأذن الله لمن يمكنه من الشفاعة، وأن يرضي عن المشفوع له.

نعم: يرضي عن المشفوع له بعد أن كان قد سخط عليه، وهذا الرضا يكون في الآخرة بعد سخط سبقه.

وهذا النوع من الرضا لا علاقة له باستغفار أو توبة، وكل من أقبل على القيامة، أو أقبلت القيامة عليه غير مشرك بالله عز وجل عرضة لهذا الرضا بالاحتمال لا بالقطع، وفقاً لإرادة المريد ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (١) ، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ (٢) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٣) نعم: من لدنه وليس على مقتضى الأسباب.

هذا هو النسق القرآني المعقول والمفهوم، لم نحتج فيه إلي القول بأننا ندور في حلقة مفرغة.

ولم نحتج فيه إلي ادعاء أن يوم القيامة فيه من العبثية مالا يحتمله ضمير مسلم، ومشاعر مؤمن.

والنتيجة العامة بعد هذا كله هي أن القرآن من خلال هذا النسق قد أثبت أصل الشفاعة، والشروط التي يجب توفرها في الشفيع والشفعاء، وفي المشفوع له أو المشفوع لهم من الناس.

وقد جاء هذا كله في مبادىء وأسس قررها القرآن الكريم.

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) النساء: ٤٠.

وهذه المبادىء والأسس تحتاج إلى تطبيقات على مشخصات وإلى تقسيم المبادىء نفسها إلى أصناف وإلى أنماط.

وهذا أمر تتكفل به السنة التى محلها من القرآن محل البيان والتفصيل.

وشأن السنة مع القرآن هكذا فى كل حال، ولسنا ندعى أن الشفاعة هى شذوذ من سائر الأحوال.

الآن وقد وفيت لصاحبى ما ألزمنى الالتزام به وهو: إثبات الشفاعة ومبادئها من القرآن الكريم.

وقد قلت لصاحبى أول الأمر: إننى سأسير معك فى ظلال القرآن الكريم، أثبت لك أصل الشفاعة ومبادئها ولمن تكون على الحقيقة، ولمن تكون بالمنح.

واشترطت على صاحبى أننى إن فعلت ذلك أن يطأطىء رأسه معي للسنة ينصت إلى حديثها، وأن يحمل قلبه على السجود لله عز وجل وأنا أحدثه عن صاحب السنة، وأن يقرأ معى وهو فى حضرة السنة وصاحبها﴿ ولَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[١] .

أما أنا فقد وفيت ، وأما صاحبى فإن وفقه الله إلى الوفاء، فإنا ذاهبون إلى السنة معاً نطالع ما جاء ت به.

وإن تقاعس عن الوفاء، فإنى ذاهب إلى السنة ومعى جماهير المسلمين، نستلهمها ما فيها آملاً أن يكون معنا توفيق الله ورضوانه ، وأن يهيئ لنا من يقول لنا كما قال لـ (حسان) : قل وروح القدس معك.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) النساء: ٦٤.

الشفاعة فى السنة المطهرة

بلغ الحديث بنا مداه حين كنا نتحدث عن الشفاعة فى القرآن الكريم.

وانتهى بنا الحديث إلى أن القرآن أرسى قواعد الشفاعة وجوداً، ونسبة، وإتاحة، وتمكيناً حسب إرادة المالك ورضاه.

وما كان ينبغى لنا أن نطلب من القرآن فوق ذلك، إذ عادة القرآن أن يقعد القواعد ويرسى الأسس ثم يأتى وحى آخر يفصل القول تفصيلاً ويوضحه توضيحاً يناسب كل مقام.

وهذا الوحى الجديد الذى يضاف إلى القرآن هو ما نعرفه بالسنة المطهرة.

وقد ثبت لى ولك فى حديث سبق أن القرآن الكريم ملئ بالحديث عن هذا الوحى الثانى بما لايدع مجالاً لشك ولا يترك مساحة لريب .

ودونك هذا المثال لتذكر ما قلت لك.

إذا قال الله عز وجل لنبيه والمسلمين معه **(وقد فعل)** ﴿ ما قطعتم من لِّينة أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

دونك هذا المثال فتأمله معى إن شئت لعلك تذكر ما قلناه من قبل.

وأنت إذا تأملت هذا المثال خاصة فى قوله تعالى ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ثم تأملت هذا الإذن وتأملت مصدره وعلمت أن مصدر هذا الإذن هو الله، ثم عدت تتأمل القرآن آية آية بحثاً عن هذه الآية التى تأذن للنبى فى قطع اللينة أو تركها ما وجدتها فى القرآن كله.

أنت إذا فعلت ذلك من خلال تأمل بعده تأمل ترسل معه البصر فى آيات القرآن المرة بعد المرة ويعود إليك البصر والبصيرة كلاهما فى حالة من الإعياء والإجهاد، لم يجد أحدهما بغيته.

لو فعلت ذلك كله ووصلت إلى هذه النتيجة لعلمت أن الإذن قد جاءه من طريق آخر للوحى غير القرآن.

---

(١) الحشر : ٥.

فماذا عساك أن تسمى هذا الطريق؟
أتسميه قرآناً غير متلو لتنصف رأيك وترضى كبرياءك؟
أم أنك ستسميه باسم آخر غير القرآن؟
ونحن سنوافقك على أى اسم تختاره إلا أن تسميه قرآناً.
ولا مشاحة فى التسمية لمن يملك حقها.
أما جماهير الأمة - وأنا معهم - فيسمون هذا النوع من الوحى- سنة - كما علمت.

وأياً ماكان الأمر فقد اتضح لنا موقف القرآن الكريم من الشفاعة على نحو ما لخصت لك.

بقى هذا الإيضاح والتفصيل والتقسيم وهذا عمل الوحى الثانى الذى هو-السنة المطهرة.-

وأنا أقول لصاحبى: إن طاوعتك نفسك أن تتابعنى عبر السنة نتفيأ ظلالها ونستنشق عبيرها، فستجدنى على تساؤلاتك إن شاء الله من الصابرين.

وإن أبيت أن تسير معى وقعدت بك همتك عن مواصلة المسير، أو اجتذبتك أهواء لأناس نعرفهم ويعرفوننا، قد فرقت بيننا السبل فأنت وشأنك وسأسير الطريق وحدى آمنا مطمئناً، متخففاً من كل هم، نابذاً وراء ظهرى مجهودات أظن أنها قد لا تثمر إلا أن يشاء الله.

★★★

السنة فى مجال الإيضاح والتقسيم:

وإنه لمن العجب العاجب أنى حين ألقيت بنفسى فى ظلال السنة المطهرة بعد القرآن الكريم، أحسست وكأن صاحبها فتح لى ذراعيه فى مجال من الاحتواء كاحتواء الأبوة، وكأنه ينشر أمامى أقواله وأفعاله وتقريراته ويطلعنى على صفاته فى لون من الوضوح لايخفى منها شئ.

وما كنت أنتظر أو أطمع فى أن أحصل على وضوح من خلال قراءتى للسنة المطهرة بهذه الدرجة العالية التى تبين فيها السنة عن نفسها إبانة يكاد

يبصرها من لايرى، ويسمعها من لايسمع، ويبين عنها إبانة لا لبس فيها، حتى هذا الذى لايقوى على النطق.

قد تقول :إن هذا حديث مشاعر يفقهه الولهون من الصوفية والمجذوبون على سلم الترقى فى الأحوال.

ولا بأس عندى أن تفهم عنى ذلك، ولكن البأس عليك إذا ماكشفت السنة عن أغراضها أمامك وأنت لاتبصر، ولا تسمع، ولا تنطق.

ومع ذلك فنحن مأمورون من صاحب السنة نفسه أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، ومع ذلك فنحن مأمورون من الله قبل ذلك أن نجادل الناس بالتى هى أحسن أسوة بنبيناﷺ.

ولا نملك فى الحالتين إلا أن نقول لربنا: سمعنا وأطعنا.

ولا نملك فى الحالتين إلا أن نقول لنبينا: سمعنا وأطعنا.

وبين أضواء الطاعة لله ورسوله سأسير أمامك إن شاء الله، والسنة أمامى أهتدى بها، وأفصل (لك القول تفصيلاً يكون النص فيه هو رائدنا، نبصره ولا نخطئه ، ونتبعه على الطريق الذى لاطريق سواه، لانلتفت إلى السبل التى تتفرق بأصحابها عن يمين هذا السبيل وعن يساره.

وأنا قانع راض بأن أكون بينك وبين السنة أفصّل القول لك وأوضح المعانى بين يديك، على أن تتبعنى فيما أقول وأفعل.

صاحبى أتسمح لى أن أداعبك؟

بماذا تسمى موقفى هذا وموقعى بينك وبين السنة حيث أردت منها معلومة وهى تأبى عليك لأنك تنكرها فاتخذتنى بينك وبينها آتيك منها بالمعلومة لأنى أحبها.

أترانى شفيعاً؟

قد وافقت.

السنة والشفاعة فى الدنيا:

ومن أهم ما طالعتنا به السنة هذا التقسيم العجيب كأنها تتحسس آمال صاحبى، وتزيل عنه خَبثه الفكرى لكن لا على طريقة النار التى تزيل خبث الحديد والمعادن الأخرى، وإنما على طريقة الماء البارد فى اليوم الشديد الحرارة، يزيل عن المرء ما على جسمه من أوساخ وأقذار، تركها عليه الهواء المشبع بملوثات البيئة أو العرق الذى ينضح بسموم لفظها الجسم، وخرجت على سطح الجلد، لا يطيقها الجلد ، ولا يتحملها الطبع.

ما أجملها من سنة تتحسس العقول والأفئدة، فتزيل عنها أوساخاً تراكمت بفعل أفكار مشبوهة.

وعلى من جرت على يديه هذه السنة صلاة الله وسلامه.

طالعتنا هذه السنة بهذا التقسيم الذى وصفت لك ميزة صدوره عن السنة.

وكان هذا التقسيم العام حيث قسمت السنة الشفاعة إلى قسمين رئيسين:

أحدهما : الشفاعة فى الدنيا.

والآخر : الشفاعة يوم القيامة.

أما الشفاعة فى الدنيا فهى التى أبدؤك بها الآن وأسوق لك مايؤيدها من النصوص التى تبين عن حقيقتها لتزيل عن أعيننا جواً مبلداً يشبه غبش الفجر أو غسق الليل لانكاد نبصر الحقيقة من خلاله.

وعلى الله قصد السبيل.

وأول ما أبدؤك به من هذا القسم هو أن أحدثك عن تقعيد القرآن له حيث لم نتعرض له من قبل فى آى القرآن الكريم.

والآية التى قعَّدت لهذا القسم قد جاء ت فى سورة النساء حيث قال الله عز وجل فى سياق حديث مطول عن الجهاد : ﴿مَن يَشْفَعْ شفاعة حسَنَةً يَكُن لَّهُ

نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (١)

وهذه الآية من كتاب الله عز وجل وإن كانت قد وردت فى حديث عن الجهاد ولها تعلق به، إلا أن ألفاظها قد أحكمها الله عز وجل على هذا النحو لتفيد العموم.

وعلى هذا التخريج تكون الآية نصاً فى الشفاعة فى الجهاد حيث تدخل فيها دخولاً أولياً، ثم هى بعد ذلك تعم الشفاعة فى جميع مصالح المسلمين.

والشفاعة فى مصالح المسلمين تدخل في كل ما ينفع المسلمين أفراداً وجماعات على شرط الشفاعة الذى أباحه الشرع .

والشفاعة التى لاتستجمع شروط الشرع تنظر الشريعة إليها على أنها شئ مخالف يستأهل العقاب الشرعى المناسب كل من أقدم عليها.

وأنا أحبك أن تعيد النظر معى فى الآية تتأملها لترى هذا التقسيم البديع فى عين الشريعة حيث أوردت الشريعة للشفاعة الاجتماعية قسمين: وصفت **أحدهما** بأنه من باب الشفاعة الحسنة، ووصفت **الآخر** بأنه من باب الشفاعة السيئة.

فما عسى أن تكون الشفاعة الحسنة، وماذا عسى أن تكون الشفاعة السيئة؟

حاول بعض المفسرين المحدثين أن يذكر تعريفاً لكل واحد من هذين الصنفين فقال:

[... فالشفاعة الحسنة : أن يشفع الشافع لإزالة ضرر ورفع مظلمة عن مظلوم أو جر منفعة إلى مستحق، ليس فى جرها إليه ضرر ولا ضرار.

والشفاعة السيئة : أن يشفع فى إسقاط حد، أو هضم حق، أو إعطائه لغير مستحق أو محاباة فى عمل، بما يجر إلى الخلل والزلل.

---

(١) النساء: ٨٥.

والضابط العام: أن الشفاعة الحسنة هي ما كانت فيما استحسنه الشرع، والسيئة فيما كرهه أو حرمه](١).

وهكذا بدت الآية لك وقد قعدت قاعدة عامة كنا فى أمسِّ الحاجة إليها.

وهذه القاعدة العامة يترتب عليها أن الشفاعة في الاجتماعيات أمر يمتدحنا الشرع عليه إذا خضع لضوابط الشريعة.

وهو بالقطع يكون مذموماً إذا تجاوز الشرع وقواعده على نحو ما رأيت.

هذا وإنى أكاد أسمع صوتاً خافتاً كأنه قادم من عمق البحر صاحبه يرفع يده التى تبدو لى فى غاية الهزال وهو يقول : حسبك، مالك والقرآن تحمله آراء تضايقنى؟!

أقول لصاحب هذا الصوت: لاينبغى أن تكون حريصاً فى كل وقت أن تضع هذا المثل على صدرك "**رمتنى بدائها وانسلّت**"

إن لدينا من الهيبة - **إن شاء الله** - قدرٌ كاف يمنعنا من أن نحمل القرآن أموراً لايحتملها القرآن.

وأنا على استعداد أن أعيد الآية معك مرة ومرات ثم أسالك وأسأل نفسى وأسأل كل من يتأتى منه الخطاب عن السر الحقيقى وراء صياغة الآية بهذا الشكل العام.

وأنا أعلم أنه ليس هناك من سرفوق إرادة العموم نفسه.

نعم إن الجهاد داخل فيها دخولاً أولياً لايستطيع إنسان أن ينكر ذلك إذ هو محل الحديث لكنه فى الوقت نفسه لايمكن أن يكون هناك إنسان يستطيع أن يتحكم فى عموم الآية مهما أوتى من قوة الجدل والمقدرة على المراء.

---

(١) تفسير المنار. السيد محمد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م جـ٥ ص٢٥١.

وما صدر عن بعض العلماء يتحمس لحمل الآية على الجهاد لايقصد إلا إلى تنبيه الناس إلى أهمية دخول الشفاعة فى الجهاد دخولاً أولياً.

وجميع علماء الأمة مطبقون على أن الشفاعة هنا عامة تشمل جميع مصالح المسلمين.

نقل صاحب المنار عن شيخ المفسرين قال: [**قال ابن جرير: وقد قيل إنه عنى بقوله: "من يشفع شفاعة حسنة" الآية. شفاعة الناس بعضهم لبعض. وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ثم عم بذلك كل شافع بخير أو شر**].

ثم نقل عن الرازى كلاماً كثيراً إلى أن قال: [**خامسها: قول الحسن ومجاهد والكلبى وابن زيد: إنها شفاعة الناس بعضهم لبعض. فما يجوز فى الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لايجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة**] (١).

تلك وقفة مع الآية كان لابد أن نقفها معك لأمرين:

أما أحدهما: فهو أن نؤكد لك أن الشفاعة الاجتماعية مما يحض عليه القرآن ويؤكد ويحمل المسلم على أن يتخلق بمثله.

وأما الآخر: فإنى أردت أن أقنعك بأن الشفاعة الاجتماعية ليست من الرذائل التى تحمل الشرفاء على أن يتوارى الواحد منهم إذا ما حاول غيره أن يصفه بها.

أمران عظيمان أردت أن أضغط عليهما لأن صاحبى يقتنع بعكسهما اقتناعاً شديداً.

إذ هو يقول: إن الشفاعة الاجتماعية أمر مرذول فى جميع نواحيه.

وهو لم يرد له ذكر فى القرآن.

ثم ينتقل عن هاتين المسلمتين إلى القول بنفى الشفاعة فى الآخرة قياساً على استقباحها في الدنيا.

---

(١) السابق ص ٢٥٠.

والقبيح لايليق بذات الله ولا بصفاته .

وبعد هذا التقعيد العام المقنع أعود بك إلى السنة عوداً حميداً على ما فيها من نصوص ترغب فى الشفاعة الاجتماعية فى إطار شروطها الشرعية ، وتحض المسلمين عليها . إن السنة النبوية قد حضت على الشفاعة الاجتماعية مادام فيها تحقيق مصلحة أو درء مفسدة.

وقد فهم البعض أحياناً من الشفاعة الاجتماعية أن فيها تغيير إرادة المريد، فجاءت السنة لتحبط هذا الفهم، وتبين أنه فهم لا يجوز أن يسبق إلى عقل عاقل.

ودونك واقعة من السنة النبوية أراد الله أن يكون الشفيع فيها هو النبى نفسه ﷺ .

وأنت تعلم موقع النبى من هذه الأمة، أمره مطاع إذا أمر، وهواه أصل تدور معه أهواء الأمة حيث دارت.

ومع ذلك فقد احتوت هذه الواقعة على حوار يجلى أمامك الموقف كله لا يُخفى منه شيئاً.

فى سنن ابن ماجة قال: [حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن خلاد الباهلى قالا ثنا عبد الوهاب الثقفى ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان زوج بريرة عبداً يقال له مغيث كأنى أنظر إليه يطوف خلفها ويبكي. ودموعه تسيل على خده. فقال النبى ﷺ للعباس: "يا عباس! ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً؟" فقال لها النبى ﷺ: "لو راجعتيه. فإنه أبو ولدك" قالت يارسول الله ! تأمرنى؟ قال : "إنما أشفع" قالت: لا حاجة لى فيه] (١).

أرأيت إلى فقه هذه المرأة كيف ميزت بين الأمر التكليفى وبين الوساطة أو الشفاعة بالمروءة.

---

(١) سنن ابن ماجة ١٠ كتاب الطلاق ٢٩ - باب خيار الأمة إذا أعتقت حديث رقم ٢٠٧٥ ط المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ جـ١ ص٦٧١.

فلما رأت النبى ﷺ يصدر عنه الأمران جميعاً، ولم ينقدح فى ذهنها الفرق بينهما استوضحت النبى الأمر؟!.

ثم أرأيت إلى النبى ﷺ نفسه حين استوضحته هذه الأمة بيّن لها أنه شفيع، فعلمت أن الشفاعه لا تغير الإرادة لا فى الشريعة الإسلامية ولا فى عرف الناس، فاختارت لنفسها الأمر الذي لا يضر بها؟!.

ثم إننى لعلى يقين بعد أن أريتك هذا وذاك، أنك الآن مقتنع بأن السنة فى هذا المثال إنما جاءت بمثل تطبيقى لقاعدة جاء بها القرآن الكريم.

وليس لهذا من معنى إلا أن يكون هو عين البيان، لكنك قد تقول: هذا مثل فردى فى رجل آله عزوف امرأته عنه، وهى حالة فردية جرت العادة أن تقوم المروءة فيها بنصيبها الوافر.

وأنا أحاول أن أريحك بمثل عام فى حالة من الحالات التى يكون للقائد فيها عادة إصدار الأوامر العسكرية، التى لا يملك الجنود أن يعقبوا عليها، لأوقفك على مثل من أمثلة السنة المبينة للقرآن فى أجلى صورها.

ودونك هذه الواقعة التى كان زمانها عقب غزوة حنين، وكان الجند فى نشوة النصر.

والقائد كعادته يأمر فيطاع، وأهل هوازن جاءوا إلى النبى ﷺ فى غاية الانكسار يطلبون سباياهم وأموالهم.

فماذا كان حال النبى ﷺ معهم ومع أصحابه الذين آل المال والسبايا إليهم فى نمط من الملكية المشروعة ؟سأخلى بينك وبين رواية السنة:

فى مسند أحمد قال: [**حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا يعقوب ثنا أبى عن محمد بن إسحق قال: وحدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن هوازن أتوا رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا: يارسول الله أنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لايخفى عليك فامنن علينا منّ الله عليك.فقال رسول الله ﷺ "أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم"؟ فقالوا: يارسول الله: خيرتنا بين أحسابنا وبين أموالنا، بل ترد علينا نساؤنا وأبناؤنا فهو أحب إلينا. فقال لهم: "أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليت للناس الظهر فقوموا فقولوا: إنا**

نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم" فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به. فقال رسول الله ﷺ: "أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم" قال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا.

وقال عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر : أما أنا وبنو فزارة فلا.

قال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. قالت بنو سليم: لا ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال : يقول عباس: يا بنى سليم وهّنتمونى. فقال رسول الله ﷺ: "أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض من أول شىء نُصيبه فُردوا على الناس أبناء هم ونساء هم] (١).

لقد أخذتنى هذه الواقعة من جميع أقطارى لشدة وضوحها.

ولم لا، وإنى أرى النبى ﷺ والقوم بين يديه يسألونه أموالهم وسباياهم، ولو اتخذ النبى قراره كما يشاء ما كان عليه من ملام، ولكن لأن النبى مشرع ومسئول عن هذا الدين بلاغاً وتطبيقاً، فرق أمام السائلين بين قرار يتاح للقائد أن يتخذه، وشفاعة يبلغ بها القائد جنوده بوصفه وسيطاً يشفع، ويبلغ بها الجنود إلى قائدهم وسطاء يشفعون.

وما كان للنبى ﷺ أن يخلط بين الأمرين .

وحاشاه

وما كان للنبى ﷺ . أن تأخذه العِزّة بالإثم أمام أعدائه، فيتخذ قراراً متعسفاً أمام أعدائه .

وحاشاه

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر العربى جـ٢ ص ٢١٨.

وإنما المتاح المناسب لأخلاق النبى ﷺ أن يبلغ بهذا الدين من التطبيق والبلاغ مداهما فى كل وقت وظرف متاح.

وقد بلغ النبى ﷺ بالتطبيق مداه كما رأيت حين امتنع البعض أن يقبلوا شفاعة النبى (وهذا حقهم) ، حيث إنه قد اشترى منهم من فى ملكهم من السبايا بثمن مؤجل إلى حينه من خلال وعد محتوم بالسداد من أول مال يدخل فى ملك المسلمين.

قل لى بالله عليك: ما عسى أن يكون هذا المتصرف إن لم يكن نبياً؟

وما عسى أن يكون فعله هذا إلا أن يكون مصدراً أكيداً من مصادر التشريع، يأتى فى مرتبة تالية للقرآن، لكنه ينبع هو والقرآن من مصدر واحد؟

ثم أنت بعد ذلك بالخيار أن تسمي هذا المصدر ما تشاء بعد أن تعترف به.

أما أنا وجماهير المسلمين معى فنسميه: (السنة المطهرة).

مالى أراك مأخوذاً بما قرأت وسمعت؟!

دعك من هذه الدهشة لأكمل الصورة معك ، لقد حدثتك فيما سبق حول واقعتين من وقائع المجتمع عالجتهما السنة.

ولقد كانت أطراف الواقعة الأولى منحصرة فى رجل وزوجته من المسلمين والنبى يشفع.

ثم كانت الواقعة الثانية بين مجتمع المسلمين كله فى لحظة الانتصار، ووفد الجيش المنكسر والنبى يشفع عند المسلمين، والمسلمون يشفعون عند النبي ويهبونه أموالهم .

إلى غير ذلك مما علمت من أحداث وأحوال الواقعتين.

ثم دعنى الآن أجلِّى لك جانباً آخر من جوانب الصورة من خلال واقعة أطرافها: مسلم مجاهد ابن شهيد، أصابته الفاقة بسبب ميراثه لدين أبيه وكثرة تبعاته الاجتماعية،

ويهودى مستغل مالك المال، رأى من بعض المسلمين فاقة، فأراد أن يجعله فى حرج اجتماعى ، وثقافى، ونفسى، ليظهر الشماتة به.

وقائد إليه المرجع فى الأمر والنهى طبقاً لمعاهدة وطنية أبرمها مع اليهود الذين رفضوا أن يدخلوا معه فى دينه.

ترى ماذا سيفعل هذا القائد، أينتصر للحادثة ويطمس المبدأ، أم تراه ينتصر للمبدأ ويتصرف فى الحادثة بالطريقة التى يخرج بها بغير ملام؟

دعنى أخلِّى بينك وبين الحادثة من رواية السنة لتطلع بنفسك على الموازنة بين المبدأ والواقعة كيف تكون؟

جاء في صحيح البخارى (**نعم فى صحيح البخاري ولو رغمت أنوف**):

[حدثنى إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس عن هشام عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله ﵁ أنه أخبره "أن أباه تُوفى وترك عليه ثلاثين وسْقاً لرجل من اليهود. فاستنظره جابر. فأبى أن ينظره. فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه. فجاء رسول الله ﷺ فكلم اليهودى يأخذ تمر نخله بالتى له فأبى. فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها. ثم قال لجابر: جُدَّ له فأوف له الذى له. فجدَّه بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقاً. وفضلت له سبعة عشر وسقاً. فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذى كان فوجده يصلى العصر. فلما انصرف أخبر بالفضل فقال: أخبر بذلك ابن الخطاب. فذهب جابر إلى عمر فأخبره. فقال له عمر: لقد علمتُ حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن فيها] (١).

وكأنى بالنبى قد علم من طبع عمر بن الخطاب أنه لا يقوى على تحمل اختفاء المروءة كما فعل اليهودى، إذ إن المروءة حين تختفى فى بعض المواقف أو تتأخر، قد يترتب عليها شىء من الإذلال أو الحرج الاجتماعى للغير، وهذا شيئ جميل أن يفهمه عمر وينفعل له، لكن المبادىء والنظم لها من الأصول ما لا يمكن تجاوزه.

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ٤٣ كتاب الاستقراض ٩ باب إذا قاصَّ، أو جازفه فى الدَّين تمراً بتمر أو غيره حديث رقم ٢٣٩٦ جـ٥ ٦٠ السلفية.

ولذا فعل النبى ما فعل وأمر جابراً أن يذهب إلى إخبار عمر بفضل الله عليه وعلى نبيه كى يسكِّنه، وأراه قد سكن.

هذه هى الشفاعة الحسنة يُفَصِّل فيها النبى ﷺ تفصيلاً، بعد أن جاء أصلها في القرآن الكريم.

وأرانى حين عرضت الصورة أمامك فى القرآن والسنة فى الشفاعة الحسنة في الدنيا، أكون قد بينت لك أن هذا اللون من السلوك الاجتماعى لون يحسبه الإسلام من المروءة التى ترتفع بالمسلم فى أعين إخوانه، بعد أن ارتفعت به فى عين نفسه.

والارتفاع بالفرد، والعلو بنفسه هدف ينبغى أن تضعه الأمم أمام أعينها، إن أرادت أن ترتقى بأبنائها، وتوفر لهم القدر الكافى من الرفعة والعزة.

أما الإسلام فى شريعته التى تعود إلى القرآن والسنة، فإنه يضيف إلى هذه الغاية الشريفة غاية آخرى، يستمر دفء عطائها إذا ما تجمدت الأهداف الأخرى وتوقفت عن العطاء .

وهذه الغاية التى يضيفها الإسلام هى : هذا الأجر الأخروى الذى يضمنه الله عز وجل في يوم يحتاج الناس فيه إلى ما قل أو عظم من الأجور.

والنبى ﷺ يعلم أن كل من صدقت نيته مع الله يحب دائماً أن يتاجر معه، حتى يأتى يوم القيامة عالي الكعب، أبيض الوجه، عزيز النفس، شديد القرب من ربه ونبيه والصالحين.

ولأن النبى ﷺ يعلم ذلك بالإضافة إلى مسئوليته عن البيان، وجدناه يشرح هذه الغاية وهو يحض الناس على أن يمارسوا الشفاعة بعضهم لبعض، وبعضهم عند بعض فى إطارها الشرعى المرسوم لها .

جاء فى مسند أحمد بالسند إلى أبى موسى الأشعرى قال:[**كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو ذو الحاجة قال : "اشفعوا تؤجروا وليقض الله عز وجل على**

لسان رسوله ماشاء»](١).

وفى سنن النسائي [عن معاوية بن أبى سفيان أن رسول الله ﷺ قال: "إن الرجل ليسألنى الشىء فأمنعه حتى تشفعوا فيه فتؤجروا". وإن رسول الله ﷺ قال: "اشفعوا تؤجروا"](٢).

★★★

الشفاعة السيئة :

هكذا وضَّحت السُّنَّة المطهرة الشفاعة الحسنة، وحولت المبادئ القرآنية إلى تطبيقات حيَّة، يُعجب بها كل قلب، ويركن إليها كل عقل، ويحمد الله عليها كل لسان.

بقى أن أحدثك عن الشفاعة السيئة بعد أن ذكرها القرآن مبدءًا وقاعدة، وبعد أن تتبعتها السنة النبوية تطبيقاً وإرشاداً.

واسمح لى هنا أن لا أطيل فالموضوع الآن قد اتضحت جوانبه، وظهرت حواشيه،.

إننا نعلم جميعاً أن فى كل أمة متحضرة نظاماً يُوكل إليه حماية النفس، والعقل، والعِرض، والدين، والمال.

ونحن نعلم كذلك أن هذا النظام لن يكون فَعَّالاً إلا إذا كانت هناك عقوبات تحميه من عبث العابثين، وطمع المجترئين.

والعابث أو المجترئ يكون تعديه على هذا النظام وخروجه عليه ضاراً بثلاثة أطراف.

أحدها : هؤلاء الأفراد الذين يتم الاعتداء عليهم، كل فرد بالقدر الذى يخصه ويتضرر بسببه فى أحد المجالات الخمس المشار إليها، أو كلها.

---

(١) مسند الإمام أحمد / ٤ / ٤٠٩، والحديث فى البخارى رقم ٦٠٢٨ وفى مسلم تحت رقم ٢٦٢٧ .

(٢) سنن النسائى: ٥/٧٨ ط. دار الريان للتراث.

وثانيها : هؤلاء الأفراد باعتبارهم جماعة بينهم سلوك متبادل، ويعيشون على أرض واحدة، ولهم حقوقهم المشتركة.

وثالثها : هذا النظام نفسه من حيث الهيبة التى ينبغى أن تتوفر له.

وهذا الضرر بشعبه الثلاث ينبغى أن يتوقف بالأخذ على يد المتسبب.

والعقل يقبل أنه إذا حدث اعتداءٌ على فرد، ولم يرفع الأمر إلى الحاكم المسئول عن حماية النظام، والمسئول عن توفير الأمن العام، يكون الحق فى يد المعتدَى عليه، إن شاء أن يرفعه إلى الحاكم فعل، وإن شاء أن يتنازل عنه بإرادته فعل، ولا بأس عليه فى الحالتين.

ومادام الحق فى يد فرد من الأفراد لم يُرفع إلى الحاكم بعد، فإنه يمكن أن يتدخل الشفعاء لدى المعتدَى عليه يطلبون تنازله إن رأوا فى ذلك مصلحة دينية أو دنيوية.

وتكون الشفاعة فى وضعها المقبول إذا لم يكن هناك تلويح أو تنويه بشئ يسبب الضغط على المعتدى عليه يحمله على تغيير إرادته.

أما حين يرفع الأمر إلى القاضى أو الحاكم، أو من بيده الأمر أيًا كانت صفته، فإنه فى هذه الحال لم يعد للشفاعة محل، لأنه إذا شفع الشافعون لدي الحاكم المسئول، وقبل الحاكم الشفاعة، ضاعت هيبة السلطان والنظام جميعاً، وأصبح الكل المجموعى غير آمن فى سربه أو فى وطنه على نفس أو مالٍ، أو عرض أو عقل، أو حتى على دين.

وتلك خطورة تهدد كيان المجتمع وتنال من نظامه.

صاحبى أتراني أخطأت فى عرض هذه القضية، أم ترى أنها من أوليات كل نظام، وبدهيات كل تشريع؟

لك أن تتصور الوضع كما تشاء.

أما كاتب هذه السطور، فهو يسير مع قافلة العقلاء حيث سارت، يصبحهم ويمسيهم برضاه عنهم، ويصبحونه ويمسونه بالترحيب به عضواً ينضم إلى قافلتهم.

وقافلة العقلاء يرضون عن السنة، ويرضى عنهم صاحبها، إذا ما سارت بالتشريع على قانون العقل، لا تكاد تفارقه.

وهى هكذا تفعل فى جميع قضاياها.

وسأطلعك على بعض النصوص ولن أطيل.

فى صحيح البخارى بالسند إلى [ابن أخى عائشة زوج النبى ﷺ لأمها (واسمه عوف بن الطفيل) "أن عائشة حُدثت أن عبد الله بن الزبير قال فى بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت هو لله علىَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة. فقالت: لا والله لا أشفّع فيه أبداً ولا أتحنّث إلى نذرى. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسوَر بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث - وهما من بنى زهرة - وقال لهما: أنشد كما بالله لما أدخلتمانى على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتى. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم - ولا تعلمُ أن معهما ابن الزبير - فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكى، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبى ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكّرهما وتبكى، وتقول: إنى نذرت، والنذر شديد. فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة. وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تُبلَّ دموعها خمارها"] (١).

وجاء فى الموطأ بالسند إلى [ابن شهاب، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، أن صفوان بن أمية قيل له: إنه من لم يهاجر هلك. فقدم صفوان بن

---

(١) رواه البخارى فى الأدب -الفتح ٥٠٦/١٠ رقم ٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥.

أمية المدينة. فنام فى المسجد، وتوسد رداءه. فجاء سارق فأخذ رداءه. فأخذ صفوان السارق. فجاء به إلى رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: "أسرقت رداء هذا؟" قال: نعم. فأمر به رسول الله ﷺ أن تقطع يده. فقال له صفوان: إنى لم أرد هذا يا رسول الله. هو عليه صدقة: فقال رسول الله: ﷺ "فهلا قبل أن تأتينى به"].(١)

وفى الباب حديث آخر لو تأملته لظهر لك أن صحابة رسول الله ﷺ قد علموا عنه علماً بيناً متى تجوز الشفاعة، ومتى لا تجوز، ومتى يكون الحق عاماً، ومتى يكون خاصاً على نحو ما وضحنا لك سلفاً.

وهاك الرواية على وجهها

روى الإمام مالك بسنده إلى **[ربيعة بن أبى عبد الرحمن. أن الزبير بن العوام لقى رجلاً قد أخذ سارقاً، وهو يريد أن يذهب به إلى السلطان، فشفع له الزبير ليرسله. فقال: لا. حتى أبلغ به السلطان. فقال الزبير: إذا بلغت به السلطان. فلعن الله الشافع والمشفَّع"]** (٢).

لقد رأيت أن أحدثك حديثاً مختصراً عن الشفاعة السيئة فى مجال الاجتماعيات وكيف حذر الإسلام منها.

ولكنى لا أريد أن أتركك حتى أخلى بينك وبين السنة تأخذ بتلابيبك لكى تُذهب عنى وعنك رجز الشيطان.

فتأمل هذه الرواية:

روى البخارى بسنده إلى **[عائشة من طريق ابن شهاب عن عروة أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله#؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يأيها الناس إنما**

---

(١) الموطأ الإمام مالك ٤١ كتاب الحدود ٩ – باب ترك الشفاعة للسارق إذا بلغ السلطان ح رقم ٢٨ ط عيسى الحلبى جـ٢ ص٨٣٤ ، ٨٣٥..

(٢) السابق: الباب والصفحة.

ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها](١).

والحديث فى أكثر من مصدر واللفظ هنا للبخارى، وفى سنن ابن ماجة بعد رواية الحديث : **[قال محمد بن رمح: سمعت الليث بن سعد يقول: قد أعاذها (يعنى فاطمة) الله عز وجل أن تسرق.وكل مسلم ينبغى له أن يقول هذا]** (٢).

ولابن حجر تعليق على هذا الحديث نفيس قال: [... **قوله "باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان" كذا قيد ما أطلقه فى حديث الباب (أتشفع فى حد من حدود الله، وليس القيد صريحاً فيه، وكأنه أشار إلى ما ورد فى بعض طرقه صريحاً، وهو فى مرسل حبيب بن أبى ثابت الذى أشرت إليه وفيه "أن النبى ﷺ قال لأسامة لما شفع فيها: لا تشفع فى حد فإن الحدود إذا انتهت إلىَّ فليس لها مترك" وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه "تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب" ترجم له أبو داود "العفو عن الحد ما لم يبلغ السلطان" وصححه الحاكم وسنده إلى عمرو بن شعيب صحيح]**.

وأخرج أبو داود أيضاً وأحمد وصححه الحاكم من طريق يحيي بن راشد قال: **[خرج علينا ابن عمر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره" وأخرجه ابن أبى شيبة من وجه آخر أصح منه عن ابن عمر موقوفاً وللمرفوع شاهد من حديث أبى هريرة فى الأوسط للطبرانى وقال: "فقد ضاد الله في ملكه" وأخرج أبو يعلى من طريق أبى الحياة عن أبى مطر:**

رأيت عليا أتى بسارق فذكر قصة فيها "أن رسول الله ﷺ أتى بسارق، فذكر قصة فيها: "قالوا: يارسول الله أفلا عفوت؟ قال: ذلك سلطان سوء الذى يعفو عن الحدود بينكم].

---

(١) فتح البارى على صحيح البخارى ٨٦ - كتاب الحدود ١٢ - باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ح رقم ٦٧٨٨ جـ١٢ ص ٨٧.

(٢) سنن ابن ماجة ٢٠ كتاب الحدود ٦ - باب الشفاعة فى الحدود ح رقم ٢٥٤٧ جـ٢ ص٨٥١.

إلى أن قال: **[وبسند صحيح عن عكرمة أن ابن عباس وعماراً والزبير أخذوا سارقاً فخلوا سبيله فقلت لابن عباس: بئسما صنعتم حين خليتم سبيله. فقال: لا أم لك أما لو كنت أنت لسرك أن يخلى سبيلك. وأخرجه الدارقطني من حديث الزبير موصولاً مرفوعاً بلفظ: "اشفعوا ما لم يصل إلى الوالي فإذا وصل الوالي فعفا فلا عفا الله عنه]** (١).

★★★

لابد من استكمال سد الذرائع :

ظني بك أن صورة الشفاعة الدنيوية قد اتضحت أمامك بنوعيها: الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة .

لكني لخشيتي عليك ومن باب سد الذرائع أحب أن أنبه إلى أمرين:

أحدهما : أن الشفيع في الدنيا من منظور إسلامي لا يشترط فيه أن يكون صاحب سلطان ، وإنما كل ما يشترط فيه أن يكون له وجاهته .

ووجاهة الرجل في ظل الإسلام أن يكون رجلاً على حدود شريعته، يدير معها هواه حيث دارت فإن كان كذلك استحق صفة المدح التي امتاز بها الأنبياء والصالحون.

فميزة النبي أو الصالح أن يكون **(وجيها في الدنيا والآخرة)**.

والذين تحدثوا عن معنى الوجيه قالوا: إنه الرجل يمشي في حاجة أخيه عند آخر فلا يُرَد.

وأنت إذا فهمت ذلك، علمت أن الذين يفهمون الشفيع على أنه صاحب سلطان ماديٍّ أو أدبي يكونون مخطئين، لأن الشفاعة عندهم لن تكون إلا تحويل إرادة المريد ، وتراجعه عن قراره بالضغط الأدبي أو السلطان المادي ، وهذا معني لا يقبله الدين، ولا يقره .

---

(١) فتح الباري حـ١٢ ص ٨٧ . ٨٨.

وثانيهما : أن الشفاعة فى الدنيا - **نعم فى الدنيا** - يمكن أن تكون عند الله عز وجل يتيحها ربنا ويأذن بها لعبد من عباده، يقوم بين يديه فى حاجة عبد آخر.

ولهاتين الملاحظتين شواهدهما من السنة .

وأنا أورد هذه الشواهد بين يديك لأنتقل بعدها بك إلى الحديث عن الشفاعة فى الآخرة.

فى صحيح البخارى ما يؤيد الملاحظة الأولى حيث قال : **[حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبى حازم عن أبيه عن سهل قال: "مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا؟ قالوا : حرىٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يُشفع وإن قال أن يُستمع قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال : ما تقولون فى هذا؟ قالوا: حرىٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يستمع . فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا]** (١)

وعند الترمذى وابن ماجة ما يؤيد الملاحظة الثانية واللفظ للترمذى قال:
[حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا شعبة عن أبى جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك. قال: فادْعُهُ، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتُقضى لى، اللهم فشفّعه فىّ] (٢) .

---

(١) فتح البارى على صحيح البخارى ٦٧ كتاب النكاح ١٥- باب الأكفاء فى الدين ح رقم ٥٠٩١ جـ٩ ص ١٣٢.

(٢) سنن الترمذى ٤٩ كتاب الدعوات ١١٩ باب فى دعاء الضيف ح رقم ٣٥٧٨ مصطفى البابى الحلبى جـ٥ ص٥٦٩. والحديث عند ابن ماجة من نفس الطريق ٥ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٨٩ باب ماجاء فى صلاة الحاجة ح رقم ١٣٨٥.

الشفاعة فى الآخرة :

أطلنا كما أطلنا فى الحديث عن الشفاعة فى الدنيا.

ولقد كانت الإطالة هناك مقصوداً إليها قصداً.

ذلك أن صاحبى قد اتخذ من الشفاعة فى الدنيا أساساً يستند إليه فى نفيه للشفاعة فى الآخرة من منظور عقلى، ظن صاحبى أنه منظور صحيح.

والذى فهمه صاحبى من الشفاعة فى الدنيا هو أن الشفاعة فى الدنيا لاتزيد عن كونها وساطة ليس لها من هدف إلا تغيير إرادة المريد تحت تأثير مؤثر مادى أو اجتماعى.

وتلك مسألة يستقبحها الناس فى دنياهم، فلا يجوز أن نلصقها بالله عزوجل، ونُجوِّزها في عالم سيشهد إشراق الأرض بنور ربها، ووضع ميزان العدالة، ورد الحقوق لأصحابها.

هذا ما فهمه صاحبى من الشفاعة فى الدنيا، وهذه هى طريقة القياس عنده.

ولعله يضيف إلى ذلك كلاماً يستحسنه منه أناس ممن يستحسنون الأمور على غير مقياس، أو هُم ممن يستحسنون الأمور إذا ماوافقت الأمور هوىً مسبقاً.

ومن هذه الأمور التى يضيفها ويستحسنها من يستحسنونها أن يقول : إن الشفاعة فى الدنيا فى أحسن ظروفها الاجتماعية تقوم على تبصرة المشفوع عنده ببعض زوايا تتصل بموضوع الشفاعة لم تكن واضحة لديه.

وفى هذا إقرار ضمنى بأن الشفيع أكثر علماً وإحاطة، وأشمل بصراً وبصيرة من المشفوع عنده.

إلى غير ذلك من أشباه هذه الأشياء ونظائرها.

وهى أمور لو جازت فى الدنيا فإنها لاتجوز عند الله، لأنها لوجازت عند الله عزوجل لكان الشفيع هو المستحق للألوهية والحاكمية، لما توفر له من الصفات المؤهلة.

وكلام كثير هذا مثاله بل هذا مجمله.

من أجل هذا أطلت فى بيان الشفاعة فى الدنيا من منظور إسلامى، فكان ما كان من تقسيمها إلى شفاعة حسنة وأخرى سيئة، وكان ما كان من وضع الأطر والنظريات والمبادئ التى أباح الله من خلالها الشفاعة فى الدنيا.

وكان ما كان من إيضاح هذه التطبيقات للشفاعة فى الدنيا من خلال السنة.

وكان ما كان من إيضاح الهدف العام الذى من أجله حمل الإسلام أتباعه على الشفاعة ورغبهم فيها.

بعد هذا أحب أن أقول لصاحبى : رجائى منك أن تتجنب الأقيسة الفاسدة ، فإن أردت أن تقيس شيئا على شئ، يجب أن تلتزم بوحدة الموضوع فى الشيئين لابد أن يكون مشتركاً، وأن تلتزم بوحدة الهدف فى الشيئين لابد أن يكون متقارباً، وأن تلتزم بوحدة العلة فى الشيئين لا تختلف فيهما.

بعد هذا أقول إنى لست بحاجة إلى أن ألفت نظرك إلى ما وقع فيه صاحبى من خطأ القياس، فقد أصبح الأمر ظاهراً جلياً.

وإذا كان القرآن الكريم قد أكد المبادئ العامة للشفاعة فى الآخرة، ووافقنى صاحبى على هذه المبادئ القرآنية، فإنه لم يعد أمامنا إلا أن نستظل بمظلة السنة، وهى تبين لنا مبادئ القرآن فى هذا المجال من خلال أنماط قبلها تأكيدات على المبدأ.

وعلى هذا النسق سنسير إن شاء الله.

ولقد سار بعض علماء الأمة بل أكثرهم علي ما اخترنا أنْ نسير عليه هنا، فبدأ بتأكيد المبادئ، ثم كرّ عليها بذكر الأحاديث المؤكدة والقضايا المترتبة.

يقول ابن القيم : [**والشفاعة التى أثبتها الله ورسوله : هى الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحَّده. والتى نفاها الله : هى الشفاعة الشركية. التى فى قلوب المشركين. المتخذين من دون الله شفعاء . فيعامَلون بنقيض قصدهم من شفعائهم. ويفوز بها الموحدون. وتأمل قول النبى ﷺ لأبى هريرة - وقد سأله : "من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله؟" - قال : "أسعد الناس بشفاعتى : من قال لاإله إلا الله . خالصاً من قلبه"**] (١) .

ثم ذهب ابن قيم الجوزية فى استكمال قاعدته التى أرسى القرآن والسنة أصولها لوقوع الشفاعة فى الآخرة، فأكد أن الشفاعة كائنة مادامت أصول الشرك قد انقطعت.

والأصول القاطعة للشرك ثلاثة كما قال [... **فهذه ثلاثة أصول. تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها : لاشفاعة إلا بإذنه. ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله. ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده. واتباع رسوله**] (٢).

***

مرويات السنة فى الشفاعة الأخروية:

وفيما يلى من صفحات سأخلِّى بينك وبين ما ذكرته الروايات الصحيحة عن الشفاعة مرفوعاً إلى النبى ﷺ :

فى صحيح البخارى بالسند إلى أبى هريرة من طريق الزهرى [**قال : قال رسول الله ﷺ "لكل نبى دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة"**](٣).

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية جـ١ ص٣٤٠ ، ٣٤١ ط مكتبة السنة المحمدية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

(٢) السابق : الجزء والصفحة.

(٣) الفتح على صحيح البخارى كتاب التوحيد باب فى المشيئة والإرادة ح رقم ٧٤٧٤.

وفيه بالسند إلى معبد بن هلال العنزى [قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البنانى إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة. فإذا هو فى قصره فوافقناه يصلى الضحى فاستأذناه فأذن لنا وهو قاعد على فراشه. فقلنا لثابت : لا تسأله عن شئ أول من حديث الشفاعة فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس فى بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله. فيأتون موسى. فيقول لستَ لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقول: لست لها. ولكن عليكم بمحمد ﷺ . فيأتونى فأقول : أنا لها. فأستأذن على ربى فيؤذن لى. ويلهمنى محامد أحمده بها لاتحضرنى الآن. فأحمده بتلك المحامد. وأخرُّ له ساجداً. فيقال: يا محمد آرفع رأسك. وقل يُسمع لك. وسل تعط. واشفع تُشفَع. فأقول يارب أمتى أمتى ! فيقال : انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان. فأنطلق فأفعل. ثم أعود فأحمده بتلك المحامد. ثم أخر له ساجداً. فيقال يامحمد ارفع رأسك. وقل يسمع لك. وسل تعط. واشفع تشفع. فأقول يارب أمتى فيقال. انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان. فأنطلق فأفعل. ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً. فيقال يامحمد ارفع رأسك. وقل يُسمع لك. وسل تعط واشفع تشفع. فأقول يارب أمتى أمتى فيقول انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار. من النار من النار. فأنطلق فأفعل". فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار فى منزل أبى خليفة فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك. فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك. فلم نر مثل ماحدثنا فى الشفاعة. فقال: هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع. فقال: هيه. فقلنا: لم يزد لنا على هذا فقال: لقد حدثنى وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدرى أنسى أم كره أن تتكلوا. فقلنا: يا أبا سعيد فحدثناه فضحك. وقال:خُلق الإنسان عجولاً. ماذكرته إلا وأنا أريد أحدثكم حدثنى كما حدثكم به. قال: "ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك. ثم أخر

له ساجداً. فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع ، وسل تعط. واشفع تشفع. فأقول : يارب ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول: وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله](١).

وفى هذا المعنى نقل عن أبى هريرة وغيره(٢) .

وفى صحيح مسلم من طرق متعددة إلى أبى هريرة أنه نقل عن النبى ﷺ أن لكل نبى دعوة مستجابة، فدعا كل نبى دعوته فى الدنيا ، وخبأ النبى دعوته شفاعة لأمته، فهى تنال كل مسلم يوم القيامة.

وسأنقل لك من مسلم بعض ألفاظ هذه الأحاديث.

أخرج مسلم بالسند إلى [**شعبة عن محمد (وهو ابن زياد) قال : سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ "لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته فاستجيب له. وإنى أريد، إن شاء الله، أن أؤخر دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة"]**

ومن طريق أخرى لهذا الحديث في مسلم جاء فيها أن أبا هريرة [قال لكعب الأحبار : إن نبى الله ﷺ قال: "لكل نبى دعوة يدعوها. فأنا أريد، إن شاء الله، أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة"].

فقال كعب لأبى هريرة : أنت سمعت هذا من رسول الله ، ؟ قال أبوهريرة: نعم] (٣).

نص النووى وغيره على أن جملة - **إن شاء الله** - يذكرها النبى هنا للتبرك، إذ الشفاعة فى الآخرة محققة بوعد الله وهو لايخلف وعده.

---

(١) السابق نفس الكتاب باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح رقم ٧٥١٠ وله فى الصحيح أطراف.

(٢) السابق ٦/٢٦٤، ٢٦٥ فى الأنبياء باب قول الله عز وجل: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه» ومسلم فى الإيمان والترمذى صفة القيامة باب ما جاء فى الشفاعة.

(٣) مسلم: كتاب الإيمان باب «اختباء النبى دعوة الشفاعة لأمته أحاديث تحت أرقام ٣٣٤: ٣٤٠ والحديث بهذا المعنى فى مسلم عن أنس وقتادة، وجابر بن عبد الله راجع أرقام الأحاديث من ٣٤١ : ٣٤٥.

وفى سنن الترمذى بالسند إلى [عوف بن مالك الأشجعى قال: قال رسول الله ﷺ : أتانى آت من عند ربى فخيَّرنى بين أن يُدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لايشرك بالله شيئاً] (١).

وعند ابن ماجه بالسند إلى [أبى سعيد (هو الخدرى) قال: قال رسول الله ﷺ "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفَّع ولا فخر، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر"] (٢).

وفيه بالسند إلى [الطفيل بن أبى بن كعب، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة، كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر"] (٣) .

وفيه أيضا بالسند إلى [عمران بن الحصين، عن النبى ﷺ قال: "ليَخرجَن قوم من النار بشفاعتى يُسمّون الجهنميين"] (٤).

ويعيد ابن ماجة حديث التخيير للنبى ﷺ، ولكن بزيادة مفيدة لاتخفى عليك.

أخرج بالسند إلى [ابن جابر: سمعت سليم بن عامر يقول : سمعت عوف ابن مالك الأشجعى يقول: قال رسول الله ﷺ "أتدرون ما خيّرنى ربى الليلة ؟" قلنا الله ورسوله أعلم . قال "فإنه خيّرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة" قلنا يارسول الله : ادعُ الله أن يجعلنا من أهلها. قال "هى لكل مسلم"] (٥).

---

(١) سنن الترمذى – جـ٤ – كتاب صفة القيامة رقم ٣٨، باب ما جاء فى الشفاعة رقم ١٣ ح ٢٤٤١ ص٦٢٧، ٦٢٨، والحديث فى ابن ماجة رقم ٤٣١١ – كتاب الزهد – باب ذكر الشفاعة عن أبى موسى الأشعرى جـ٢.

(٢) سنن ابن ماجة جـ ٢ – كتاب الزهد – باب ذكر الشفاعة رقم ٣٧ – ح ٤٣٠٨ – ص ١٤٤٠.

(٣) السابق ح رقم ٤٣١٤ جـ٢ نفس الكتاب والباب.

(٤) السابق ح رقم ٤٣١٥ جـ٢ نفس الكتاب والباب.

(٥) ابن ماجة – كتاب الزهد ٣٧، باب ذكر الشفاعة ٣٧ – ح ٤٣١٧جـ٢ ص١٤٤٤.

وفى سنن الترمذى بالسند إلى أنس بن مالك [قال : قال رسول الله ﷺ : "شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"]

... وفى الباب عن **[جابر بن عبدالله قال :قال رسول الله: ﷺ "شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى" قال محمد بن على : فقال لى جابر : يامحمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟!]** (١).

وجاء فى ابن ماجة بالسند إلى **[عثمان بن عفان. قال: قال رسول الله ﷺ "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء"]** (٢).

وفى سنن أبى داود تحت عنوان «الشهيد يشفع».

وجاء فيه بالسند إلى **[نمران بن عتبة الذمارى قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت: أبشروا فإنى سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ "يُشَفَّع الشهيد فى سبعين من أهل بيته"]** (٣).

وفى الترمذى بالسند إلى **[أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : إن من أمتى من يشفع للفئام. (٤). ومنهم من يشفع للقبيلة (٥). ومنهم من يشفع للعَصَبة (٦). ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة]** (٧).

وفيه وعند ابن ماجة واللفظ لابن ماجة بالسند إلى [عبدالله بن أبى الجدعاء. أنه سمع النبى ﷺ يقول : "ليَدخُلَنَّ الجنة. بشفاعة رجل من أمتى. أكثر من بنى تميم" قالوا : يا رسول الله سواك؟ قال "سواى".

---

(١) سنن الترمذى – كتاب صفة القيامة ٣٨، باب ماجاء فى الشفاعة ١١ح ٢٤٣٥، ٢٤٣٦، جـ٤ ص٦٢٥.

(٢) ابن ماجة – كتاب الزهد ٣٧، باب ذكر الشفاعة ٣٧ح ٤٣١٣ جـ٢ ص١٤٤٣.

(٣) سنن أبى داود – جـ٣ كتاب الجهاد – باب فى الشهيد يشفع – ح٢٥٢٢ – ص١٥.

(٤) الفئام : الجماعة الكبيرة .

(٥) القبيلة : الجماعة من أب واحد .

(٦) العَصَبَة : قوم الرجل الذين يتعصبون له .

(٧) سنن الترمذى – كتاب صفة القيامة ٣٨ باب ماجاء فى الشفاعة ١٢ح ٢٤٤٠ جـ٤ ص٦٢٧ .

قلت : (أى عبدالله بن شقيق) أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : أنا سمعته .] (١)

وفى مسلم باب فى كتاب الإيمان بعنوان [إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار] وفيه بسنده إلى [أبى سعيد : قال : قال رسول الله ﷺ : "أما أهل النار الذين هم أهلها.فإنهم لايموتون فيها ولا يحيون. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً. أذن بالشفاعة. فجئ بهم ضبائر ضبائر . فبُثُّوا على أنهار الجنة. ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحِبَّة تكون فى حميل السيل" فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية] (٢)

وفيه بسنده إلى أبى سعيد الخدرى إلى النبى من حديث طويل فى مشاهد القيامة يحدث بها أصحابه، ويبين لهم ، ويبشرهم بشفاعة الشافعين إلى أن قال : [... وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣) فيقول الله عزوجل : شَفَعَت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون . ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط. قد عادوا حُمماً. فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة . فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل. ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر. مايكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ " فقالوا يارسول الله : كأنك كنت ترعى بالبادية. قال "فيخرجُون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم. يعرفهم أهل الجنة . هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا

---

(١) السابق الكتاب والباب ح رقم ٢٤٣٨ ، وابن ماجة حـ٢ - كتاب الزهد ٣٧ - باب ذكر الشفاعة ٣٧ح ٤٣١٦ ص١٤٤٤ .

(٢) مسلم كتاب الإيمان - باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم ٨٢ - ح٣٠٦ وللحديث فيه طريق أخرى . وقد أخرجه غير مسلم من طرق.

(٣) النساء : ٤٠.

عملوه ولا خير قدموه . ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ...»] (١).

وفى البخارى مثله عن أبى هريرة (٢).

وفى مسند أحمد بن حنبل بسنده إلى **[عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان]** (٣) .

★★★

تعقيب على هذه النصوص :

وبعد هذه النصوص التى ذكرتها بين يديك أحبُّ أن ألفت نظرك إلى أمور:

أحدها : أنى لم أستقصِ معك نصوص السنة فى هذا المجال الواردة عن النبى ﷺ.

كما أنى لم أستقص معك جميع طرقها، ولا حتى رواتها من الصحابة الذين سمعوها من النبى ﷺ مباشرة.

وكان مبررى فى الانصراف عن هذا كله، هو أنى رأيت أن أستغنى بالمثال عن الاستقراء التام الذى يتتبع كل حادثة، ويسجل كل مثال.

وما كان هذا منى إلا حرصاً بالغاً على القارئ حتى لاتصيبه الملالة، ولا تلاحقه السآمة.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة ، حيث أخبر عنه عبدالله بن مسعود فيما رواه البخارى فى كتاب العلم من جامعه الصحيح ماهذا معناه : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا .

---

(١) السابق نفس الكتاب ح رقم ٣٠٢ .

(٢) الفتح على صحيح البخارى – ك توحيد – باب ٢٤ ح ٧٤٣٧ .

(٣) أحمد بن حنبل جـ٣ – ص١٧٤ .

وهذه الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ كافية فى مجال التبرير لخبرته بالنفوس، وإلمامه بالطباع.

ومع ذلك فإنى أضيف مبرراً آخر يشفع هذا المبرر الذى ذكرت لك، وهو أنى وصاحبى أمام قضية مطروحة للنقاش، فإذا ما تأكد وتأكدت معه، أن الزاوية التى ننظر منها، وأن الجزئية التى نعالجها من هذه القضية الكلية قد اتضحت جوانبها، فإنه يجب عليه وعلىّ أن نمسك عن إطالة الكلام بذكر الأمثلة، لأننى وصاحبى بعد جلاء القضية، إما أن نكون قد اقتنعنا بما توصلنا إليه من نتائج وتم بيننا الوفاق، أو أكون أنا وهو رغم وضوح النتيجة بين أيدينا ما زال الخلاف يفرق بيننا.

فإن كانت الأولى فالأمر سهل والوفاق نعمة.

وإن كانت الأخرى فإنا لن نستفيد شيئاً بذكر الأمثلة إلا أن يزداد صاحبى تمسكاً بموقفه وأزداد أنا تمسكاً بما أدت إليه المقدمات من نتائج .

هذه مبرراتى فى عدم الاستقصاء، وهى مبررات مقبولة ومعقولة كما ترى .

وثانيها : أننى لم أشأ أن أحكم على هذه النصوص واحداً واحداً ، لأن كثيراً منها وارد فى الصحاح ، والذي لم يرد فى الصحاح يكون له أصل فى الصحاح يعود إليه ، وللجميع أصله في القرآن على نحو ماقدمت لك .

وثالثها : أن علماء المسلمين المشغولين منهم بالحديث وعلومه ، أو حتى هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بعلوم أخرى، قد حكموا على الأحاديث الواردة في الشفاعة ، بأنها أحاديث متواترة .

والتواتر فى نقل الأخبار معروف وهو : - **أن ينقل الخبر فى كل طبقة أو جيل جماعة يأمن العقل تواطؤهم على الكذب، وأن يتوفر ذلك فى كل طبقة من أول السند إلى آخره -.**

وأحاديث الشفاعة نقلها عدد كبير من الصحابة إلى أكثر منهم من التابعين، إلى من هم أوسع دائرة من تابعيهم، بحيث لايتأتى أن يقال مع هذا النقل إن هذه الأحاديث مزيفة، أو مدسوسة ، أو إسرائيلية .

ودعك الآن من المتخصصين فى السُنَّة، فإنى لا أعلم منهم واحداً شذ عن الإجماع ، وشكك فى تواتر أحاديث الشفاعة.

وسوف أنقل الآن بين يديك حديث رجل من علماء الأمة، له باعه فى الدفاع عن الإسلام، ورد الشبه في وجه المنكرين الذين أرادوا أن يغيروا فى وجه الإسلام .

وهذا الذى أنقل عنه هو : - القاضى أبو بكر محمد بن الطيب البلاقلانى - حيث قال في كتابه - (التمهيد) - :

[وما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملة ماورد من الأخبار الثانية المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول ﷺ، وآله وسلم، فى أهل الكبائر نحو قوله عليه السلام : "ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى" (١) وقد روى خبر الشفاعة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عدة منهم أنس بن مالك وجابر بن عبدالله.

ورواه حذيفة عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه. عن النبى ﷺ .

وروى معبد بن هلال وثابت البنانى ذلك فى خبر طويل عن أنس بن مالك ، ورواه أيضا أبى سعيد الخذرى عن النبى ﷺ .

والأخبار فى الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها، وهى كلها متواترة متوافية على خروج الموحدين من النار بشفاعة الرسول ﷺ، وإن اختلفت ألفاظها. ففى بعضها أنهم يخرجون بعد ما امتحشوا فيها وصاروا فحماً. وفى خبر أنهم يخرجون منها ضبائر ضبائر فيلقون في نهر

---

(١) حديث سبق ذكره .

الحياة فينبتون كما تنبت الطراثيث والحبة في حميل السيل . وأنهم يدخلون الجنة مكتوباً على جباههم "الجهنميون" وفي خبر آخر "عتقاء الله من النار" - وأن آخر من يخرج من النار رجل يقول : "ياحنان يامنان" .

وقد أطبق سلف الأمة على تسليم هذه الرواية وصحتها مع ظهورها وانتشارها والعلم بأنها مروية في الصحابة والتابعين. ولو كانت ما لم تقم الحجة بها، لطعن طاعن فيها بدفع العقل والسمع لها على مايقوله المعتزلة، ولكانت الصحابة أعلم بذلك وأشد تسرعاً إلى إنكارها. ولو كانوا قد فعلوا ذلك أو بعضهم لظهر ذلك وانتشر، ولتوفرت الدواعي على إذاعته وإبدائه، حتى يُنْقَل نقل مثله ويحل العلم به محل العلم بخبر الشفاعة، لأن هذه العادة ثابتة في الأخبار. وفي العلم بفساد ذلك دليل على ثبوت خبر الشفاعة وبطلان قول المعتزلة إن الغفران باطل بالعقل وموجب لتكذيب السمع وغير ذلك مما يدعونه]. (١)

لقد رأيت أن لا أنقل لك الحكم من كتب أهل السنة، فأنا أعلم طبع صاحبي والذين معه وانطباعهم عن أهل الفن.

وإني لم أنصرف عن أهل السنة ازوراراً عنهم أو زهداً فيهم وفي علمهم، وإنما فعلت مافعلت لما حدثتك عنه .

وشئت أن أنقل لك النص من كلام رجل من رجال علم الكلام، وهم رجال قد لايرتاح إليهم بعض المحدثين ارتياحاً كاملاً، فرأيت أني لو نقلت عن أحدهم أكون قد بلغت بك وبصاحبي ما أريد من تهدئة الخواطر، وإراحة المشاعر عملا على تضييق هوة الخلاف .

فهل بلغت بك وبصاحبي ما أردت بلوغه ؟

لله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - للباقلاني - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ط. مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - ص ٤١٥ : ٤١٩ .

الشفاعة
الظاهر والحقيقة

وماذا بعد إنكار الشفاعة

إلى هنا و أعتقد أن الحديث مع صاحبى قد انتهى.

لقد اعتقدنا شيئاً وأردنا تِبْيَانه،، واعتقد صاحبى شيئاً وأراد إبرازه للناس .

ثم شئت أن ألتقى بصاحبى على بساط الحوار الهادئ الذى انتهى بينى وبينه الآن.

وكان المفروض أن يصافحنى وأصافحه على وفاق أو على غير وفاق، وينتهى كل شئ ويبقى الود مابقى الحوار.

غير أنى بعد أن أنهيت الحديث مع صاحبى وجدت وكأنى مشدود البصيرة إلى أفق بعيد، تحركنى صور أحداث الماضي من تاريخ الرجل الذى حمل قلمه الوطنى والدينى مسئوليات عدة، وترغبنى فى الحركة والاستمرار أحداث تطفو من حين لآخر على سطح حركة المجتمع، تتخذ من الدين رداءً تستتر به عقائد وأفكار ليست من الدين فى شئ، وهى تريد أن تنحى الدين، وأن تحل محله فى المجتمع تحكمه وتحركه .

والذين يلبسون هذه الأردية، ويتسربلون بما يتسربلون به، يخفون عقائدهم وآراء هم، يظهرون فى كل وقت وينسجون حول كل عظيم رحل إلى الدار الآخرة، أو يعتزم الرحيل إليها.

وهذا النمط من الناس يخضع إلى دورات ظهور ودورات كمون، وهم الآن فى دورة الظهور الواضح لايكبح ظهورهم علم عالم، بل إنهم قد يجدون من العلماء من يجاملونهم ، ولاهم يرتدعون من داخلهم متأثرين بخجل ذاتى، أو مراقبة لعلام الغيوب .

وإنا لنهيب بأهل السلطان أن يدافعوا عن ثوابت الأمة، التى يعد الدفاع عنها واجباً وطنياً، وأن يضربوا على أيد المخالفين لهذه الثوابت ، إذ المخالف لهذه الثوابت اعتقاداً ودعوة يعد فى عرف المجتمعات الحديثة والقديمة مرتكبا للخيانة العظمى التى يتجاوز بها كل حدود.

رأيتنى مشدوداً إلى آفاق بعيدة يدفعنى إليها ما أعرف من تاريخ الرجل، وما أرى من حالات ظهور خطرة لأناس يتحركون داخل مجتمعهم، لايريدون بهذا المجتمع خيراً، ولا يكنون لأفراده وثوابته احتراماً.

فقلت فى نفسى : هل يمكن أن يكون مثل هذا الرجل العظيم قد اتخذه هؤلاء هدفاً يدخلون من بوابة عظمته إلى عقول مريديه ؟.

وأنا حين طرحت هذا السؤال على نفسى وأنا أنظر إلى الأفق البعيد، جذبنى إلي الرجل عاطفة مودة من طرف واحد كإنسان قرأ للرجل واستمع له، ورأى أتباعه على الساحة و مريديه.

وبدافع من هذه العاطفة عاطفة المودة، قلت لنفسى : وما الذى يمنعك أن تتأمل حركة القوم الذين قدر لهم أن يكونوا اليوم فى حالة من حالات الظهور الواضح، مركزاً على تلك الغدد التى تفرز هذه الخيوط، وعلى هذه الحركة التى تهدف إلى نسج هذه الخيوط ، وعلى الشخصيات المراد نسج الخيوط حولهم ؟

فعلت هذا رغبة منى فى أنه لو قدر لى أن رأيت صاحبى ضمن قائمةٍ من البشر، يريد القوم أن ينسجوا حولهم شباكهم، فلا مانع أن أصرخ فى الفضاء ليسمعنى، وأن أرفع يدى وأنا على الشاطئ ليرانى، فإن استنفرنى إليه أجبته، وإن طلب إلىّ أن أصحبه فى رحلته الشاقة صحبته، ولا مطلب لى عنده إلا أن نأتى يوم القيامة فإذا مانادى مناد من قبل الله : أين المتحابون فى الله؟ خرجت معه وهو يقول لربه : هذا هتف بى فاغفر له، وأنا أقول لربى : هذا حمل مشاعر الأمة وعقولها لكى تلتف حول دينك فاغفر له. وربنا يقول : شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع العلماء، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ادخلوا الجنة فما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وأمنتم ؟

نبوءة شاءالله أن تتحقق:

هذا وبينما أن غارق فى آمالى وأحلامى وتأملاتى، إذ أنا أستيقظ على وخذ نبوءة، فَصلَ بينى وبينها الأيام والليالى والشهور والسنون، فالتفت إلى هذه النبوءة أتاملها حين صدرت عن صاحبها، ثم أتأمل التاريخ بعد ذلك، أعدو فى جنباته عدواً بحثاً عن هذه النبوءة لأرى هل تحققت أو كانت أضغاث أحلام.

وإذا كانت النبوءة قد تحققت، فلماذا لم يستفد المسلمون من هذه النبوءة التى تعد فى الحقيقة بمثابة الإنذار المبكر؟.

وإذا كانت هذه النبوءة لم تتحقق بعد، فما الذى دفع صاحبها أن يتحدث بها وهو عملاق الإسلام الأول بعد النبى والصديق؟

أخذت نفسى بتلابيى لتقول لى مالكِ ؟! ماتستيقظ من تأمل إلا وتغرق فى آخر؟! ثم أنت ألم يأنِ لك أن تعيش دنيا الناس وواقع المجتمع؟

قلت لنفسى : الحق معك.

واستيقظت من أحلامى، أو من تأملاتى (**سمِّها كما تشاء**) ومسحت وجهى براحتى أنشط الدورة الدموية فيه، وأنا أعتزم أن أتامل هذه النبوءة ساعة ظهورها ، وأتأملها فى التاريخ.

النبوءة على لسان عمر :

وعدت إلى النبوءة ساعة ظهورها على لسان عمر . وكأنى أنظر إلى عمر على المنبر يتحدث والناس يسمعون، وهو يحذرهم من زمان سيأتى فيه أناس ينكرون الرجم فى حد الزنا، ويكذبون بخبر الدجال فى آخر الزمان، ويسخرون من عذاب القبر فى البرزخ، أو نعيمه حيث أكلت الأرض الأجساد، ويعتبرون أمر الشفاعة فى الآخرة من المهازل التى تحول صرامة الانتقاء فى الآخرة بواسطة غربال ضيق الخروق إلى عبثية لامعنى لها فى نفس الوقت التى أهدرت فيه قانون ارتباط المسببات بأسبابها.

كـأنـى أنظر إلى عـمـر على المنبـر يرسل بصـره إلى الأمـام، لايريد أن يقطع به مسـاحـات فى الطبيـعة فـحسب، ولكنه يريد أن يرسله عبر التـاريخ القادم إلى زمان أشراط الساعة.

والنبـوءة بـتـمامـها أخرجها الإمام أحمد فى مسنده قال :[حدثنا عبدالـله حـدثنى أبــى حــدثـنا هـشـيـم أنبـأنا على بن زيد عــن يوسـف بن مـهــران عــن ابن عبـاس قـال خـطب عـمربن الخطاب ﷺ وقـال هـشيم مـرة خطبنا فـحـمـد اللـه تعـالى وأثنى عليـه فذكـر الرجـم فـقـال لاتُخـدعنَّ عـنه فـإنه حـد من حـدود اللـه تعالى ألا إن رسـول اللـه ﷺ قد رجـم ورجـمـنـا بعده ولـولا أن يقـول قـائلون زاد عمـر فـى كـتاب اللـه عزوجـل ماليس منه لكتبته فى ناحية من المصحف شهد عـمر بن الخطاب ﷺ وقال هـشيم مـرة وعبـد الرحمن بن عـوف وفـلان وفـلان أن رسـول الله ﷺ قـد رجـم ورجـمنا من بعـده ألا وإنه سيكون من بعـدكم قـوم يكـذبـون بالرجـم وبالـدجال وبالشفـاعة وبعذاب القبر وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا][١] .

هـذا مـا قـالـه عمر بن الخطاب فى نبوءة أطلقها من على منبر رسـول الله ﷺ والنـاس حـوله يسمعون، وصحابة رسول الله ﷺ باقون معه يقرونه على مايقـول ، لايعـترض عليـه منهم أحد ، وهـم الذين كانوا يعارضونه فى أقل الأشياء لو شعروا، أو توهموا منه مخالفة، إذ هم الذين عارضوه فى ثوب سابغٍ غطى كل جسمه من أثواب جاء ت إلى المدينة فى ملْكٍ عام للمسلمين ولم يكن فيها ثوب يغطى جسم عمر العملاق ، فسأله سائلهم معترضاً أو مستفهماً : من أين لك ياخليفة خليفة رسول الله بهذا الثوب السابغ؟ وعمر لم يضق بهذا الاستفسار، وإنما أشار إلى ولده عبد الله أن قم فحدثهم، فقام عبدالله على غير ترتيب سابق وقال : إن حظى من المال العام الذى ورد إلى المدينة آنفاً قميصيٌ تملكته، وكان حظ أبى منه مثلَ ذلك، فرأيت أن قميص أبى لم يستر جميع جسمه، فوهبته قميصى فوصله به وهما عليه الآن كما ترون.

(١) مسند الإمام أحمد - جـ١ ص ٢٣ .

وجماعة هذا شأنها فى أقل الأشياء قيمة، أتراهم يسكتون على عمر وهو يتنبأ بأمور تمس أخص خصوصيات دينهم لوكان مخطئاً ؟!

ولقد تنبأ عمر والناس منصتون ما يعترض منهم معترض، وما يعقب منهم معقب .

ولما كان الأمر كما رأينا وقع فى خاطرى وخاطر كل باحث أن هذه النبوءة لم تعد نبوءة عمر وحده، وإنما أصبحت نبوءةٌ مُجمعاً عليها .

نبوءة بين القصور والكمال :

والذى يتأمل التاريخ يجد أن هذه النبوءة قد تحققت بكل ماتحتويه من إشارات .

فهناك من أنكر - **عذاب القبر** - وأجهد نفسه فى إيجاد تبريرات تبرر له.

وهناك من أنكر – **فتنة المسيح الدجال** – بل أنكر وجوده بالكلية، ويرد الأحاديث المتعلقة به .

وهناك من أنكر - **الرجم** - حداً من حدود الزنا معتبراً إياه أنه بقايا من مأثورات اليهود التى تسللت إلينا .

وهناك من أنكر - **الشفاعة** - و - **خروج أهل النار من النار بعد أن يدخلوها** - محتجاً لذلك بما قصصنا عليك .

وإن هذا كله لجميل يأخذ بالألباب ، أن يتنبأ عمر ، وأن تتحقق نبوءته فى التاريخ والناس .

لكنى أحب أن أنبهك هنا إلى أن نبوءة عمر لم تأت من فراغ، وإنما هى مستندةٌ إلى نبوءة أخرى أوسع وأشمل، فنبه عمر إلى بعض زوايا هذه النبوءة العامة، بل قل نبه عمر إلى بعض الوسائل التى تنتهى بأصحابها إلى هذه النبوءة العامة .

ترى لمن ستكون هذه النبوءة العامة، وعلى لسان من جاءت؟

معجزة الإخبار عن الغيب أو النبوءة الأشمل :

لقد كانت نبوءة عمر على جلالتها وخطرها جزء نبوءة عامة نسميها نحن معجزة الإخبار عن الغيب .

والغيب سر مجهول لايعلمه إلا علام الغيوب، وهو ملكية خاصة لله عزوجل، إذ يصلح أن أقول : (إن الاطلاع على الغيب لله جميعاً) كما يصلح أن أقول : (إن العزة لله جميعاً) أو أقول : (أن القوة لله جميعاً) أو أقول : [- لله الشفاعة جميعاً].... إلخ وهذه الأشياء جميعا وغيرها مملوكة لله وحده، ولا تكون الملكية لله وحده تامة إلا إذا كان قادراً على أن ينقل الانتفاع بها إلى غيره على شروطه هو المتمثلة فى الإذن والرضا .

ونحن لسنا بصدد مناقشة هذه الجزئية وهى لاتحتاج منا إلى ذلك لوضوحها بنفسها، وإنما نحن قد أشرنا إلى ما أشرنا إليه منها لنتوسل به إلي القول: بأن الله مع اختصاصه بعلم الغيب قد مكّن البعض برضاه وإذنه من أن يطلع على بعض جوانبه .

فهو القائل فيما يشبه القاعدة العامة : ﴿عالمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه أحَداً (٢٦) إلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ من رَّسُولٍ فَإنَّهُ يَسْلُكُ من بيْنِ يَدَيْه ومنْ خَلْفه رَصَداً ﴾ (١).

وهو القائل فى يوسف خاصة حكاية عن قوله لصاحبيه فى السجن: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَان قَالَ أحَدُهُما إنِي أرَاني أعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إنِي أرَاني أحْمِلُ فَوْقَ رأْسي خُبْزاً تَأكُلُ الطَّيْرُ منْهُ نَبِّئْنَا بتَأْويله إنَّا نَرَاكَ من الْمُحْسنينَ (٣٦) قَالَ لا يَأْتيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانه إلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بتأْويله قَبْلَ أن يَأْتيكُمَا ذَلكُمَا ممَّا عَلَّمَني رَبِّي ﴾ (٢).

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) يوسف : ٣٦ ، ٣٧ .

وفى شأن عيسى عليه السلام قال : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

وإذا كان الله عز وجل قد اختص بعلم الغيب ملكية مطلقة له.

وإذا كان الله هو القادر وحده على أن يمكن بعض البشر من الاطلاع على بعض جوانب الغيب كما قال.

إذا كان ذلك كذلك **(وهو كذلك)** فإن الله عز وجل قد مكن نبيه من الاطلاع على بعض جوانب الغيب المتصل بما نحن فيه الآن، فأخبر على ملإ من صحبه، وأذاعه وسط رجال التفوا حوله يسمعون وينقلون، وهو يحسبهم على السماع والنقل، فقال لهم ما إجماله : إنه سيأتى بعدى أناس ترى الواحد منهم شبعاناً ثرياً متكئاً على أريكته **(وهو رمز الغنى والبطالة معاً)** يأتيه الحديث مرفوعاً إلىّ مشتملاً على بعض الأحكام، فيقول وهو متكئ **(رمز العظمة والاعتداد والرفض)** ما جاء فى القرآن اتبعناه ، وما جاء فى غير القرآن رفضناه .

ثم يضيف : ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه، ألا إن رسول الله يحرم كما حرم الله، بناءً على هذا الوحى الذى أعطاه الله مضافاً إلى القرآن، ثم يضرب بعض الأمثلة لما أحل وحرم، فالحمر الأهلية لا تؤكل، كما لا يُؤكل كل ذى ناب من السباع، والحمر الوحشية لابأس بها فهى طعام طيب حلال أكله.

---

(١) آل عمران : ٤٨ ، ٤٩ .

وفى مواطن كثيرة من الشريعة تجد هذا النوع من التحريم والتحليل، إذ يكون من قبيل الحرام فى شريعة هذه الأمة بنص السنة أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها أو خالتها فى عصمته فى وقت واحد، بصرف النظر عن السابق والمسبوق إلا أن نقول : عند وقوع العقدين : إن أولهما صحيح، وثانيهما فاسد .

وفى السنة كذلك لا وصية لوارث .

إلى غير ذلك مما نعرفه وتعرفه .

أطلع الله نبيه على أن أناساً شأنهم الشبَعُ بغير عمل، والحديث عن المقدسات بغير هيبة سيردون سنة رسول الله، بحجة أن النبى ماجاءه إلا القرآن .

وما كان النبى منزعجاً ولا مأخوذاً مادام القوم هذه صفاتهم، لكنه فى كل حال قد أخبر أمته معجزة له، وتنبيهاً لهم .

وهذه المعانى قد نقلها إلينا جهابذة رجال السنة عن كبار رجال الصحابة .

والحديث قد رواه عن النبىﷺ من صحابته كثيرون : منهم : أبو هريرة، والمقدام بن معد يكرب، وعبيد الله بن أبى رافع عن أبيه واسمه أسلم مولى رسول الله ﷺ

وقد أخرج هذه المعانى عن أولئك الأصحاب بأسانيد صحيحة وحسنة كثير من أصحاب السنن ورواة السنة، من أمثال : أحمد بن حنبل، وابن ماجة، وأبى داود، والترمذى (أبى عيسى)، والدارمى.

أخرج أبو داود وابن ماجة والترمذى واللفظ له بالسند إلى [عبيد الله بن أبى رافع عبد أبى رافع، وغيره رفعه قال: "لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول : لا أدرى، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه".

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح] .

وفى روايتى أبى داود وابن ماجة عن [عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن النبى ﷺ قال : ....] ثم ساقا الحديث [١] .

وفى مسند الإمام أحمد بسنده إلى [المقدام بن معد يكرب الكندى قال قال رسول الله ﷺ ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه لايوشك رجل ينثنى شبعاناً على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع ألا ولا لُقَطَة من مال معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم] .

وله من طريق أخرى بسنده إلى [الحسن بن جابر قال : سمعت المقدام بن معدى كرب يقول : حرم رسول الله ﷺ) يوم خيبر أشياء ثم قال : يوشك أحدكم .....] [٢].

والحديث عن المقدام فى سنن ابن ماجة مختصراً [٣] .

والحديث بطوله عند أبى داود [٤].

---

(١) الترمذى – ك العلم ٤٢ – باب ٩ مانهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ ح ٢٦٦٣ .

وأبى داود – ك السنة – باب (فى لزوم السنة) جـ٢ ط مصطفى البابى الحلبى – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – ص٥٥٢ .

وابن ماجة – جـ١ – مقدمة – باب ٢ (تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه ح رقم ١٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل جـ٤ – ص١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) ابن ماجة – جـ١ مقدمة – باب (٢) (تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه) ح١٢ .

(٤) أبى داود – ك السنة – باب (فى لزوم السنة) جـ٢ – ص٥٥٢.

وقد أخرجه الترمذى بألفاظ قريبة مما ذكر [١].

ولقد أخرج أحمد بن حنبل الحديث عن أبى هريرة مع اختصار وإضافة [٢].

هذه هى روايات الحديث جمعناها بين يديك وكلها تؤكد هذه النبوءة النبوية، أو قل هذه المعجزه النبوية.

فما هى هذه المعجزة؟

أخبر النبىﷺ أن أناساً سيأتون بعده ينكرون سنته، وصفاتهم أنهم مغمورون فى الترف ، مشبوبون بالكبرياء والعظمة على نبيهم ودينهم وربهم ، يردون الأمر والنهى على الآمر والناهى.

هذا ما أخبر به النبى ﷺ فى زمانه، وسمعه أصحابه منه لايكاد يصدقه خيالهم لولا أن المتحدث به معصوم.

أما نحن فقد شهدناه واقعاً ملموساً يعبر عن فتنة جارفة لامنجى منها إلا أن يعتصم المرء بخالقه .

بين نبوءة عمر ومعجزة النبى :

وأنت إذا ماتأملت نبوءة عمر ومعجزة النبى فى الإخبار عن الغيب ، ظهر أمامك بغاية من الجلاء هذا الارتباط الأكيد بينهما.

وبعد ظهور هذا الارتباط أمام عينيك ، يمكنك أن تعتبر ماذكره عمر من باب الوسيلة إلى هدف ، والهدف هو : ما أخبر به النبى معجزة له .

---

(١) الترمذى – ك العلم ٤٢ – باب (١٠) مانهى عنه أن يقال عند حديث النبى ﷺ ح ٢٦٦٤ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل جـ٢ – ص٣٦٧ .

وبسط ذلك فى شئ من اليُسر أن نقول : إن الأقوام الذين أخبر النبى ﷺ عنهم بصفاتهم التى تجمع الترف والتطفل ، والكبرياء وعدم الانتماء هدفهم كما أخبر النبى : تنحية سنة النبى عن مجال التشريع ، والتشكيك فيها بقدر المستطاع ، والتقليل من قيمة صاحبها بقصد إرضاء أهوائهم التى لايرضيها إلا تنحية التشريع الإسلامي كله من الساحة على نحو ما قال ربنا ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (١)

وإشارة الآية واضحة إذ هى تشير إلى اليهود خاصة، والذين يميلون إليهم لا يخلى الله عزوجل منهم أقطار المسلمين فى كل زمان .

إن الهدف العام الذى أخبر النبى عنه إذاً ، والذى يتمسك هؤلاء الأقوام بأهدابه هو تنحية سنة النبى عن ساحة التشريع فى المجتمعات الإسلامية.

وقد أثبتت التجربة العملية من خلال كتابات القوم ومحاولاتهم أن تنحية سنة النبى هدف للقوم ووسيلة إلى هدف هو تنحية آ يات القرآن المدنية، فإذا لم يبق من مصادر التشريع إلا عموميات القرآن المكي ملأوا الساحة بإفرازات عقولهم علي أى مستوى كانت هذه الإفرازات، ثم يسمون هذا كله تشريعاً جديداً يمهرونه بخاتم الإسلام، ظانين أنهم سيخدعون العقول الإسلامية بفعلهم هذا.

وهؤلاء هم وأمثالهم من قال الله فيهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢). أو هم من قال الله فيهم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

---

(١) البقرة : ١٠٩ .
(٢) التوبة: ٣٣.
(٣) الصف: ٨.

هذا هو هدفهم العام، وهو ما أخبر عنه النبي ﷺ فى معجزته، وهو هدفٌ بداية عناصره محاولة تنحية السنة عن الساحة التشريعية، ثم تتلوه بقية العناصر واحداً بعد واحد.

والقوم يتبلغون إلي هذا الهدف بوسائل هى ما أشار إليه عمر فى نبوءته: **إنكار عذاب القبر، والسخرية من الأحاديث والآثار الواردة فيه.**

إنكار فتنة المسيح الدجال، وازدراء الآثار المخبرة به.

إنكار حد الرجم فى الزنا، وادعاء أنه من مخلفات اليهود فينا. في نفس الوقت الذي يتغامزون فيما بينهم سخرية بما فعله النبي والصحابة من بعده.

إنكار الشفاعة فى الآخرة، والنظر إلي الآثار الواردة فيها نظرة الاستهتار والازدراء.

ثم يجمعون هذه الآثار كلها في سلة واحدة، ويحاولون أن ينبذوها خلف ظهورهم، راغبين أن يتبعوا بدلاً منها ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان.

نعم الشياطين ولو كانت هذه المرة شياطين الإنس.

التقت النبوءة بالمعجزة، واتحداد معاً فى شرح فكرة واحدة اتحاد الفرع بالأصل، والتقاء الفصيل بالأم، وهما يأتلفان بحنين يشبه حنين الطفل إلي ظئره، فأوضحا معاً باتحادهما فكرة لم ينقصها إلا تطبيقات على أرض الواقع وقد حدث.

المعجزة تقع والنبوءة تتحقق:

وإني إذ أصل بك إلي هذا الحد، أجد عندي رغبة فى أن أفصِّل لك القول تفصيلاً من خلال ما أقصه عليك من جماعات تحققت فيهم النبوءة وصدقت فيهم المعجزة، رغبة في أن أطلعك على جنبات القضية وتابعيها عبر التاريخ.

غير أني أستشعر خوفاً عليك من الملل من ناحية وأستقبح الحديث حول موضوع شانئه يبعث الحديث فيه على الغثيان من ناحية أخرى، فأتردد بين

إقدام وإحجام، وبين تفصيل واختصار، وبين إطناب وإيجاز، حتي وقعت علي نص للإمام السيوطي رجح عندى أن أختصر لك القول اختصاراً، وأن أقتضب الحديث بين يديك اقتضاباً، يغنيك في إقناع عقلك، وينحي عنك السآمة والملل.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تحديد المسار معك.

أما العبارة التى قالها السيوطي وهو يفتتح الحديث عن حجية السنة، ويجمع الآراء الشاذة في رفض الاحتجاج بها، وهي العبارة التي رجحت مسارى معك، فهي التى سأذكرها الآن بين يديك علي نحوها.

قال السيوطى:[**اعلموا - رحمكم الله - أن من العلم كهيئة الدواء !! ومن الآراء كهيئة الخلاء لا تذكر إلا عند داعية الضرورة !! وإن مما فاح ريحه فى هذا الزمان - وكان دارساً - بحمد الله - منذ أزمان رأياً رافضياً زنديقيًّا!! وهو أن قائلاً كثر في كلامه أن السنة النبوية، والأحاديث المروية - زادها الله علواً وشرفاً - لا يحتج بها! وأن الحجة في القرآن خاصة.**

١- وأورد علي ذلك حديثاً:

"ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتم له أصلاً فخذوا به، وإلا فردوه".

هكذا سمعت هذا الكلام بجملته (**منه**) وسمعه خلائق غيري!! فمنهم من لا يلقي لذلك بالاً!! ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام، ولا من أين جاء؟ (**فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك وأبين بطلانه وأنه من أعظم المهالك**) فاعلموا رحمكم الله ...... أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصاري، أو مع من شاء من فرق الكفرة] [(١)].

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للإمام السيوطى ضبط وتعليق الأستاذ: خالد عبد الفتاح شبل. مجلة الأزهر ملحق - المحرم ١٤٢٠ هـ ص٧-٨.

هذا ما ذكره السيوطى.

ولا أريد الآن أن أشغلك بتقييم هذا الاتجاه، لأنى سوف أنشغل معك بتبيان الوسائل التى اصطنعها القوم للوصول إلي هذا الهدف، وأشارت إليها نبوءة عمر بن الخطاب.

ولكني سأستأذنك فى أمرين:

أحدهما: أني لن أطيل الحديث معك حول كل وسيلة من هذه الوسائل التي تبلغ بها القوم إلي هدفهم، إذ يكفيني ويكفيك أن أشير وأذكر نصاً واحداً واضح الدلالة، لكي يشرح هذه الجزئية أو تلك وأكتفي به.

وثانيهما: أني لن أشقيك بتتبع هذا الاتجاه عبر التاريخ، وإنما سأكتفى فقط بالتركيز علي الظهور الأخير من دوراته.

والظهور الأخير فى جماعة قد سموا أنفسهم بـ (**القرآنيين**)، وهو اسم كما تري قد اتخذوه ليكون مظلة إسلامية يستظل تحتها أناس، رفعوا شعاراً مزدوجاً "**احترام النبي شرك، وسننه من عمل الشيطان**".

وأنت خبير ولا شك أن هناك نوعاً من الفلسفة الاجتماعية ابتكرها ماركس، وروَّج لها من بعده كثيرون.

وهذه الفلسفة الاجتماعية قد شغلت الدنيا فترة من الزمن، ثم اقتلعها من غرسوها.

وكان دعاة هذا المذهب الاجتماعي يتميزون بالصوت العالي، واتهام الأشراف بما ليس فيهم، وترتيب الملفات التي تحتوى علي تهم ما تخطر لك على بال، واختيار الألفاظ المقذعة التي تدل على بهتان كاذب، يبهتون بها كل إنسان يحرص علي كرامته وشرفه، وسمعته وعرضه.

وهؤلاء الذين كانت وظيفتهم الدعاية لهذا المنهج الاجتماعى، قد وجدوا أنفسهم فى فراغ قاتل بعد أن توارى هذا المذهب، وخرَّ سقفه على مبادئه، ولم يعد هناك أمل في استعادة فاعليته.

وجد الدعاة لهذا المذهب أنفسهم في فراغ.

ووجد أصحاب المذاهب الأخرى أنفسهم في احتياج إلى لون جديد من الكرازة إلي مذاهبهم بأسلوب يمتاز بخواص هذا الأسلوب، الذي اصطنعه دعاة المذهب الشيوعى من قبل.

والتقت رغبة أصحاب هذه المذاهب مع شعور دعاة المذهب الاشتراكي القديم بالفراغ القاتل، فعرض دعاة المذهب الاشتراكى أنفسهم على أصحاب المذاهب الكائنة على الساحة، ليعملوا عندهم دعاة، وفحص أرباب المذاهب المسألة بعناية فوجدوا أن الأمر لا خطر فيه، إذ إن هؤلاء الذين كانوا يعملون دعاة للشيوعية من قبل قد أصبحوا فى المذاهب المختلفة كالطواشيين وسط النساء لا خطر منهم في الحال ولا فى الاستقبال.

وتمت الصفقة بين هؤلاء وهؤلاء علي رغبة الطرفين لا يعارض منهما أحد أحداً.

وكان للقرآنيين من هؤلاء الدعاة نصيب الأسد في هذا الزمان من هؤلاء الدعاة الذين كانوا يدعون للشيوعية من قبل، بصفاتهم وخواصهم لم يتَغير منها شيء.

وهم الآن الذين يمثلون هذا الاتجاه علي الساحة، ومن عارضهم ينالونه بالأذى، ويواجهونه بالبهتان، ويرفعون عليه الصوت، ويهيجون عليه العامة والدهماء.

فإن بلغ بهم هذا الأسلوب ما أرادوه استراحوا إلي ما بلغوه، وإذا لم يبلغ بهم هذا الأسلوب ما كانوا يقدرون أن يبلغوه، رأيتهم يكيدون للإسلام وأهله، ورأيتهم يمكرون، ويحتالون غير عابئين بما قال ربنا: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (١).

وكيد القرآنيين ومكرهم في هذا الزمان جاء وفقاً لنبوءة عمر لا يكاد

---

(١) الأنفال: ٣٠.

يفارقها ولا قلامة ظفر.

ومن هنا قد رأينا القوم وقد وزعوا الأدوار واقتسموا العمل، فمنهم من تخصص فى إنكار الشفاعة وحدها، ومنهم من كان حديثه عن عذاب القبر والسخرية منه، ومنهم من اهتم بفتنة الدجال، ومنهم من سخر من التشريع كله أو بعضه خاصة حد الرجم فى الزنا.

يرحم الله عمر ورضي عنه .

ويبلغ الله بصلاتنا وسلامنا إلي نبيه ﷺ

هذا وإني قد رجوتك فى هذين الأمرين، والظن بك أنك لن ترد رجائي فيك.

نماذج من إنكار السنة:

ومبلغ علمي أنك الآن قد تشوقت إلى أن تقف علي نماذج مما كتبه هؤلاء القرآنيون، تتصل ببعض القضايا الجزئية، يهدفون من ورائها إلى إنكار السنة.

وأنا لن أحول بينك وبين شهوة اشتهيتها، أو رغبة رجوت أن نشبعها عندك وها نحن فاعلون.

أ - إنكار الرجم:

فى بعض مؤلفات القوم هذا القول - بعد كلام طويل هو بالسفسطة أشبه والذي أجتزىء لك بعضه:

[..."لكن جنود السلطان شاؤوا أن يجعلوا الرجم لكونه من أشنع أنواع القتل كلها وحتى من القتل بالسيف أو السم عقوبة الزاني والزانية فى شرع الإسلام الجديد تحريفاً.]

ثم يقول بعد كلام طويل هو من قبيل الحشو الذي يبعث على الملل، وبعد أن ذكر رواية البخاري التي يحذر فيها عمر من إنكار الرجم آخر الزمان .

[... يحاول الراوى[1] ذو الأغراض الخسيسة أن يشكك المسلم بدينه وبقرآنه الكريم الذى قال الله عنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وأن الله سبحانه وتعالى، لم يحفظ القرآن كما وعد، ومن ثم يقول على لسان عمر ابن الخطاب : **(إن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن)**.

يحاول أن يجعل موضوع الرجم حقيقة واقعة في الإسلام وعلى لسان عمر بن الخطاب ﷺ، وهذا محض افتراء على الدين الإسلامى الذى لا يحوي موضوع الرجم إطلاقاً وإنما كان الرجم لأهل الكتاب وفى التوراة فقط].

ثم ذهب إلي الروايات التى تؤكد من خلال السنة العملية أن النبى رجم ماعزًا والغامدية في قصتين منفصلتين، يشكك فيهما ويتندر بهما بأسلوب صبيانى إلى أن قال: **[... كل هذا الإلحاح من جنود السلطان لأنهم يريدون أن يجعلوا الرجم ديناً وسنة في الإسلام، كما كان لأهل الكتاب من قبلنا]**.

ثم ينتهى إلى القول: **[... وقصص الرجم كثيرة فى التوراة لأن الرجم كانت (كذا) سنة متبعة في دينهم الحدِّى الذىَّ شرحته سابقاً]**.

وهدف الكاتب لم يعد خافياً حيث نصَّ عليه بوضوح لا غموض فيه فقال: **[... وقانون الكشف بسيط: كل من يقول بوجود مصدر للإسلام غير كتاب القرآن، فهو إما مضلَّل أو مضلِّل، ولا ثالث لهذه الحقيقة، وكل من يقبل ويعترف بانتمائه إلى طائفة أو فئة إسلامية، فهو إما مضلَّل أو مضلِّل، ابتداءً من السنة وانتهاءً لآخر طائفة من طوائف المسلمين]**[2].

ب - إنكار عذاب القبر:

والنبوءة الثانية من نبوءات عمر بن الخطاب، والتي تحققت فى أناس نشاهدهم بيننا فى هذا الزمان هي: **[إنكار عذاب القبر ونعيمه]**.

وإنكار أن يكون هناك حياة برزخية على أى نوع كانت هذه الحياة.

---

(١) يقصد الإمام البخاري أعزه الله ورفعه.

(٢) راجع أحد أناجيلهم المشهورة لكاتبه ن . ع الشام الصفحات ٩٦١، ٩٧٠، ٩٧٢، ٩٧٣.

ودعاة هذا المذهب الذى تحققت فيه هذه النبوءات، يرددون كلاماً يحفظونه، لا يتاح لأحدهم الخروج عن معانيه وإن كان لا يجوز للواحد منهم بشق الأنفس أن يعبر عن هذه المعانى بألفاظ من عند نفسه.

وفكرتهم فى بساطتها، أنه لا حياة فى البرزخ.

وأدلتهم على هذه المقولة تدور حول ثلاثة أشياء:

١- ليس فى القرآن آيات صريحة دالة على الحياة البرزخية، وإن دلت اياته عليها بالتلميح أو الفحوى.

٢- إن الجسم الإنساني يتحلل ويعود إلي عناصره الأولى على مرأى منا ومشاهدة، وهذا التحلل يحيل أن يتصور العقل حياة معه.

٣- عقيدة عذاب القبر ونعيمه مصدرها الصريح عند المسلمين هى الأحاديث النبوية، وهى من عمل الشيطان مجاملة للسلطان، مهما توفر لها من صدق النقل، وأمان المنهج.

والنتيجة العامة من كل هذا هي: حتمية التخلي عن السنة، والتبرؤ منها، وإلا كانت الأمة في حرج، وكان النبى فى حرج، وكان الدين فى حرج، وتحطمت الأرض، وتشققت السماء، وهلكت الملائكة ... إلى غير ذلك من كلام التشويش والتهويش.

قلت لك : إن معانيهم واحدة لا تختلف، وهم مأمورون ألا يخرجوا عن إطارها.

ولذا سوف أكتفي بنقل نص أو نصين من بعض نصوصهم فى كتبهم.

قال قائلهم: [**من الأمور الثابتة والمؤكدة أن فكرة عذاب القبر ليست فكرة إسلامية، وليس لها علاقة بالرسالة الإلهية التى أتي بها رسولنا محمد# بشيراً ونذيراً ليبلغ تلك الرسالة للناس كافة . فهي رسالة الله الدائمة للعالمين.**

لكن هذه البدعة ظهرت فى الإسلام بعد الفتنة الكبرى التى كان من نتائجها تفرق المسلمين وانقسامهم شيعًا وطوائف، كانت من أكبرها طائفة

السنة التى انقسمت أيضاً فى نهاية العصر العباسى إلي المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة][1].

إلي أن قال: [**... وقد صارت سلطته هذه مدعمه بوحى ثانٍ يؤمن به الرعية]**[2].

غير أن صاحب هذا الكتاب لم يستطع أن يشرح فكرته لانشغاله التام بتلك الشقشقات والطنطنات، التى ظن أنها تخيل على العامة.

ولذا سوف أصرفك عنه إلى كتاب آخر.

الكلام هو الكلام والمعني واحد ولكن ربما يكون هذا المعبرّ عنه أكثر إيضاحاً لفكرته من سابقه.

قال: [**... هكذا، بدا واضحاً - كل الوضوح - أن القرآن الكريم لم يرد فيه شىء على الإطلاق (ولو من بعيد) يمكن أن يشير إلى وجود حياة فى القبر. مما يؤكد أنه لا عذاب ولا نعيم ولا إدراك ولا سمع ولا شعور - من أى نوع وبأي درجة - للموتى في القبور. بل إن المتدبر للآيات القرآنية يرى أنها قاطعة الدلالة على نفى هذه الفكرة - التى أقتحمت على القرآن العظيم زعماً وإفتراء - نفياً تاماً، بحيث لن يجد عن فترة ما بعد الموت إلي يوم البعث (فترة القبر) إلا الصمت المطبق الممتد فى الفناء الحقيقي، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[3] دون أى مجاز فى ذلك على الإطلاق]**.

إلي أن قال [... فإننا نحب أن نبين هذه الملاحظة الهامة وهى أن مسألة حياة القبر (عذاباً ونعيماً) قد وردت - أصلاً - فى بعض روايات الحديث باللفظ الصريح ، ولم ترد فى القرآن الكريم إطلاقاً (كما بينا، أو على الأقل لم ترد فيه باللفظ الصريح أو ذى الدلالة كما وردت فى السنة عند المثبتين)][4]

---

(١) السابق - ك٢ ص٩٢٨. (٢) نفس المرجع: ك٢ ص٩٢٨

(٣) الرحمن: ٢٦. (٤) راجع أ - م - ش - ص - جـ١ ص ١٥٤ وما بعدها - مصرى.

جـ. إنكار أحاديث المسيح الدجال:

قلت سابقاً : إن القوم معانيهم واحدة ، وقد تختلف عباراتهم ولكن فى أضيق الحدود .

ومن أقدمهم زماناً فى هذا العصر هذا الكتاب الذى سأنقل منه نصاً لصاحبه، بعد أن ذكر الأحاديث التى فيهاخبر المسيح الدجال من كتاب البخارى .

قال : إن أحاديث البخارى وغيره فى خبر المسيح الدجال مرفوضة، وهي من وضع الإسرائيليين (كذا) للأسباب الآتية :

[أولاً: إن الدجال أصلاً وأساساً هو كل مفسد فى الأرض وكل مغير لأمور الدين، وكل ماسخ لجمال الحق ولشريعة الله، وذلك إنسان موجود فى كل زمان وكل مكان حتى فى زمن النبىﷺ وفى زماننا هذا، بدليل تعوذ النبى ﷺ منه فى الصلاة وتعوذنا منه أيضا فيها وفى كل حين . وحديث أنه رجل أعور يأتى فى آخر الزمان وأن عيسى ينزل ويقتله ويقتل الخنزير ويكسر الصليب وأن المسيخ يأتى ومعه جنة ونار ويميت ويحيى، هو حديث باطل، وكل ما جاء فيه إنما هو اصطناع وتسويف إسرائيلى [1] ولو أنه حقا يأتى فى آخر الزمان حتى ينزل عيسى فيقتله، ماتعوذ منه النبىﷺ وما تعوذنا منه مع أننا إلى الآن (كذا) لم نراه رغم أنناترى صفة الما سخين لدين الله فى أناس كثيرين يعيشون معنا .

ثانياً: إذا عرفنا أن المسيح [2] الدجال هو واحد من تلامذة الشيطان وأتباعه وأن الله يقول عن إبليس ذاته ﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾

---

(١) يبدو للكاتب أن إسرائيل كدولة كانت قبل البخارى فتأمل.

(٢) الواضح أن الكاتب لا يعرف الفرق بين المسيح والمسيخ ونحن نعذره فهو عامل ملحق على الجيش فى زمانه.

فكيف نصدق أن يعطيه الله القدرة على إحياء الميت ، مع أنه تلميذ لإبليس الذى أخبرنا الله بأن كيده كان ضعيفا؟؟ وكيف نصدق أن لله شريك فى القدرة على إحياء الموتى ، ونحن نعلم تمام العلم أن ذلك هو الشريك الصريح وإذ كان الله تبارك وتعالى قد تفضل على عيسى بتلك المعجزة، ليستعين بها على هداية الناس، فكيف يعطيها للمسيخ ليستعين بها على كفرهم بالله رب العالمين [١]؟؟

...... سادساً: كيف يعطى الله المسيخ الدجال ، جنة وناراً وقدرة على إحياء الموتي، ليغرى الناس بذلك على الكفر ، ثم يعاقبهم إذا آمنوا به وكفروا بالحق الذى كلفهم سبحانه وتعالى باعتناقه.

أليس هذا كلاماً غريباً وعجيباً فى نسبته إلى النبى الصادق؟؟

إنه حقاً لغريب وفى نفس الوقت هو باطل] [٢]

أرأيت؟

دعنى أؤكد لك وأنت لا تحتاج منى إلى تأكيد أننى قد تعمدت نقل هذه النصوص عن أقدمهم وأشهرهم فى زماننا، كى أقول لك: إن القوم لا يكتبون وإنما يُكتب لهم.

فإذا ما أصحبت أمامهم الطريق معبدة ،وتأكد القابضون على الخيوط وراء الكواليس ، أن عرائسهم على المسرح، أو أحجارهم على رقعة الشطرنج لن يخرج الواحد منها عن مساره، تركوهم يعبرون بأساليبهم شريطة أن لايكونوا أحراراً إلا فى منطقة التشويش والتهويش فحسب .

وتبقى هذه الآثار من سنة النبى فى محل اللحمة بين العين والأنف من الأمة الإسلامية، مابقيت الأمة الإسلامية تنتظم قافلة تسير.

---

(١) لا تعجب فالكاتب معذور حيث قلت لك: إنه عامل ملحق على الجيش فى زمانه

(٢) راجع س. ص/ا. ق - جـ٢ - ص١٩٣- ملحق على بعض الجيوش العربية (أظنه لايكتب)

د: إنكار أحاديث الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار :

وأنا أظنك لا تحتاج منى أن أنقل لك نصوصاً من نصوص القوم فى ا المجال، ورحلتنا من أولها إلى آخرها قد خصصناها للحديث فيه.

ومعنى ذلك ورغبة منى فى التنويع سأحيلك على نشرة طاف بها ماحبها على المساجد، لايقوى على عرضها على الناس، فكان يتركها وسط لمصلين متظاهراً أنه قد نسيها .

وهذه النشرة كلها مخصصة للشفاعة ومرتكبى المعصية [1].

يرحم الله عمر بن الخطاب ، فقد أكرمه الله بنبوءة صرّح بها من على منبر رسول الله ﷺ ليقول للناس : احذروا هذه الأمور وأصحابها ، ثم ذكرها بين يديهم، وأراد الله أن تتحقق كما قال .

ولو رزق الله هؤلاء القوم من القرآنيين شيئاً من التوفيق لما سمحوا لأنفسهم أن تتحقق هذه النبوءة على أيديهم.

ولكنها إرادة الله النافذة فيهم ، كما نفذت فى غيرهم أيام النبى ﷺ أيام تحويل القبلة، حيث أخبر الله نبيه أن القبلة ستتحول، وأن السفهاء سيقولون قولاً هذا نصه فى القرآن الكريم : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾[2] وكان كما قال ربنا ، ولو رزق أسلاف القرآنيين توفيقا ، لأحجموا عن القول ، وأحرجوا النبى ورسالته وقالوا له : لقد قال لك ربك إننا سنقول كذا وماقلناه، ولكنهم لأنهم غير موفقين قالوا ماقاله وهو أصدق القائلين، بل هو الأصدق بالإطلاق.

لقد حدثناك فيما حدثناك به عما قاله عمر، وعن تحققه فى الواقع، وأن ما قاله عمر ماهو إلا حديث عن الوسيلة التى يبلغ بها القوم إلى غايتهم.

فهل تأذن لى أن نتحدث قليلاً حول غاية القوم، ومانقبله منها وما نرفضه؟

---

(١) أنظر ا. ص .م- وسط الدلتا -مصر.

(٢) البقرة:١٤٢.

معجزة النبى ومدى تحققها

تحققت نبوءة عمر كما رأينا

وأنت خبير أن نبوءة عمر ما هى إلا فى مكانة الوسيلة التى يتبلغ بها هؤلاء إلى أهدافهم .

وأهداف القرآنيين هى إنكار السنة وما يليها من أهداف رتبوها.

وإنكار سنة النبى ﷺ فى دورة الظهور هذه للقرآنيين هى المعجزة التي أخبر عنها النبى ﷺ تحققت فى هذا الزمان، وتحققت قبل ذلك في دورات ظهور سبقت.

أسس القرآنيين فى إنكار سنة النبى ﷺ:

والقرآنيون لكى يكونوا منطقيين مع أنفسهم حاولوا أن يعلنوا بين الناس كلمات يصيحون بها يوهمون العامة بأنها تحتوى ركائز ومبادىء لوتأملها العامة لظنوها أسساً تصلح للاعتماد عليها فى رد سنة النبىﷺ.

وهذا الذى ذكروه يدور حول هذه النقاط يكررونها فى كل مجلس وفى كل مكان ولايزيدون عليها قيد أنملة.

أولها: أن القرآن محفوظ بحفظ الله والسنة لا .

وثانيها: أن الله قد أمر عباده أن يأخذوا من النبى القرآن وغيره لا.

وثالثها: أن ماورد في السنة يخالف العقل.ويخالف القرآن جميعا ، الأمر الذى يؤكد أنه من وضع إسرائيل كما يقولون.

تلك ثلاثية القوم يريق الواحد منهم الكثير من المداد لتحبير العشرات بل المئات من الصفحات في طنطنات فارغة تستهلك طاقات الأمة المادية في غير طائل .

ولولا أنى قد كتبت أكثر من كتاب ووضعت أكثر من نشرة لمناقشة هؤلاء، لذكرت لك طرفاً كافياً وأنفقت معك وقتاً مناسباً فى مجادلة القوم وبيان عوارهم .(١)

لكني سأشير إشارات خفيفة هنا إلى كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة التي اتخذها القوم أسساً لهم .

أ - القرآن محفوظ بحفظ الله والسنة لا :

يدعى القوم فيما يدعونه أن السنة غير محفوظة وأن القرآن محفوظ.

وقصارى هذا الادعاء أن القوم يتفقون معنا على أن القرآن محفوظ والحمد لله، فقد اختصروا أمامنا نصف الطريق.

بقي الحديث عن السنة، التى ادعوا أنها غير محفوظة.

وأنا الآن لا أفهم معنى كلمة محفوظ ومحفوظة التى يستعملونها.

ذلك أنى لا أعرف هل القوم يعتقدون أن الله يحفظ القرآن مثلا بطريقة قدرية ، أم أنهم يرون أن القرآن محفوظ من الله بطريقة الأسباب المعتادة فى الكون .

ولو قد ذهب القوم إلي أن القرآن محفوظ من الله بطريقة قدرية لكان عليهم أن يقرروا أنهم قد رأوا حالات امتدت فيها الأيدى إلى القرآن بالتزوير فشلّت الأيدى، أو عميت الأبصار، أو خسف الله الأرض بأصحاب هذه الأيدى، فهم يترددون بين قشرتها العليا ولبابها فى الأسفل إلى يوم القيامة.

وهذا فى نطاق قدرة الله ولكنه لم يفعل، وهم لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بأمثلة تؤكد مذهبهم فى الحفظ القدرى لو انهم ذهبوا إليه، وقصارى ما يستطيعونه أن يتركوا خيالهم يجنح إلى اختراع صور بعيدة عن الواقع لا تسند قضية ولا تؤيد موقفا.

---

(١) منذ سنة ١٩٨٥م وأنا ألاحق هؤلاء وصدرت مجموعة من الكتب أهمها: الإسلام واستمرار المؤامرة الرد على منكرى السنة – السنة فى مواجهة أعدائها– ضلالات منكرى السنة – مسيلمة فى مسجد توسان – القاديانية والبهائية – المرأة والولاية –اللعاب الأخير. ولئن عشت لأرصدن لهم.

والنتيجة الحتمية التي ينبغي أن نقول بها ويقول بها القوم هى أن الله قد حفظ القرآن على طريقة الأسباب والمسببات وهى سنة من سنن الله في دنيا الناس.

ثم إن القوم يطنون ويرفعون أصواتهم بالطنين وهم يتحدثون حول آية الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) وما من أحد يخالفهم حول أن يكون الله قد أنزل الذكر وحفظه خاصة إذا كان الحفظ على سنن الله الجارية كما بينا .

أما أن يتحجر القوم واسعاً ويحملون بغير دليل لفظ "الذكر" على القرآن وحده، فهذا هو الذى يمكن أن نخالفهم فيه خاصة حين نضع إلى جوار هذه الآية آية المائدة وهى من آخر القرآن نزولاً إن لم تكن هى آخره على الإطلاق.

والآية التي نقصد إليها في سورة المائدة هي ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢)

ترى ما هذا الشئ الذى أيأس الله منه الكافرين وكيف أيأسهم ؟

بيقين كما هو ظاهر الآية أن الله لم ييئس الكافرين من المؤمنين، إنما قد أيأسهم على وجه القطع من هذا الدين ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ .

ولا معني لهذا الإيئاس إلا أن يكون الله عز وجل قد حفظ هذا الدين فى مصادره ومنعه.

ولايجوز لأحد أيا كان أن يقول: إن الدين هنا المراد به القرآن وحده، بل هو الدين بجميع مشتملاته.

---

(١) الحجر:٩.
(٢) المائدة: ٣.

والأمة لاشرف لها ولا مصدر للعلو إلا فى هذا الدين الذى هو ذكرها﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾(١)

وليس علينا من بأس بعد ذلك أن نقول فى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ إن المراد بالذكر هنا هو الدين كله كتابه وسنته.

وأحسب أنه لاخلاف بيننا حول ما ذكرته إلا أن نكون قاصدين إلي اللجاجة والمراء.

وأنا أحب بعد ذلك أن أتخذ من هذا الذى ذكرنا أساساً أستند إليه، وأنا أتحدث عن السنة وهو :أن الله إذا كان قد حفظ القرآن على سننه الجارية التى تتجلي فى ارتباط الأسباب بمسبباتها فهو قد حفظ السنة كذلك بهذه الطريقة عينها لا يجادل فيها إلا مجادل .

أما أنا فأحب لنفسى أن أطرح الجدال خلف ظهري مع أنى أعلم أن القوم يحبون أن ينبذوا إلينا على سواء ليشغلوا الناس من جهة ، وليتاح لهم قدر من الظهور الاجتماعى من ناحية أخرى ، ولوكان هذا الظهور مشابهاً لظهور هذا الرجل الذى عمد إلى زمزم فى زحمة الحجيج وبال فيها والناس ينظرون، فلما تكاكأوا عليه وازد حموا يحيطونه من كل جانب، اجتمع قولهم علي لسان واحد وسألوه: لماذا فعلت ما فعلت ؟ قال :رجل يحب الظهور وأعيته الحيل وقعد به العجز فأراد أن يظهر ولو على أكتاف إبليس.

رغبتي أن أترك الجدال والمراء، وخُلُق القوم أنهم يعشقون الجدال والمراء، وأملى أن ينصتوا قليلاً، فإن لم ينصتوا فرجائى فى الله أن يجد القارىء مكانا هادئا يقرأ فيه ما كتبنا وما كتبوا والحكم لله فى كل حال.

إن ربنا قد حفظ السنة إذاً على طريقة الأسباب والمسببات الموجودة فى دنيا الناس ، الأمر الذى يغرينى بالحديث عن الطرق والوسائل التي يحصل بها الناس علومهم .

---

(١) الزخرف:٤٤.

والطرق والوسائل لتحصيل العلوم ثلاث:

أولها: ما يأتينا من طريق الحواس كأن نرى الشمس طالعة، ونسمع صوتًا عالياً أو متوسطا أو منخفضاً، ونذوق المطعومات لنميز بين الحلو والحامض مثلاً ، ونشم الروائح فنستقبح منها ونستلطف، ونلمس الأجسام فنميز بين الخفيف والسميك والخشن والأملس إلى آخره.

ونحن لا نحتاج في تحصيل هذا النوع من المعلومات إلا إلى أن نفتح البوابة الخاصة بإدراك هذا النوع أو ذاك من بوابات الحواس.

وثانيها: ما يأتي إلينا بواسطة هذا التحليل العقلي المبني على أوليات جعلها الله مركوزة فينا لا تنفك عن عقولنا مادامت عقولنا سليمة معافة بريئة من كل آفة.

ومن أوليات العقول التي وضعها الله فينا أن العقل لا يسلم بالجمع بين النقيضين ، ولا يؤمن بأن الجزء أكبر من كله ، ولا يهمل ما للأسباب في مسبباتها من أثر .

ثم إن العقل بعد هذه الأوليات، لديه القدرة على إدراك ما بين الأشياء من علاقات، بحيث يتمكن من وضع المقدمات على طريقة من طرقه التركيبية ليستنتج منها نتائجها التي لا تقبل المراء إذا ما سلِّمت المقدمات المؤدية إليها .

ونحن لن نجنح إلى إطالة الكلام بعرض الأمثلة وإنما يكفينا أن نشير إشارات قد تلفت نظر العالم المتخصص ولا تضر بغيره.

وثالثها: – وهو المقصود هنا– هو هذه الطريقة التي من خلالها تنتقل تحربة النوع من السلف إلى الخلف.

وهذه الطريقة تنقل علماً يؤكد حقيقة وهي أن الإنسان مخلوق له تاريخ.

وفي جميع الحضارات التي نعرفها تنقل الآثار من السلف إلى الخلف بطرق منهجية يعلو بعضها على بعض .

ودارسو التاريخ والحضارات والعلاقات المتساندة بين أفراد المجتمع لا يرفضون روايات التاريخ وإنما قصارى ما يفعلونه أنهم يوجهون النقد لبعض الروايات حيث لم تنتقل إليهم بصفة منهجية متأنية أو مستجمعة لجميع شروط المنهج.

وكاتب هذه الصفحات يتعجب حين يرى من أبناء جلدته من يتابعون الغير فى رفض تراث هو فى جزئه وحى جعله الله سبباً لشرفهم، وفي جزئه الآخر تجربة حية عاشها أسلافهم ونقلوها إليهم، والحجة الداحضة عندهم أن هذا التراث لم يتوفر له أساليب النقل المأمونة.

وأنا لا أبحث عن الأسباب الدافعة وراء مثل هذا العمل الشائه، فمثلي ليس خبيراً بطيَّات النفوس.

على أننى بشكل جاد وبغير حساسيات أقول إنى جاهز تماماً إلى أن أنصت للقرآنيين وهم يتحدثون عن هذا الجزء من أحاديثهم، شريطة أن يأتى هؤلاء القوم بالمنهج الذى يرتضونه من أى بلد ينتمون إليها شعورياً، يرون من خلاله أنه هو المنهج المنضبط، والطريقة المعصومة لنقل أحداث التاريخ وتجارب الآباء، ثم نقيس إليها طرقنا التى نقلنا السنة بها لنقوم بعملية مقارنة دقيقة لإثبات فاعلية كل منهج.

وأنا من البداية أقول: لو أن القوم أتوا لنا بمنهج أكثر انضباطاً من مناهج المحدثين ورواة سنة النبىﷺ، سوف أخلع جلبابى وألبس رداءً أجنبياً على أحدث طراز، وسوف أنحى عنى عمامتى وألبس قباعة على آخر ما وصل إليه بيوت الخبرة من طرق صناعة القبعات ، وأترك الدعوة لهذا الدين لأعمل بالكرازة إلى ما يريدون من أى دين، أو أعمل بالكرازة إلى نبذ كل دين.

أتظن أن هذا لون من التحدى، أم تعتقد أنه لون من الحفز للهمم، حتى تنشط لتضع على الساحة حقيقة هى الفصل فى الأمور دون سواها؟.

يقينى أنه لا يهمك كثيراً ما أنا عليه من تصور أعتقده من هذين التصورين ، لأن الأنفع لى ولك أن نلقى بأنفسنا سريعاً فى ميدان مباشرة العمل الواقعى.

وإلى أن تقدم لى ذلك المنهج الذي اقترحت عليك أحب:

أولاً: أن أحصل منك على تعهد كهذا الذى منحته لك، مؤداه أنه لو ثبت بطريقة عملية أن طرق المحدثين في نقل السنة، وتجارب أسلافنا إلينا قد بلغت من الجودة حداً لم تبلغه طريقة أخرى فى الدنيا، فإنه يجب عليك بحكم العقل والمنطق، وبحكم مكافأة الإحسان بالإحسان فى الخُلق أن تترك اللجاجة وتعود إلى دينك وتراث قومك، الذى هو شرفك وذكرك.

وثانيا: أحب أن أطمئنك أننى لن أعتبر هذا الذى ذكرت لك شرطاً فى إجراء الحوار لا نجريه بدونه، وإنما أنا راضٍ منك وقانع بهذه المقارنة فى حد ذاتها، بصرف النظر من تأثير نتائجها عليك، أماأنا فملتزم أدبياً ومنطقياً بما التزمت به.

وثالثا: أحب أن أقول لك من باب تحفيز الهمم أنك تبحث عن شيء موهوم وسط ركام من الحقائق تعيد البصر فى هذا الركام مرة ومرات بحثاً عن هذا الوهم فيعود إليك البصر خاسئاً وهو حسير.

ولعلني بما ذكرت لك أكون قد آنستك

ولعلنى بما ذكرت لك أكون قد حفزت هممك

ولعلنى بما ذكرت لك أكون قد أزلت عنك أثراً تسلل إليك من غيرك.

إن كنت قدبلغت بك هذا أو ذاك فإنى قانع بما بلغت بك، ولننتقل إلى أساس آخر من أسس القوم نناقشه ونحلله لنتبين الحقيقة من خلال مناقشته.

ب- إن الله قد أمر عباده أن يأخذوا من النبى القرآن وغيره لا:

وفى هذه الجزئية التى يديرون حولها أحاديثهم تجد صياحاً كثيراً ودغدغة للعواطف أكثر، وتجد خططاً كثيرة يتلو بعضها بعضاً، وتجد حماسات من الرجال لهذا الموقف الباطل أكثر.

وأنا أعترف أني قد أصابني الملل من كثرة متابعتي لهؤلاء القوم، إذ لا جديد فيما يقولونه ولا فائدة فيما يطرحونه.

وأنت تعلم أنا مطالبون أن نأخذ أنفسنا بمناهج العلوم حين نتحدث أو نكتب، وأن نأخذ أنفسنا بأعراف السماع وأولها الإنصات حين نسمع أو نقرأ.

وتلك مجموعة من الأخلاق والقيود إذا أهدرها محدثك أو كاتبك أرهقك وأتعب طبعك.

ومع ذلك فإن القوم لن يملُّوا في المستقبل قياسا على ما رأيناه منهم في الماضي من ذكر هذه الكلمات أو أمثالها.

القرآن عام شامل، القرآن شارح مفَصِّل، القرآن وحي منزَّل، القرآن يجب احترامه وتقديسه، القرآن له القيادة وحده، منزل القرآن إله يجب أن يُعبد، والذي كلف النبي رب ينبغي أن يطاع وله الحاكمية وحده، الذي أنزل القرآن لم يسمح بأن ينصت عباده لأحد غيره، النبي ليست له إلا وظيفة عامل البريد - هكذا قالوا - أتى بالقرآن والقرآن وحده، وهو تتأتى منه المعصية، وقد لا يتوب منها فيدخل النار (وحاشاه) وندخل نحن الجنة فنستمتع بها ولا يستمتع، ولا أمل له في شفاعتنا، إذ لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

وأستغفر الله وأنا أعلم أن ناقل المعصية ليس بعاص، وناقل الكذب ليس بكاذب، وناقل الكفر ليس بكافر، وإن الله علام الغيوب.

شقشقات وطنطنات، وكلام كثير يثلمه بل يجُبه أن أطلعك على بعض آي القرآن الكريم فيها توجيه إلى أن المسلمين يجب أن ينصتوا إلى نبيهم وهو يبلغهم القرآن ومثله معه، ثم يتجاوبون معهما بعد الإنصات لهما.

ففي القرآن يقول الله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢].

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٣].

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[٥].

هذه آيات اشتمل عليها وعلى أمثالها كتاب الله عز وجل.

وهى آيات مع أنها واضحة الدلالة، إلا أن القوم قد رأوا أنهم قادرون على التعسف فى فهم معانيها، وحمل الناس على أن يفهموها على نحو ما يريد القوم لهم أن يفهموها.

ونحن قد تعلمنا من القرآن نفسه أنه حين يبلغ التعسف فى الفهم مداه فى نقطة معينة، يجب أن نتحول عنها إلي نقطة أخرى يصعب على الخصم أن يتعسف فى فهم النصوص التى تحكمها.

تعلمنا هذا مثلاً من الذى حاج إبراهيم فى ربه، حيث قد آتاه الملك وأصبح شبعاناً يتكيء على أريكته، ينكر على ربه ملكيته للكون، وقدرته على تصريف شئونه ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال الذى حاجه وهو يتعسف فى الفهم «أنا أحيي وأميت» ولم يشأ إبراهيم عليه السلام أن يجاريه فى المراء فتحول قائلاً: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) الأعراف: ١٥٧، ١٥٨. (٢) الحشر: ٧.

(٣) النجم: ٣، ٤. (٤) النحل: ٤٤.

(٥) الأحزاب: ٣٦.

لقد تعلمنا من منهج القرآن أنه حين يتعسف الخصم فى نقطة معينة يحاول أن يفهمها على طريقته، لا على وجهها يجب أن نتحول عنها معه إلى غيرها.

وإنا إن شاء الله لفاعلون.

فى القرآن الكريم حكايات أحداث وعظات من خلالها يؤكد القرآن أن النبىﷺ يشرع استناداً إلي وحى آخر غير القرآن، وسأضرب لك الأمثال:

١- فى سورة البقرة حديث مطول عن تحويل القبلة، وفيه أن النبىﷺ بعد هجرته إلى المدينة كان يتوجه إلى بيت المقدس، وهو يشتاق أن يحوله ربه إلى البيت الحرام.

ونحن نقرأ القرآن كله، فلا نجد آية واحدة تأمر النبى أن يصلى ويتخذ من المسجد الأقصى قبلة له قبل أن يحوله ربه إلي البيت الحرام.

ترى هل كان النبى يتجه إلى المسجد الأقصى بغير توجيه من الله وعلى اختيار منه هو شخصي؟

ولو كان الأمر كذلك، فبما تفسر أشواقه الجياشة إلى أن يوجهه ربه إلى البيت الحرام؟

أم أنك ستذهب إلى أن النبىﷺ كان يصلى إلى المسجد الأقصى بآية كانت فى القرآن ثم نسخت؟

إن كان الأمر كذلك فإنه إن جاز أن نقبله من أهل الأرض، لا يجوز أن نقبل هذا الفهم منكم، إذ أنتم لا تقولون بالنسخ، بل إنكم تشددون النكير على القائلين به.

وليس أمامنا ولا أمامكم إلا أن نقول: إن النبىﷺ كان يصلى إلى بيت المقدس بتوجيه ربه من خلال وحى إلهى ليس فى القرآن الكريم وهو ما نسميه : (السنة المطهرة)

واقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾(١).

٢- وفى القرآن حادثة تاريخية أخرى، مكانها بيت النبوة، وأطرافها النبى وزوجاته، ورب العباد يسمع ويرى ثم يحكم ويفصل .

وخلاصة هذه الحادثة بغير دخول فى التفاصيل أن النبى قد أسرَّ إلى بعض أزواجه حديثاً، وقد رأت هذه الزوجة أنه لا بأس بإذاعة طرفٍ من هذا الحديث فأطلع الله عز وجل نبيه على ما فعلته زوجته، وعاتب المتحدثة والسامعة جميعاً ثم بين للجميع أن النبى ليس وحده، وإنما معه ربه وهو كافيه، ومعه جنود ربه ومحبوه من الملائكة عامة وجبريل خاصة وصالح المؤمنين من البشر.

وكاشف النبىﷺ زوجته معاتباً لها فيما أذاعته ، فقالت الزوجة للنبى مندهشة من أنبأك هذا، وأجابها النبى بجوابٍ لا جواب غيره ﴿نبأنى العليم الخبير﴾.

والسؤال الآن هو: أين يجد القرآنيون الذين يزعمون أنهم يدافعون عن القرآن وهم يكيدون له كيداً هذا الإنباء فى القرآن .

---

(١) البقرة: ١٤٢ - ١٤٤.

الجواب أننا لو بحثنا فى القرآن من أوله إلى آخره فلن نجد فيه آية تشير إلي أن الله قد أطلع النبى على ماقالته زوجته وأفشته من سره.

وليس أمامنا إلا أن نقول: إن النبىﷺ فى طبعه ومكنته أن يطلع على الغيب.

وهذا الاحتمال مرفوض عند القوم وعندنا.

أما أنه مرفوض عند القوم فلأنهم لا يؤمنون بأن الأنبياء لهم بعض الإطلاع على الغيب ولو خالفوا القرآن فى ذلك.

وأما أن يكون هذا الاحتمال مرفوضاً عندنا، فلأننا فى هذه الواقعة بالذات قد رأينا القرآن وسمعناه يحكى قول النبىﷺ الذى يعزو فيه الإخبار إلى ربه «قال نبأنى العليم الخبير﴾.

ومن هنا فإنه لم يعد أمامنا وأمام القوم إلا أن نقول: إن النبى قد علم ذلك عن طريق وحى إلهي غير القرآن.

وهذا الوحى عندنا وعند المسلمين هو (السنة)

وإن شئت فاقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[1].

٣- وفى القرآن حديث عن معركة وقعت بين المسلمين واليهود، لحسم خلاف قد جرى بين الفريقين حين نقض اليهود المعاهدة الوطنية التى أبرموها مع النبىﷺ.

---

(١) التحريم: ١-٣.

لقد حاصر النبى ﷺ طائفة منهم، وبعد فترة من الحصار أمر بتقطيع بعض النخيل المملوك لليهود باعتبار أن ذلك القرار سيسرع بحسم النزاع والوصول إلى حل، وقد توجه اليهود باللوم إلى النبى قائلين له: لقد غيرت طبعك وما كان من طبعك أن تنال الاقتصاديات أو الاجتماعيات بالأذى.

ونزلت الآية تدافع عن النبى وتقول للمسلمين الذين تأثروا بذلك، ولغير المسلمين الذين اتخذوا من الحادث وسيلة لإحداث بلبلة في صفوف المسلمين ونفوسهم ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

ولو أن هؤلاء القرآنيين الذين يدعون زوراً الانتساب إلى القرآن، أولهم وآخرهم وحيهم وميتهم اجتمعوا على قلب رجل واحد وبحثوا فى القرآن عن آية فيها هذا الإذن للنبى بقطع النخيل الذى قد قطعه بالفعل مأذوناً له فيه، ما وجدوا بغيتهم.

وهم بعد ذلك إما أن يعاندوا خاسئين، أو يؤمنوا بوحي نزل على النبى ﷺ غير القرآن وهو :(السنة) .

٤- وهناك حدث آخر يتصل بالقرآن نفسه فى ترتيب آياته وسوره.

وأنت خبير ولا شك أن ترتيب آى القرآن وسوره توقيفى.

كما أنك خبير كذلك بأن القرآن نزل منجماً أو مفرقاً .

وكل آية تنزل فى زمانها الخاص بها يأمر النبى ﷺ بوضعها في مكانها بين الآيات وفى داخل السورة التى تخصها .

وفى هذه الحال فإن أمام أدعياء الانتساب للقرآن أحد أمرين:

---

(١) الحشر:٥.

إما أن يقولوا : إن القرآن الكريم قد رتبت آياته باجتهاد من النبى، وحينئذ يكونون قد وقعوا فى شرك مخالفة القرآن، حيث قال الله ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾(١).

وإما أن يقولوا بأن جمع القرآن وترتيبه من فعل الله وبتوجيهه، وليس فى القرآن آية تضع أمام النبى خريطة لترتيب سور القرآن وآياته.

فليس أمام القوم من طريق إلا أن يقولوا: إن هناك وحياً غير القرآن وهو:(**السنة**).

٥- ثم نحن نحب أن نلفت نظرك إلى هذه الواقعة التاريخية التى ذكرها القرآن، وكان لها رد فعل لدى أعداء النبى ﷺوأعداء القرآن نفسه، وهى حادثة زواج زيد بن حارثة - حب النبى ﷺ- من زينب بنت جحش إحدى عظيمات الأسرة المشرَّفة.

ونحن نعلم أن زيداً كان قد عرَض له رغماً عنه أنه استُرِقَّ، ثم تطورت به الأحداث إلى أن تبناه النبى ﷺ قبل أن يحرِّم التبنى لحكمة يعلمها الله وأظهرها بعد ذلك.

وشاء الله ومشيئته خير أن تدخل زينب فى عصمة زيد تكليفا لتخرج من عصمته بعد ذلك تكليفاً، وتدخل فى عصمة النبى لتكون إحدى أمهات المؤمنين تكليفاً كذلك.

وسلسلة التكليفات هذه قد بدأت كما ترى بأن تدخل زنيب فى عصمة زيد دون أن يكون لها ولا لواحد من أهلها حق الرفض أو حتى التحفظ، لأن الله عز وجل ورسوله قد قضيا فى هذا الزواج وكلفا به، ومادام الله ورسوله قد قضيا به وكلفا فليس لمؤمن ولا لمؤمنة بعد ذلك أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.

---

(١) القيامة:١٧.

ومـا بعـد ذلك من سلسلة التكليفـات وإظهـار الحكـم ظـاهر بنص الآيـة.

والسؤال الآن هو : أين يجد هؤلاء الذين ينتسبون إلي القرآن زوراً هذه الآية التى كلفت زينب بالدخول فى عصمة زيد دون أن يكون لها ولا لأهلها حق الاعتراض، أو حتى مجرد الاختيار .

نحن لا نعلم شيئاً عن هذا التكليف إلا بعد أن ظهر الخلاف والتحفظ والاعتراض، فعاتبهم الله عز وجل عما بدا منهم.

لا يمكن أن يكون هناك ادعاء بأن الاية كانت فى القرآن ثم نسخت، أو أنها موجودة فى القرآن نحاول استخراجها بضرب من الحيل، التى تحمل الألفاظ على أن تنطق بغير ما جاءت به من المعانى.

والصحيح من القول الذى لا مفر منه، هو أن نقول إن الله قد كلف زينب أن تدخل فى عصمة زيد بغير اختيار، ومنع أهلها من الاعتراض علي مثل هذا الزواج، الذى يعتبره العرب زواجاً غير متكافىء بواسطة وحى أوحى به إلى نبيه فى غير القرآن.

وهذا الوحى الذى أوحى به الله إلي نبيه فى غير القرآن سماه المسلمون وسميناه معهم بـ :(**السنة**).

وأنت واجد صدق ما قلت لك إذا قرأت متأملاً فى سورة الأحزاب:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

مَفْعُولاً ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[1] .

والمسلمون يقرأون القرآن فى عهد النبى ﷺ فى كل ما ذكرت لك، وغير ماذكرت لك فيفهمون منه أن النبى يوحى إليه بوحي غير القرآن هو سنته، فطبقوها فى أشخاصهم، واتبعوها فى ضبط سلوكهم الفردى والجماعى، وما غاب عن أحدهم منها سأل عنه إخوانه ولو كان السائل فى موقع الإمارة، كما حدث لأبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم ﷺ أجمعين..

وأنا لا أظنك بعد ذلك على شىء من التقدير لما قاله القوم ادعاءً وافتراءً من إنكار سنة النبىﷺ .

جـ- إن ما ورد فى السنة يخالف العقل، ويخالف القرآن جميعا، الأمر الذي يؤكد أنه من وضع إسرائيل كما يقولون:

الآن وقد وصلنا إلى الركيزة الثالثة التى يطن القوم حولها وهى: أن السنة تخالف العقل وتخالف القرآن.

وأنا قد كان لى مع القوم حول هذا الموضوع حديث مطول.

وقصة هذا الحديث المطول أن القوم كان عندهم كتاب، أو قل إنجيل، كتب وراء الكواليس وطلب إلى أحد العامة من الملحقين على جيش عربى برتبة (صول) أن يوقع عليه باسمه دون أن يدرى ما بداخله، وكأنى أنظر إليه وهو يوقع ببصيرة قلبى فأرى أن رجلاً قد وضع له القلم بين أنامله، وقبض على يده يحركها ليرسم بها حروف اسمه حيث يجهل صاحب هذا الاسم طريقة التوقيع وصناعة الكتابة.

---

(١) الأحزاب:٣٦ – ٤٠.

ودعك من هذا كله لأحدثك عن قصة الكتاب بين القوم .

لقد طُلب إ ليهم أن يختزنوه وهو محتوٍ على مجموعة من الأحاديث ، بذل فيها جهد مضن لاستخراجها من صحيح الإمام البخارى، والتعليق عليها بالتزوير والتشويش.

لقد طلب إلى القوم أن يحتفظوا بهذه الأحاديث ويُخرجوا منها على أزمنة متعاقبة واحداً بعد واحد، يطنون حول كل واحد منها، كما يطن ذباب الروضة الغَرِدْ، بقصد فتنة العامة، واجتذاب المأجورين من ضعاف النفوس.

قلت في نفسي: سيكون عملاً طيباً إذا ما قمت بإخراج الكتاب كله مبيناً ما فيه من عوار وزيف وتضليل.

وكانت مشيئة الله كما كانت، ومشيئة الله خير، وتم العمل تحت عنوان: **(ضلالات منكرى السنة).**

وأعترف بفضل الله فى هذا الموطن وفى كل موطن، فقد أحدث الكتاب رد فعل أربك خطة القوم في المسلمين، وتشاجر النساء المأجورات لإضلال نساء المسلمين فى بعض الجلسات، حتى تشابكن بالأيدى.

وظنى أن مثل هذا العمل قد عجل بالقوم إلى خطوة تالية ما كانوا يريدون أن يخلصوا إليها فى هذا الزمان وهى: إنكار القرآن نفسه فى كثير من أجزائه صراحة أو بالاحتيال علي وظيفته فيحاولون تنحيتها عن الساحة قصة طويلة لم تنته بعد ؛ وأرجو الله أن يوفقنا إلي إصدارات متتاليات فى متابعة مأجورة منه وحده .

وبعد هذا الكلام الذي أعتبره نفسةً مصدور أقول : إن القوم يقولون إن السنة قد جاء ت تناقض العقل وتناقض القرآن .

أما مُناقضتها للقرآن فليس هناك مثَل واحد تناقض السنة الصحيحة فيه كتاب الله ، وماذكروه من الأمثلة ليس من عملهم ، وإنما هي وقفة العلماء في كل زمان علي بوابة السنة يحرسونها من كل دعيٍّ كذاب ، ويصفعون وجه وقفا كل من أراد أن يغبر في وجه النبي ﷺ وسنته .

ثم إن حديث العقل الذي يناقض السنة إن كان المراد أن العقل السليم يناقض السنة فهذا أمر مفترى لاواقع له ، وأما إن كان المراد هو هذا العقل المريض الذي يحمله إنسان خسيس بالطبع أوبالأجر ، فهذا لا حيلة لنا معه، وأمره إلي ربه ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ للرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾ (١)

بين الضلال والإضلال :

وإني لأجد نفسي الآن حريصة علي أن تقدم لك أمثلة من واقع القوم الذين توفرلهم قدر من الرغبة في إضلال الأمة ، يدل على أن هؤلاء القوم بين رجلين : **أحدهما**: نهاز بالطبع، **وثانيهما**: نهاز بالأجر.

والقوم ما بين ضلال وإضلال يجتمعان فيهم فيبدوان بغاية الجلاء، وينفرد أحدهما فيراه كل بصر وبصيرة في القوم لايكاد يخطئه .

ودعني أضرب لك أمثلة من كلام القوم ولاأطيل ، تتبين أنت منها أنهم يقصدون إلي إلغاء شريعة القرآن كاملة .

وسأحاول أن تكون الأمثلة من كلام أكثر القوم ثقافة وأكثرهم حيطة، وإلا فقد صرح الكثيرون منهم بإلغاء شريعة الإسلام جملة لاتحكم المسلمين في عبادة ولافي اجتماعيات .

في الصلاة :

يرى أ فضل القوم قيلاً أن الصلاة عند المسلمين عددها في اليوم والليلة غير ما فهم النبي من واقع الأمر في القرآن ، وبالتالي فهي علي غير مافهم الصحابة .

إذ قد فهم النبي والصحابة معه أن الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس صلوات فرضهن الله، وابن عباس وغيره قد نقلوا الخبر في ذلك، وتواتر العمل في المسلمين علي هذا الفهم ، وهو غير صحيح ، إذ هناك في اليوم

---

(١) طه : ١٠٨ .

والليلة ست أوقات هن : الفجر والصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء والصلوات في الأوقات كلها مفروضة ، بيد أن النبي ما فهم ذلك من القرآن وما فهمه الصحابة، وشقي المسلمون بعدم إدراك النبي ، وضل الناس بضلال الصحابة وليس هذا هو الأمر الوحيد في شأن الصلاة عند القوم ، وإنما أخطأوا كذلك في عدد الركعات لكل فريضة ، فبينما المفهوم الصحيح من القرآن أن الصلاة في كل فريضة ركعتان ، إذا بالنبي يمارس خطأ **(وحاشاه)** فيصلي الظهر والعصر والعشاء أربعاً والمغرب ثلاثاً علي غير فهم صحيح للقرآن [١] .

في الحج :

وفي الحج كلام طويل ، هو بحديث القواعد أشبه، وما تسلل منه إلي الصحافة المصرية كافيك من الرغبة في تعويم يوم عرفة وجعله مشاعاً في الأشهر الحرم التي لم يتفقوا عليها بعد ، ثم كلام آخر يتصل بالميقات، وبمقام ابراهيم ، وبالإبراهيمية في حد ذاتها حرصاً منه و من غيره علي توثيق الأواصر بين المسلمين وأبناء عمومة هؤلاءالقوم من اليهود ، أخزاهم الله [٢] .

وفي العمرة :

تعريف خاص لهؤلاء الناس، فالعمرة عندهم هي :(**عمارة المسجد الحرام،وهي واجبة للمساجد جميعا، وأولى المساجد بالعمارة هو أولها جميعا ، ذلك الذي شيده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام**).

ومن هذا التعريف الجامع المانع يكفيك أن تشتري شمعة ببضعة قروش عند انقطاع التيار الكهربائي ، ثم تشعلها لتضئ مسجداً لتكون قد أديت ما فرض الله عليك من العمرة ، أو يكفيك أن تشتري كوباً من ورق لتضعه بالقرب من صنبور ماء في مسجد يستعين به من أراد أن يتناول بعض الماء يطفئ به ظمأه لتكون قد انتهيت من العمرة .

---

(١) انظر م. ك .ب . ق المجلد الأول ص١٠٥ وما بعدها . (٢) السابق : ٨٣ وما بعدها .

فإن فعلت ذلك في المسجد الحرام كان أولي ، لتوثيق الصلة بينك وبين إسحق ويعقوب من نسل إبراهيم عليه السلام، لتلتئم المودة مع أبناء عمومة القوم (١) .

وأ نت لو تتبعت القوم وكان لك صبر علي هذا التتبع لوجدت كلاماً عجيباً، هو بكلام القواعد اللائي يحرصن علي قطع الوقت بفارغ الكلام أشبه، فإذا كان هذا هو كلام المستشار فيهم - نعمْ المستشار - وإذا كان هذا هو كلام طريد بعض الجامعات من بينهم ، فماذا عساك أن تقول في غير هؤلاء ؟! ألم أقل لك إنهن حجج داحضات ؟!

لقد حرصت غاية الحرص أن أستوقف قارئى لأعلمه بهذا الشيء المقصود الحقيقي من وراء الضجة حول موضوع الشفاعة .

ولم يزد القوم فيما فعلوه علي أن حققوا معجزة للنبي ﷺ قد جاء ت بها السنة ، تحدثنا عن أنه بعد النبي ﷺ سيأتي أناس في دورات ظهور مختلفة ؛ صفة الواحد منهم أنه شبعان بغير عمل ، منتمٍ إلي غير دينه ووطنه ، منثنٍ علي أريكته ، لا يخشي مفاجآت المستقبل ، ينكر سنة النبى ﷺ .

وكاتب هذه السطور لعلى يقين من أنه لو لم يقل القوم ما قالوه لتساء ل هو ومن معه من المسلمين عن معجزة النبي ﷺ في الإخبار عن الغيب لماذا لم تتحقق بعد؟ .

وشاء الله أن لايزعج عباده بمثل هذا التساؤل فجاء هؤلاء القوم ينكرون سنة النبى على صفتهم التى أخبر النبى بها، لنقول ونحن على صفتنا :

صدق رسول الله وصدق من أرسله .

---

(١) راجع السابق : ٩٤ وما بعدها .

الشباك والفريسة

لقد أطلت النفس معك في شرح الأهداف الحقيقية من وراء إثارة موضوع الشفاعة ، وأنا لا أدرى من حالك شيئاً حيث لا أعرف إن كنت قد تبعتنى كارهاً أو مسروراً ، ولا أعلم إن كنت قد رغبت فى حديثى إليك أو رغبت عنه ، لكنى فى كل حال لم أكن أملك البديل عن حديثى إليك على نحوه.

وسواء تابعتنى كارهاً أو مسروراً .

وسواء رغبت فى حديثى إليك أو رغبت عنه فإنك ستجد نفسك على حالة من السرور الآن بعد أن أصارحك بأن حكمتى الكامنة خلف حديثى إليك هى محاولة أن أبرز لك وضع بعض الشخصيات التي لها أسماء لامعة من هذا المخطط الرهيب، لا لشئ إلا لأنى أعذر هؤلاء ، وأريد أن أحملك على أن تعذرهم معى .

أسلوب لايقبله العقلاء :

وأنا أعذر هؤلاء ، وأريد أن تعذرهم معى، لأن أصحاب هذا المخطط ينسجون حول العظماء نسيجاً كثيفاً لحُمته التضليل ، وسُداه الخداع .

وسلفهم فى هذا النسيج رجل له اسم عريض فى ساحته ، وعقب لايصل دعاؤه إليه قال مرة وهو يتحدث عن منهجه فى هذا الميدان إذا أردتُ أن أنقل قولاً لغير المسلمين في الإسلام : ألبستهُ ثوباً حريرياً رقيقاً وناعماً، حتى لايُزعج أهل التخصص مسُّه .

وانطلاقاً من هذا المنهج الذى لايقبله عقل، ولا يقره طبع، رأينا القوم ينسجون شباكهم حول بعض الشخصيات، التى لها أسماء ، خاصة بعد رحيلها .

هذا وإن أسلوبهم الذي اتبعوه يحملهم علي أن يذهبوا إلي بعض الشخصيات العظيمة قبل أن تموت إذا ما رأوها قد وقعت فريسة للمرض أو الشيخوخة ليحصلوا منها علي بعض التصريحات أو الكتابات ولو بشيء من التمويه ، يستغلونها بعد وفاة أصحابها استغلالاً سيئاً .

حدث مرة أن أرسلوا بطريقة أو بأخري خطاباً لفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، ولاندري ماذا كان رده علي هذا الخطاب ٠

وفحوي الخطاب المرسل الي الشيخ محمد الغزالي أن الذي أرسله قد سأله عن السنة وهل صح منها شيء أو لا ٠

وسيظهر لك من بعض المداعبات التي سأ نقلها بين يديك من أحاديث القوم، أن الشيخ الغزالي كان شخصية مستعصية علي القوم علي نحو ما صرحوا به ٠

ثم هم قد صنعوا ضجة كبري حول شخصيات أخري من نحو المشدٌ من كبار علماء الأزهر رحمة الله عليه والشيخ شلتوت والشيخ المراغي والشيخ محمد عبده رحمة الله علي الجميع ٠

وأنا قد وضعت كتب هؤلاء الأكابر أمامي فلم أجد واحداً منهم قد جرؤ علي النبي ﷺ كما وصفوه ، أو جرؤ علي سنة النبي كما اتهموه ٠

ولو شئت لنقلت لك من نصوصهم ما يقنعك فكتبهم بحمد الله مطبوعة ، وآثارهم بحمد الله في يد الأمة٠

والشيء العجيب أن القوم قد امتدت ألسنتهم بالسوء حتي لبعض السيدات المعاصرات ، خاصة من كان لهن مواقف اجتماعية أو دينية ٠

لقد ادعوا مثلاً أن السيدة زينب الغزالي تنكر السنة ، وتقلل من شأن صاحبها ، وسجلوا ذلك علي بعض الأشرطة السيّارة أودعنا بعضها بعض الجهات الرسمية ٠

وكان عليٌ أن أسأل السيدة الفاضلة عبر الهاتف فهالني أنها قيد المرض ، فصارحتها بما سمعت ، فأنكرت بشدة وقالت : لولا أني حبيسة مرضي لأنكرت ذلك في كل محفل ، فشرحت لها الموقف وخطة القوم ، وأوكلتها إلي ما تريد ٠

وأحب أن أشير هنا إلي شخصية استغلوها في ظروف مرض ألمّ بها، وهي مسئولة عن جمعية مشهرة في بلد مسلم ، وهذه الشخصية هي شخصية

فضيلة الشيخ : عبد اللطيف المشتهري ، رجل نحسبه في الصالحين .

وإننا لنهيب بالمخلصين من رجال الجمعية الشرعية أن يُخرجوا للعالم مكتوباً، فيه تاريخ الرجل وآثاره ، وموقفه من سنة النبي ، ليكون حقيقة في وجه التزييف الذي ينشرونه الآن عن الرجل ، وظني به أنه بريء قد استغلت ظروف أَلَمَّتْ به ، وهي ظروف معروفة ، **أولها**: أن ولده الأكبر وقع فريسة لهذا المخطط الرهيب ، وأصبح جزءاً من لحمته أو سداه والأبناء كما نعلم مجبنة مبخلة .

يرحم الله مشايخنا الكبار ، الذين تقوَّل عليهم الناس الأقاويل ، ولهم في نبيهم أسوة حسنة .

الدكتور مصطفي محمود وشباك القوم:

قلت مراراً علي صفحات هذا البحث وقبله أن الدكتور مصطفي محمود تربطني به مواقف ومشاعر من طرف واحد ، ولكنها برغم نقص شرعية التعاقد فيها ، إلا أنها تكفيني ومن جانب أخلاقي أن أقول هذه الكلمة .

لقد صرفتني الصوارف بعد لقائي الأول معه ، فلم أتابع الرجل إلاحيناً بعد حين ، وعهدي به في كل حين تابعته فيه أنه رجل نافذ البصيرة ، يقول عن النبي ودينه ولا يخشي في القول فيهما لومة لائم ، لكني حين رأيت حديثه عن الشفاعة ، قلت لعل الرجل قرأ للمعتزلة أو الخوارج وأعجله الحال فكتب في الموضوع متسرعاً ، فقرأت ماكتب بدافع الفضول ، غير أني حين قرأت ظهرلي بادي الرأي وبحكم الملكة التي تكونت عندي وأنا ألاحق القوم أن العبارات التي قالها كاتبنا الكبير ليست عباراته ولاهي معهودة منه ، والأغرب من هذا أني رأيت العبارات والاستشهادات والمقدمات والنتائج كلها من عبارات أدعياء الانتساب إلي القرآن في هذا الظهور الأخير ، فقلت في نفسي لعلها مصادفة ، لكني حين تأملت صدر المقالة الأولي رأيت أمرين عجيبين :

أحدهما: أن الرجل يكتب متعجلاً وهو ذاهب إلي غرفة العمليات، لايدري كما قال ما إذا كان الله عزوجل سيمن عليه بنعمة الشفاء أو أنه سيستقدمه إليه (**حفظه الله لأمته**).

وثاني الأمرين : أنه أقحم موضوع الشفاعة في المقالتين الأولي والثانية ضمن موضوع كان مخصصاً أصلاً للدفاع عن محارم الأمة الإسلامية في أفكارها وأرضها وحضاراتها ، فقلت في نفسي : إن الأمر غريب ٠

واستحضرت سريعاً أساليب القوم منذ أولهم في هذا الظهور الأخير إلي آخرهم طريد بعض الجامعات فافترضت أن تكون الشباك الآن قد بدأت تنسج حول الرجل لاستغلاله بعد موته (**حفظه الله**)٠باعتباره بوابة إلي عدد هائل من القراء والأتباع ٠

وهذا افتراض علمي لا يصح الا بعد اختباره ، فجمعت كتب الكاتب الكبير خاصة المتأخرة منها ، فهالني مارأيت وسأضع أمامك ما رأيته أو بعضه علي الأقل ، ثم أستأذنك بعد ذلك أن أناجي الكاتب الكبير ٠

الرجل يبدو متعاطفاً:

ولأن القوم كما ذكرت لك يُظهرون أغراضهم في ثوب حريري رقيق أملس ، حتى لا يُزعج الفريسة مسُّه ذهبوا إلي الرجل علي مايبدو لي وكل واحد منهم يُظهر من مظاهر التدين ما يخدع المسلم الذي لا يحب أن يبحث في طيات النفوس فانفعل الرجل مع هذا الجو الديني المصنوع (**وهو معذور**) انفعالاً تسبب فيه تدينه ورغبته في رضا ربه وهو في حال لاتملي علي صاحبها إلا أن يكون كذلك ٠

أبدي الرجل تعاطفه مع القوم ، وبدأ القوم يغازلونه باستغلال شعوره الديني ، وسأسوق إليك أمثلة علي النحو التالي :

١- جاء القوم لصاحبي بأحد كتبهم ليكتب له مقدمة تحمل أتباعه علي قراء ته فكتب مقدمة أسوقها لك علي نحوها : [**د ٠ مصطفي محمود - منهج جديد *الكتاب الذي بين يديك هو محاولة لفهم القرآن من منظور جديد غير***

مسبوق ٠٠ فالكاتب لم يلجأ إلي الأسلوب المعهود في استعراض كتب التفسير لينظر إلي آيات القرآن من خلال الرازي والزمخشري والطبري وابن كثير وإنما آثر تنحية كل التراث ، رغم اطلاعه عليه ، لأنه أراد أن يفتح قلبه لنزول الآيات القرآنية دون وسيط ودون تفسير سابق يهيمن علي فهمه لتلك الآيات ٠٠ أراد أن يشعر بالقرآن بكراً وأن يجعل الهيمنة لكلام الله مباشرة لا لأي مفسر قديم أو حديث وأن تباشر الآيات قلبه وعقله وبصيرته كما لو كانت تنزل لتوها من سماواتها علي قلبه لتخاطبه هو ولتهديه هو ولتفض مكنونها وأسرارها من أجل هدايته ٠

والكتاب هو ثمرة هذه العلاقة المباشرة والحميمة والشخصية ٠٠ والانفعال الصادق بالكلمة والفهم المحايد للآية دون تدخل ودون وساطة ٠

وقد صدقت فطرة الكاتب وصدق إلهامه ، فالتراث المتداول مليء بالإسرائيليات والأغاليط لم يسلم منها كبار المفسرين ، لأن المناخ الإسلامي كله كان طول الوقت واقعاً تحت تأثير الحرب المعلنة علي القرآن ونبي القرآن ٠٠ من يهود وفرس وعجم يمتليء قلبهم بالحسد ، ومسلمين حديثي عهد بالإسلام يمتليء وجدانهم بالشك وملاحدة وفلاسفة ومفكرين من عقائد أخري يحاولون أن يدسوا بذكاء سمومهم في طيات التفاسير والمفاهيم الإسلامية المتداولة ، ولم يسلم كتاب من هذه البصمة التي تبدو خفية أحياناً وجهيرة أحياناً أخري.

والقاريء سوف يشعر في هذا الكتاب بنكهة مختلفة وطعم مختلف وإحساس طازج ولمسة معاصرة لحياتنا وسوف يحس أن القرآن نزل لتوه من أجلنا ومن أجل همومنا ومن أجل مشاكل عصرنا ، وسوف يشعر بحيوية للنص القرآني لا يجدها في الكتب التقليدية ٠٠ وهي جميعها ثمرات إخلاص وتفاني إسلامي أمين ٠

وقد يجد نفس الموضوعات المألوفة ولكن بروح جديدة وحماس جديد وثوب جديد ·

والكاتب سوف يصيب القاريء بعدوي الحب الذي يحمله للقرآن ونبي القرآن فيصبح أقرب إلي الله في صلاته وسجوده وتسبيحه وتلاوته ·

وما أحوجنا لرواد جدد من هذه المدرسة الجديدة في الفهم القرآني، لتأخذ القرآن إلي عصرنا في هوادة ورفق دون أن تجور علي أصالته أو تعتدي علي جلاله]·

هذا كلام المقدمة بحروفها ·

وأصحاب هذا الاتجاه قد أعجبهم هذا القول من صاحبي وإن لم يحقق لهم جميع آمالهم ، فلجأ كاتب هذه الصفحات التي قدَّم لها صاحبي إلي الغزل والإغراء ·

أما **الغزل** فقد جاء بعبارات رقيقة يمتدح بها المقدمة وصاحبها ·

وأما **الإغراء** فقد جاء من خلال هذه الطرق :

أ - ذكر صاحب الكتاب قائمة بأسماء يدَّعي أنها قد وقعت تحت تأثيرهم ، فلما وصل الحديث إلي الإمام الغزالي رحمه الله قال : [**وأعترف كثيراً بفضل الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - للحوار الذي امتد لسنوات طويلة ·· كنا نحبه ونحترمه لثباته علي الحق ، واعتداله وصبره الشديد علي الخلافات الفقهية والفكرية بيننا وبينه ، والتي تضاءلت بعد سنوات طويلة ·· ما أكد قوة هذا الرجل وقدرته علي تتبع الحق واتباعه**]

وأنت خبير أن حديثه عن صاحبي قد جاء بطريقة مختلفة عن هذه الطريقة حيث قال :[وقد نفعني بعون الله الحوار الممتد مع الأخ في الله الدكتور مصطفي محمود وقراءته للمتن ونقده البنّاء والتقديم الكريم لهذا الكتاب].

وما أظن الكاتب صادقاً في مشاعره وهو يتحدث عن الدكتور مصطفي محمود، وما أظنه صادقاً في تقريره وهو يتحدث في سطوره الأخيرة عن

فضيلة الشيخ محمد الغزالي، إذ ما كان للشيخ أن يسلّم قياده لجماعة منكري السنة ، ثم يتطلع إلي قبر بعد موته في البقيع وسط هؤلاء العظماء .

ب - وفي سبيل إغراء صاحبي ظل صاحب الكتاب يداعب عواطف الكاتب الكبير علي نحو ما كان يداعب سقراطُ أتباعه ، وهي طريقة معروفة يعرفها صاحبي لا يخطئها ولا تخطئه ، ولكنها الغفلة وقانا الله شرها .

في كثير من صفحات الكتاب وجدنا مؤلفه يعلن أن هذه المعلومة أوتلك ليست له ، وإنما هي من توجيهات الكاتب الكبير .

وهذه طريقة إن لم تكن مقنعة فهي مسكتة علي الأقل [١]

٢-جاء القوم لصاحبي بكتاب يقرؤه ليس فيه إلا إنكار السنة ، والتهوين من شأن رواتها ، وتغيير العبادات والمعاملات في الإسلام .

والشيء العجيب أن صاحبي قبل الكتاب وقرأه علي ما فيه من مشكلات وهذا الكتاب كاتبه يتجول في بعض بلدان شمال أفريقيا[٢] .

والدليل علي أن صاحبي قرأ هذا الكتاب ما قد أورده عنه في بعض كتبه بشيء من اللطف وإن كان قد خالفه في بعض النقاط [٣] .

٣- ماظهر علي صاحبي من حديثه حول الأمور الثلاثة التي يتحدث القوم حولها غالباً ، وأهمها حديثه في الشفاعة [٤].

هذاوإنه ليظهر لي ولك أن صاحبي قد أبدى تعاطفاً مع القوم .

ولكنه للحق وللتاريخ أقول : إن مقاله الأخير وهو المقال الرابع في سلسلة مقالاته عن الشفاعة قد ظهر لي كما توقعت أن يظهر أنه بدأ يعيد النظر لا في موقفه الفكري ، ولكن في شعوره الديني ، وهو رجل المواقف كما عرفناه.

---

(١) راجع: ع. س . أ - أ . ى . ق.ص - فاتحة الكتاب و ص- ١٠، ١١، ٤٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧.

(٢) راجع: م. ك ب . ق (وهو من جزئين).

(٣) انظر للدكتور مصطفى محمود نحو كتاب: من أسرار القرآن.

(٤) انظر: ماذا بعد بوابة الموت ومقالاته الأربع فى الأهرام.

عود علي بدء

قلت حين بدأت الكتابة في هذا الموضوع أول عهدي به أني مع كاتب يهديه إلي الحق قلبُه وعقله ، لا تحمله العصبية علي شطط ، ولا يجنح به الهوى إلي مخالفة ، وإنما هو يدور مع الحق كلما لاح له الحق وظهر ، فإن ابتسمت له الحقيقة في غبش الفجر ، أوفي غسق الليل ، ولم يتمكن من تعبير ابتسامها ربما حكم حكماً متعجلاً ، فإذا ما ذهبت الدهشة عنه عاد يقلب الأمر علي كل وجوهه حين تكون الشمس قد طلعت ، وأضاء الكون كله بنورها ، وأصبحت الحقيقة سافرة لا يخفي منها شيء ، ولا يستر بعض جوانبها ساتر .

وأنا لا أنهي عن خلق وآتي مثله ، فقد أخذت علي منكري السنة أنهم يغازلون العظماء ، أما أنا فأقول الحق بدليله ، وقد سقت دليلاً أول حديثي مع صاحبي في المقدمة بحروف صاحبي نفسها ، فيها الدليل علي ما أقول .

فالرجل لا يضيق بالحقيقة ولا تضيق الحقيقة به ، وبعد هذا الحديث أستأذن صاحبي أن أطوي أوراقي ، أوما نشرت منها علي الأقل ، وقد طال بنا الجلوس حول مائدة مستديرة وعلي أرض محايدة .

وما بعد طي الأوراق إلا الاستئذان والوداع .

استأذنت صاحبي و هو مندهش.

و تركت صاحبي وأملي في الله أن نكون دائماً علي وفاق.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

خاتمة

لقد ظننت أوائل هذا العام أن موضوعي مع منكري السنة قد انتهي، وأني قد قلت فيه قولاً لا أحب أن أقول بعده شيئاً يتصل بهذا الموضوع .

وفرحت بما انتهي إليه تقديري هذا ، وقلت سأنصرف عن هذا الموقف الذي شاء الله أن أكون فيه نحو خمسة عشر عاماً أصابتني متابعتي للقوم بشيءٍ غريب في منهجي الفكري وفي رصيدي من المعلومات الذي ينبغي عليَّ أن أرفعه يوماً بعد يوم .

ومع أنني أدرك أن جزء أهداف منكري السُّنة أنهم يشغلوننا عن المهمات من الأمور إلي سفسافها، إلا أن واجبي الديني وانتمائي الوطني يحتمان عليَّ أن أقول كلمة أدافع فيها عن هذا الدين وأساعد فيها أولئك الذين يشاطروننا الدين والوطن .

لقد فرحت فرحاً شديداً حين أدركت أني قد قلت ما أريد قوله وظننت أن الأمر قد انتهي .

غير أني الآن قد أدركت شيئاً آخر وهو أن القابضين علي الخيوط وراء الكواليس ، والناشرين لرقعة الشطرنج علي المناضد يصلون الليل بالنهار لتحريك عملائهم تحت شعار - **اكذب وكرر الكذب حتي يصدقك الناس** -

ولابد من متابعة القوم وصد هجماتهم حتي يتمكن العاميُّ والمتخصص من أن يفرغا إلي عبادتهما لا يصرفهما عنها صارف ولا يمنعهما عنها مانع.

وإذا كان النبي ﷺ حين دخل بيته بعد الأحزاب قد جاءه جبريل ليقول له بعد منصرف الأحزاب إن كنتم قد وضعتم السلاح فإنا لم نضعه بعد .

إذا كان النبي كذلك فنحن لنافيه الأسوة الحسنة لنُرِيَ الله عزوجل منا أننا لم نلقِ السلاح بعد لعله يمنحنا توفيقه.

وهذا الكتاب سيخرج للناس إن شاء الله وسط حقيقة لم تعد خافية علي أحد، وهي أن مقالات إنكار الشفاعة التي حفزتنا للكتابة في هذا الموضوع لم

يكن كاتبها عضواً في هذه الجماعة، وإنما قد استقطبته الجماعة إلي حين ليكتب ما يكتب ثم يصيحون خلفه من خلال زوايا مظلمة يعلنون أفكارهم ومبادءهم علّها تصل إلي بعض القلوب الضعيفة ، أو تؤثر علي بعض الطباع النهازة فيزداد معسكر القوم في عدد أفراده ، كي يتمكنوا من الانتشار في جنبات الأمة يضلونها ويفتنونها عن دينها ٠

وإني لأنهي حديثي إليك قبل أن نفترق وأنا علي أمل في الله أن يعود صاحبي لينبه قراءه إلي هذا الظهور الجديد لجماعات منكري السنة ، ويبين لهم أن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ويحمد الله على أن أقال عثرته ٠

وأنا علي أمل كذلك في الله إن كان قد بقي في معركة الجهاد الفكري في وجه هؤلاء المنكرين للسنة مجالٌ ألاّ يحرمني من شرف كلمة حق أقولها في وجه من غبروا سنة الحبيب ﷺ أو حاولوا النيل من شخصيته ﷺ ٠

وما توفيقي إلابالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ٠

وقع الفراغ من إملاء هذه الصفحات عصر الثلاثاء ٠السادس عشر من شهر صفر سنة ألف وأربعمائة وعشرين من الهجرة النبوية علي صاحبها أفضل الصلاة والسلام ٠

الموافق الفاتح من يونيو سنة ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ٠

فهرست الموضوعات

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
٩٥٥٢لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولي
I.SBN 977-19-9267-8